جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

دعاء الأنبياء في القرآن الكريم

إعداد
وداد طاهر محمد نصر

إشراف
د. خضر سوندك

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، في نابلس، فلسطين.
2010 م

دعاء الأنبياء في القرآن الكريم

إعداد

وداد طاهر محمد نصر

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ: 2010/8/10م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
1. د. خضر سوندك / مشرفاً ورئيساً	.....
2. د. إسماعيل نواهضة / ممتحناً خارجياً	.....
3. د. عودة عبد الله / ممتحناً داخلياً	.....

الإهداء

إلى معلّمنا الأول... والنور الذي يهدي القلوب، فتستنير بهديه

"**رسول الله –صلى الله عليه وسلم–**"

إلى مَنْ غرس فيَّ حبّ العلم فوفّى، ولطالما انتظر رؤية هذا اليوم

"**إلى روح والدي العزيز –رحمه الله–**"

إلى مَنْ برضاها تطيب الحياة... نبع العطاء، وفيض الحنان الذي لا ينضب، والتي تحمّلت معي هموم الدارسة، فكانت ردءاً لي في كل ملمّة، وخير سلوة في كل محنة.

"**إليك أمي الغالية**"

إلى الذين منحوني الثقة بالنفس... بسمة الأمل في هذه الحياة،

إخواني: محمد، أحمد، محمود، إبراهيم.

إلى شقيقات الروح وأفراحها، أخواتي وأخصّ

"**العزيزة رقية حفظها الله**"

إلى الذين نهلْت من علمهم **أساتذتي ومعلميّ**،

جزاهم الله عني، وعن كل طالب علم خير الجزاء.

إلى اللواتي ارتضين الإسلام دينا وشرْعة ومنهاجاً، **أخواتي في الله**،

وأخصّ أختي في الله "**ختام عارف عماوي**"

إليهم جميعاً، **أهدي هذا الجهد** المتواضع، **وفاءً** لهم، **ورجاءَ** أن يكون عملاً صالحاً في ميزان حسناتنا جميعا.

الباحثة

شكر وتقدير

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً يليق بجلاله، الحمد لله حمداً يوافي نعمه، ويكافئ فضله ومزيده، أن أعانني على إتمام هذا العمل، الذي أرجو أن يكون عِلماً ينتفع به.

اعترافاً منّي لذوي الفضل بفضلهم، ولأهل العلم بجهدهم، وعملاً بقوله تعالى: [هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ] {الرَّحمن:60}، فإنه لا يسعني في هذا المقام، إلا أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان، إلى كل من كانت له بصمة في إتمام هذا العمل، وإخراجه بهذه الصورة، وأخص بالذِّكر:

فضيلة **الدكتور** "**خضر سوندك**" أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة في كلية الشريعة بجامعة النجاح الوطنية، والذي أكرمني الله، بأن أنهل من معين علمه، وشرّفني بقبول الإشراف على رسالتي، فلم يدّخر جهداً في تقديم التوجيه والإرشاد، وقد كان لتوصياته وتوجيهاته الدور البارز في إثراء هذا العمل، وإخراجه بهذه الصورة، سائلة المولى، أن يثيبه على ما قدّم خيراً، وأن ينفع طلبة العلم بعِلمه وأدبه.

ثم إنّ واجب الوفاء بالجميل، يدفعني أن أتقدم بشكري الجزيل، إلى فضيلة **الدكتور** "**خالد علوان**" أستاذ الحديث الشريف وعلومه في كلية الشريعة بجامعة النجاح الوطنية، على تفضله بقبول رئاسة هذه الجلسة المباركة، فجزاه الله خيرا، وأدامه ذخرا لدين الله.

والشكر موصول إلى أعضاء لجنة المناقشة، الأستاذين الفاضلَين: فضيلة **الدكتور** "**عودة عبد الله**"، أستاذ التفسير وعلومه، ورئيس قسم أصول الدين في كلية الشريعة بجامعة النجاح الوطنية، وفضيلة **الدكتور** "**إسماعيل نواهضة**"، أستاذ التفسير وعلومه في كلية القرآن والدراسات الإسلامية بجامعة القدس، اللذيْن تفضلا بقبول مناقشة هذه الرسالة، وإن كان الشكر لا يفيهم حقهم، فإن الجزاء من الله خير لهم وأبقى، فجزاهم الله عنّا كل خير.

وأتقدم بخالص شكري ووافر تقديري إلى فضيلة **الدكتور** "**محمد السيّد**" حفظه الله، الذي ما فتئ عن شحذ هممنا للمُضيّ قُدما؛ لننهل من معين القرآن وعلومه، والصبر على العلم وكأدائه، فأسأل الله تعالى أن يثيبه الخير كله، وأن يجعله خيرا مما أقول وأظن.

كما أتقدم بالشكر والامتنان إلى كلية الشريعة وقسم أصول الدين فيها وإلى القائمين على مكتبة جامعة النجاح الوطنية.

وإلى القائمين على مكتبة المسجد الكبير في مدينة جنين.

وإلى كل من أسدى إليّ بكلمة، أو أبدى بفكرة كانت من شأنها الارتقاء بمستوى هذا العمل وإثرائه، فجزاهم الله جميعاً عنّي خير الجزاء.

إقرار

أنا الموقع أدناه، مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

دعاء الأنبياء في القرآن الكريم

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء مـــا تمـــت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أي درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's Name: اسم الطالب: وداد طاهر محمد نصر

Signature: التوقيع:.....

Date: التاريخ: (2010/8/10)م

فهرس المحتويات

الرقم	الموضوع	الصفحة
1	**الإهداء**	ت
2	**شكر وتقدير**	ث
3	**إقرار**	ح
4	**فهرس المحتويات**	خ
5	**الملخص**	ص
6	**مقدمة**	1
7	**الفصل الأول: مفهوم الدعاء وأهميته في القرآن الكريم**	
8	**المبحث الأول:** تعريف الدعاء	9
9	**المطلب الأول:** الدعاء في اللغة	9
10	**المطلب الثاني:** الدعاء في الاصطلاح	12
11	**المطلب الثالث:** النبي في اللغة	15
12	**المطلب الرابع:** النبي في الاصطلاح	15
13	**المطلب الخامس:** مفردات الدعاء ودلالاتها في السياق القرآني	16
14	**أولاً:** العبادة	16
15	**ثانياً:** النداء	17
16	**ثالثاً:** الذكر	18
17	**رابعاً:** الصلاة	20
18	**خامساً:** الابتهال	20
19	**سادساً:** الاستغفار	21
20	**سابعاً:** الاستعاذة	22
21	**ثامناً:** السؤال	23
22	**تاسعاً:** الشفاعة	24
23	**عاشراً:** الاستغاثة	25
24	**أحد عشر:** الاستجارة	25
25	**اثنا عشر:** الجؤار	26
26	**المبحث الثاني: أهمية الدعاء في القرآن الكريم**	28

الرقم	الموضوع	الصفحة
27	**المطلب الأول:** مكانة الدعاء وفضله في القرآن الكريم	28
28	**المطلب الثاني:** منهج القرآن الكريم في بيان أهمية الدعاء	31
29	**أولاً:** التنبيه على تفرّد الله وحده بكشف الضرّ	31
30	**ثانياً:** الحث على الدعاء والنهي عن تركه	33
31	**ثالثاً:** بيان القواعد الأساسية لكيفية الدعاء	34
32	**القاعدة الأولى:** الدعاء حق خالص لله لأنه يملك الضرّ والنفع	34
33	**القاعدة الثانية:** إخفاء الدعاء وعدم الاعتداء فيه	36
34	**القاعدة الثالثة:** التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى والعمل الصالح	37
35	**رابعاً:** مدح أهل الدعاء، والثناء عليهم، والدعوة لملازمتهم	37
36	**خامساً:** تقديم نماذج للدعاء	39
37	**المبحث الثالث: أهمية الدعاء في حياة الأنبياء**	41
38	**المطلب الأول:** أهمية الدعاء بالنظر إلى حاجتهم للتعبد	41
39	**المطلب الثاني:** بالنظر إلى مهمتهم ووظيفتهم في إبلاغ الدعوة	43
40	**المطلب الثالث:** بالنظر إلى حاجاتهم البشرية	46
41	**الفصل الثاني: أنواع دعاء الأنبياء ودلالاته ومراتب الإجابة عليه**	
42	**المبحث الأول: أنواع دعاء الأنبياء**	49
43	**المطلب الأوّل:** اجتهاد العلماء في بيان أنواع الدعاء، والترجيح بينها	49
44	**أولاً:** ما قاله الإمام الزجّاج	49
45	**أ-** دعاء التوحيد والثناء على الله سبحانه	49
46	**ب-** دعاء مسألة الله العفو والرحمة	49
47	**ج-** دعاء مسألته من الدنيا	49
48	**ثانياً:** رأي الإمام الرازي	50
49	**ثالثاً:** رأي الإمام ابن القيم في أحد قوليه	51
50	**رابعاً:** رأي ابن جرير الطبري	52
51	**المطلب الثّاني:** تلازم نوعي الدعاء مع الأمثلة والسرّ الفاصل بينهما	54
52	**أولاً:** تلازم نوعي الدعاء كما يقرره شيخ الإسلام ابن تيمية	54
53	**ثانياً:** أدعية نبوية تتضمن نوعي الدعاء	56

الرقم	الموضوع	الصفحة
54	**ثالثاً:** السرّ الفاصل بينهما	58
55	**المطلب الثالث:** نوعا دعاء الأنبياء	59
56	**أولاً:** دعاء العبادة والثناء عند الأنبياء	59
57	**ثانياً:** دعاء المسألة والطلب عند الأنبياء	62
58	**المبحث الثاني: دلالات دعاء الأنبياء**	65
59	**المطلب الأوّل:** الدلالة على وجود الله	65
60	**أولاً:** دلالة دعاء الأنبياء على توحيد الربوبية	65
61	أ- في مقام الخلق والإحياء	66
62	ب- في مقام الملك والتصرف في الكون	67
63	ج- في مقام تفرد الله بالنفع والضرّ	67
64	د- في مقام الاستسلام لله	68
65	هـ- في مقام تفرد الله بالرزق	69
66	و- في مقام التوكل على الله والاستعانة به	70
67	**ثانياً:** دلالة دعاء الأنبياء على توحيد الألوهية	70
68	أ. تنزيه الله عن الشريك	72
69	ب. تحقيق الدعاء بين الخوف والرجاء	72
70	ج. الإخلاص في العبادة والشعائر	73
71	**ثالثاً:** دلالة دعاء الأنبياء على توحيد الأسماء والصفات	73
72	أ. تنزيه الله -تعالى- أن يُشبه بشيء من صفات المخلوقين	74
73	ب. إثبات الأسماء والصفات التي أثبتها الله لنفسه أو أثبتها نبيّه	75
74	**أولاً:** صفة العلم	76
75	**ثانياً:** صفة القدرة	77
76	**ثالثاً:** صفة السمع والبصر	78
77	ج: قطع الطمع عن إدراك كيفية هذه الصفات	79
78	**المطلب الثّاني:** الدلالة على دوام الافتقار إلى الله	80
79	**أولاً:** الأصل القرآني للافتقار إلى الله	80
80	**ثانياً:** وجه دلالة الدعاء على افتقار الأنبياء	81
81	**المبحث الثّالث: إجابة الدعاء وأنواعها ومراتبها**	83

الرقم	الموضوع	الصفحة
82	**المطلب الأول:** أنواع الإجابة	83
83	**أولاً:** إجابة دعاء العبادة والثناء	85
84	**ثانياً:** إجابة دعاء المسألة والطلب	87
85	**المطلب الثاني:** مراتب الإجابة	90
86	**المرتبة الأولى:** تحقيق إجابة دعاء الأنبياء	93
87	أ- سرعة تحقيق إجابة الدعاء	93
88	**ب**- تأخير الإجابة إلى حين	100
89	**المرتبة الثانية:** عدم إجابة الدعاء	104
90	**الفصل الثّالث: صفات دعاء الأنبياء**	
91	**المبحث الأوّل: الإخلاص في الدعاء**	109
92	**المبحث الثّاني: دعاء الأنبياء مستجاب**	114
93	**المبحث الثّالث: بشرية الدعاء**	116
94	**المطلب الأول:** ملامح البشرية في دعاء العبادة	116
95	**المطلب الثاني:** ملامح البشرية في دعاء المسألة	118
96	**المبحث الرابع: تعدد الأساليب في الدعاء**	121
97	**المطلب الأول:** أسلوب لسان المقال	121
98	**أولا:** ما كان بصيغة افعل	121
99	**ثانيا:** ما كان بصيغة لا تفعل	122
100	**ثالثا:** ما كان بصيغة جمعت ما بين الصيغتين	122
101	**المطلب الثاني:** أسلوب لسان الحال	122
102	**أولاً:** وصف حال السائل	123
103	**ثانياً:** وصف حال المسؤول	124
104	**ثالثاً:** وصف حال السائل وحال المسؤول	124
105	**المبحث الخامس: الإجهاد في الدعاء والإلحاح فيه**	126
106	**المطلب الأول:** من خلال استغاثات الأنبياء بالله	126
107	**المطلب الثاني:** من خلال طلبهم المغفرة والتوبة من الذنوب	128
108	**المطلب الثالث:** من خلال تكرار لفظ الدعاء	128

الرقم	الموضوع	الصفحة
109	**المطلب الرابع:** كون الدعاء منهجاً سار عليه الأنبياء	130
110	**المطلب الخامس:** تكرير ذِكر ربوبية الله	130
111	**المبحث السادس: علوّ الهمّة في الدعاء**	131
112	**المطلب الأول:** من علو الهمّة في الدعاء الجزم بالمسألة	132
113	**المطلب الثاني:** ومن علو الهمّة في الدعاء حصر التوكل على الله	134
114	**المطلب الثالث:** ومن علو الهمّة في الدعاء اليقين في الإجابة	134
115	**المطلب الرابع:** ومن علو الهمّة في الدعاء تعظيم المسألة	137
116	**أولاً:** طلبهم لأنفسهم المنازل المباركة والذِكر الحسن	137
117	**ثانياً:** همة في طلب رؤية بعض أسرار الربوبية	137
118	**ثالثاً:** طلب تغيير الواقع الكافر بواقع مؤمن	138
119	**المبحث السابع: البلاغة في الدعاء**	139
120	**المطلب الأول:** البلاغة في دعاء إبراهيم عليه السلام	140
121	**المطلب الثاني:** البلاغة في دعاء عيسى عليه السلام	142
122	**المطلب الثالث:** البلاغة في دعاء يعقوب عليه السلام	143
123	**المطلب الرابع:** البلاغة في دعاء نوح عليه السلام	144
124	**المطلب الخامس:** البلاغة في دعاء زكريا عليه السلام	144
125	**المطلب السادس:** البلاغة في دعاء أيوب عليه السلام	145
126	**المبحث الثامن: التوسل بأسماء الله الحسنى**	147
127	**الفصل الرّابع: آداب دعاء الأنبياء**	
128	**المبحث الأوّل: "أدب الكلام" في الدعاء**	151
129	**المطلب الأول:** نسبة الخير لله والشرّ للنفس	153
130	**المطلب الثاني:** الدعاء بالتلميح دون التصريح	153
131	**المطلب الثالث:** تصدير الدعاء بـــ "اللهم"، "ربنا"، "ربِّ" دون أداة النداء	154
132	**المطلب الرابع:** تقديم طلب الدين على الدنيا، والاستغفار على الاستيهاب	154
133	**المطلب الخامس:** تقديم الثناء على الله قبل الشروع في الدعاء	156
134	أ- دعاء الله بأسمائه الحسنى	156
135	ب- تقديم التوحيد والتسبيح قبل الدعاء	157

الرقم	الموضوع	الصفحة
136	ج- تقديم الثناء عليه بذِكر صفاته سبحانه	158
137	د- تقديم الحمد والشكر على النعم والعطاء	158
138	هـ- تقديم التوبة والإقبال على الله بكُنه الهمّة	159
139	**المطلب السادس:** خفض الصوت عند الدعاء	160
140	**المبحث الثاني: التضرع والخشوع في الدعاء والرغبة والرهبة**	162
141	**المبحث الثالث: إظهار الافتقار إلى الله**	165
142	**المبحث الرابع: الإسراع بالتوبة والإقرار بالذنب**	168
143	**المبحث الخامس: الاستمرار في الدعاء وعدم اليأس**	173
144	**المبحث السادس: الدعاء للمؤمنين في ظهر الغيب والاستغفار لهم**	176
145	**المبحث السابع: تخيّر الأوقات والأحوال والأماكن الفاضلة للدعاء**	179
146	**المطلب الأول:** تخيّر الأوقات الفاضلة للدعاء	179
147	**المطلب الثاني:** تخيّر الأحوال الفاضلة للدعاء	180
148	**المطلب الثالث:** تخيّر الأماكن الفاضلة للدعاء	181
149	**الفصل الخامس: أبرز الآثار المترتبة على دعاء الأنبياء**	
150	**المبحث الأول: آثار عقدية**	184
151	**المطلب الأول:** ترسيخ مبدأ الوحدانية لله	184
152	**المطلب الثاني:** إثبات صدق النبوة بإقامة الحجّة	186
153	**المطلب الثالث:** زيادة الإيمان	188
154	**المطلب الرابع:** العقيدة أساس العلاقات بين العباد	190
155	**المطلب الخامس:** إبراز بعض السنن الكونية	192
156	**أولاً:** سُنّة إهلاك الأمم المعاندة	192
157	**ثانياً:** سنّة النصر والتمكين للفئة المؤمنة	194
158	**المطلب السادس:** الدعاء سبيل غفران الذنوب	197
159	**المبحث الثاني: آثار نفسية**	199
160	**المطلب الأول:** إصلاح القلوب	200
161	**المطلب الثاني:** الثقة بالله وحسن الظن به	201
162	**المطلب الثالث:** الشعور بمعيّة الله	202

الرقم	الموضوع	الصفحة
163	**المطلب الرابع:** الشعور بالطمأنينة القلبية	204
164	**المطلب الخامس:** الثناء الحسن والذكر الخالد	206
165	**المبحث الثالث: آثار اجتماعية**	209
166	**المطلب الأول:** رعاية الأنبياء للأهل والاعتناء بهم	209
167	**أولاً:** من خلال الدعاء بطلب الذرية "الصالحة"	210
168	**ثانياً:** من خلال الاستغفار والدعاء لهم	210
169	**ثالثاً:** من خلال تحقيق مبدأ التعاون والتناصر في إقامة الدين	212
170	**المطلب الثاني:** إحلال الأمن والاستقرار في المجتمع	213
171	**المطلب الثالث:** تربية الأجيال بالقدوة	216
172	**أولاً:** الأنبياء أنموذج قدوة، في دوام اللجوء إلى الله	217
173	**ثانياً:** الأنبياء أنموذج قدوة في الصبر	218
174	**ثالثاً:** أنموذج لرمز العفة	219
175	**الخاتمة**	222
176	**الفهارس العامة للبحث**	225
177	**فهرس الآيات**	226
178	**فهرس الأحاديث**	245
179	**فهرس الأعلام**	246
180	**فهرس المصادر والمراجع**	247
181	**الملخص باللغة الإنجليزية**	B

"دعاء الأنبياء في القرآن الكريم"

إعداد

وداد طاهر محمد نصر

إشراف

د. خضر سوندك

المُلخص

تبحث هذه الدراسة، في دعاء الأنبياء، من خلال ما ورد عنهم من أدعية في القرآن الكريم، وذلك ببيان مفهوم الدعاء وأهميته في حياة الأنبياء، سواء أكان ذلك على مستوى تعبدهم به، أم على مستوى مسألتهم حوائج الدنيا، موضحة أنواعه لديهم، وصفاته التي حدد معالمها القرآن، والآداب الربانية التي تأدبوا بها.

وذلك في محاولة لبيان أثر دعائهم في ترسيخ مبدأ إفراد الله بالدعاء، وتفرّده بالاستجابة.

وهادفة إلى توضيح منهج القرآن الكريم في التأصيل للعلاقة بين العبد وخالقه، واتّباع المسلك الصحيح في تحقيق الدعاء.

ومن خلال تناول الدراسة لهذا الموضوع، توصلت إلى تأصيل بعض القواعد المرتبطة بالعقيدة ارتباطاً وثيقاً، بل والهدف الرئيس من إرسال الرسل، منها:

– دلالة دعاء الأنبياء على وجود الله، وتفرّده –سبحانه– بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

– دلالة دعائهم على دوام الافتقار إلى الله، مع استغناء الله عن العباد.

وإن من أهمّ ما خلصت إليه الدراسة:

أن دعاء الأنبياء يمثّل منهج حياة، لذا وجدنا آثاره في حياتهم بجوانبها المتعددة، الدنيوية منها والأخروية، فكان له أكبر الأثر على الجانب العقدي، بتخلية القلب من كل ما سوى الله، كما لمسنا أثر ذلك على الجانب النفسي، في إصلاح القلوب وحسن الظن بالله.

ثم عبق أريجه على المجتمع بصورة عامة؛ ليتجسد منهج حياة متكامل يشمل الدنيا والآخرة، فكانوا القدوة الحسنة للأجيال من بعدهم.

مقدمة:

الحمد لله الذي يعلم السرّ وما يخفى، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وأشهد أن لا إله إلا الله، [غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ المَصِيرُ] {غافر:3}، ومجيب المضطر إذا دعاه وكاشف السوء.

وأشهد أن نبينا محمدا –صلى الله عليه وسلم– أعظم منّة مَنّ الله بها علينا وبعد:

فإن الناظر في كتاب الله يدرك تماما أن الرسالات السماوية جميعها جاءت بدعوة واحدة، استدلالا من قوله تعالى: [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ] {الأنبياء:25}، هذه الدعوة الخالدة هي عبادة الله تعالى وحده، والتي هي الهدف الأعظم من خلق الإنسان، لذا فقد أمَر الله –تعالى– بإفراده بالعبادة والدعاء فقال: [وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ] {الأعراف:29}، وقد نهى عن الإشراك في الدعاء وصرفه لغيره، نحو قول الله تعالى: [وَأَنَّ المَسَاجِدَ للهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا] {الجنّ:18}.

فالدعاء حلقة من الحلقات التي تبرز وحدانية الله –سبحانه– من خلال إفراده في التوجه إليه؛ لأنه هو وحده من يملك النفع والضرّ، وهو وحده من يملك الاستجابة.

ولمّا كان الإنسان ضعيفاً بطبعه، عاجزاً عن جلب الخير لنفسه، ودفع الضرّ عنها، محتاجاً إلى الله مستعينا به، وجب عليه دوام التوجه إلى الله بالدعاء، وعدم تركه، وإن خير من أقام أمر الله وحقق الدعاء، هم الأنبياء وهم صفوة الله من خلقه.

ولقد قصّ علينا القرآن الكريم، الرجاءات والابتهالات، التي وصلت الأنبياء بخالقهم في كل حين وكل موقف؛ ليكونوا أنموذجا، يُتأسى به في دوام اللجوء إلى الله، لذا جاءت هذه الدراسة بعنوان "**دعاء الأنبياء في القرآن الكريم**" لإلقاء الضَوْء على هذا الجانب المضيء من حياتهم أثناء وصل نفوسهم بخالقهم، وفزعهم إلى الله –سبحانه– بالثناء عليه تعبّدا، ومسألته لحوائجهم، وقد جدّوا في طاعة الله –تعالى– ولازموا ذِكره بالعشيّ والإبكار، فاستنارت قلوبهم بذِكر الله، ونسأله تعالى أن ينير بالقرآن قلوبنا، ويلهمنا ذِكره آناء الليل وأطراف النهار، إنه قريب مجيب.

الجهود والدراسات السابقة:

كان من الطبيعي أن تنظر هذه الدراسة إلى دراسات سابقة، تعرضت لهذا الموضوع فتنتفع بها، وتُطوّر على أساسها، غير أنّي لم أطّلع على مؤلَّف، يُفرد هذا البحث، بصيغة التفسير الموضوعي، وبعد التنقيب عثرت على كتابين بصيغة التفسير التحليلي أحدهما للشيخ الشعراوي وهو كتاب بعنوان "دعاء الأنبياء والصالحين"، وثانيهما كتاب بعنوان "دعاء الأنبياء" لمحمد إسماعيل الجاويش، وفي كليهما، تم تحليل أدعية الأنبياء بصيغة التفسير التحليلي بأسلوب قصصي، كما وردت في كتب التفسير، دون ترتيب للموضوع بصيغة دراسة موضوعية، غير أن الدراستين، ساعدتا في تيسير الوقوف على شتات أدعية الأنبياء، بالإضافة إلى معاجم موضوعات القرآن الكريم.

وفيما اطّلعت عليه بعد البحث حول موضوع الدراسة، في كتب التفسير القديمة والحديثة، إشارات مبعثرة، حيث ورد الدعاء، وعلى أساس ما كتبه المفسرون، انطلقت للوقوف على ما كتبه غير المفسرين حول هذا الموضوع، وقد ساعدت هذه الجهود في تمهيد طريق البحث أمامي، وكشفِ أبعادٍ مهمة للدعاء.

ومن الجدير بالذكر أن موضوع الدراسة "دعاء الأنبياء" قد تناوله أهل العقيدة فيما يختص بإفراد الله بالدعاء، ودعائه بأسمائه الحسنى، كما تناولته كتب التزكية والسلوك، ومن أبرز هذه الجهود:

1ــ شرح العقيدة الطحاوية / لابن أبي العز الحنفي.

ساعد هذا الكتاب في توضيح مفهوم التوحيد بأنواعه، والوقوف على حيثيات كل نوع منها، والنظر في مستلزماتها وقد ساعد هذا الكتاب كذلك في إمكانية الربط بين دعاء الأنبياء، وبين التوحيد بأنواعه؛ للخروج بنتيجة مفادها أن دعاء الأنبياء له دلالة واضحة على توحيد الله سبحانه.

2. الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية / لجيلان خضر العروسي، وهي رسالة علمية، نال بها الباحث درجة الماجستير بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

وقد أفدت من هذه الدراسة، الإطلاع على ورود الدعاء في السياق القرآني، ودلالة الدعاء على التوحيد بأنواعه، مع بيان أنواع الدعاء، غير أن الحديث حول موضوع الدعاء بقي على العموم ولم يخصص في هذه الدراسة.

3. كتاب مجموع الفتاوى / لابن تيمية.

وبعد البحث، فإني لم أجد في كتابات السابقين واللاحقين، أشمل مما كتبه شيخ الإسلام حول موضوع الدعاء، وبيان أنواعه، والتلازم بينها، والوقوف على دلالات أدعية بعض الأنبياء.

4. مدارج السالكين / لابن القيم.

وافق ابن القيم شيخه ابن تيميةَ في كل ما ذهب إليه، ومن خلال هذا الكتاب يتضح أن دعاء الأنبياء في الحقيقة والنتيجة، يدور في دائرة معنى قوله تعالى: [إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ] {الفاتحة:5} ، إذ إن دعاء العبادة عندهم، يمثله قوله تعالى: " إِيَّاكَ نَعْبُدُ" ودعاء المسألة والطلب، يمثله قوله تعالى: "إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ".

أما موضوع هذه الدراسة، فسيبحث في دعاء الأنبياء في القران الكريم، من ناحية التفسير الموضوعي، ويتمثل دوري كباحثة في هذا الموضوع، بجمع شتاته من أمات كتب التفسير حيث يرد دعاء الأنبياء، ومن كتب العقيدة، والأخلاق والسلوك، ومعاجم اللغة وغيرها؛ لإبراز الأسس التي أقام عليها الأنبياء دعاءهم، مع بيان تلازمها، والسر الفاصل بينها، وبيان دلالة دعائهم على أصل التوحيد بأنواعه.

وكذلك البحث في صفات دعاء الأنبياء؛ لبيان حقيقة دعائهم القائم على الإخلاص، وما اتصف به من علو الهمة، والبلاغة، والحكمة، متوسلين بأسماء الله الحسنى، وبأساليب متعددة؛ لإبراز الأدب النبوي في تحقيق دعاء الله – سبحانه– وتناول الأنبياء أدب الكلام عند المثول بين يديه سبحانه، مظهرين التضرع والخشوع والافتقار إلى الله؛ وذلك للوقوف على أبرز الآثار والقيم التربوية التي نجد صداها عقيدة صلبة في نفوس الأنبياء، كما نجد أثرها في تزكية نفوسهم وإصلاح أهم ما فيها ألا وهو القلب، ولإظهار النماذج النبوية في الدعاء، لتربي الأجيال بالقدوة.

أهمية الدراسة:

إن قيمة أي علم تقاس بأهميته، والهدف من تعلّمه، وبقدر حاجة العباد إليه.

والدعاء كما صحّ عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– هو العبادة[1] التي من أجلها خلق الله الخلق فقال: [وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ] {الذاريات:56}.

لذا كان الدعاء من القضايا المهمّة، التي ترتبط مباشرة بأمر العقيدة، فهو من أهم ما يربط العبد بخالقه.

وإنما اشتدت الحاجة إلى هذا العلم، أن موضوع الدعاء، سواء أكان دعاء عبادة أم دعاء مسألة، لا بدّ وأن يكون وفق منهج الله، وبناء على هذا القول، لا بدّ لنا من الوقوف على الدعاء في القرآن الكريم، متمثلا بدعاء الأنبياء، ليبطل كل دعاء صُرف لغير الله.

كما تظهر أهمية موضوع البحث من حيث الاعتبارات الآتية:

أولاً: إني أحتسب البحث في هذا الموضوع، خدمة لكتاب الله –عز وجل– –مع اعترافي أن جهدي فيه جهد المقُلّ– إلا أنني أسهم في إلقاء الضوء على جانب من بحر علوم القرآن، يُعدّ من أهم جوانب العبادة، فالدعاء سبب للنجاة من كل كرب، فقد قال الله بحق يونس –عليه السلام–: [فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ(143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(144)] {الصَّافات}، كما أن ترك الدعاء، كان سببا في إيقاع العذاب في الأمم، لعلهم يلجأون إلى الله ويتضرعون إليه قال تعالى: [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ(42) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ...(43)] {الأنعام}.

ثانياً: إن طبيعة الإنسان التي تتسم بالضعف والافتقار إلى قوة تسندها، تجعل الإنسان في شعور دائم، وحاجة ماسّة إلى تلك القوة، باللجوء إليها، وطلب تثبيت الخطى على منهج الله.

---

[1] الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت:279هـ): **سنن الترمذي**، (5مج). حققه: بشار عواد معروف. ط(2). دار الغرب الإسلامي. 1998م، كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء، الحديث:3372. 386/5، وقال: هذا حديث حسن صحيح. // وأخرجه أحمد في مسنده، ابن حنبل، أحمد بن حنبل (ت:241هـ): **الموسوعة الحديثية مسند الإمام أحمد بن حنبل**، (50مج). تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون. ط(1). بيروت: مؤسسة الرسالة، 1419هـ–1999م، الحديث: 18386، 336/30، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

ثالثاً: إن ما يزيد من أهمية هذا النوع من الدراسة، ما حوته من قيم وآثار تربوية مترتبة على الصعيد النفسي، والعقدي، والاجتماعي.

فمن ذلك إبراز بعض سنن الله –تعالى– في الكون، كإهلاك الكافرين ونصر المؤمنين، ومنها توثيق عُرى المحبة بين العبد وربه، باللجوء إليه مباشرة –وشعور العبد بالقرب من الله –عز وجل– واطمئنانه بذِكره وتكوين القدوة الحسنة للأجيال المتعاقبة.

رابعاً: جاءت هذه الدراسة لتؤصل **منهج الأنبياء في الدعاء**، علّها تسهم في ديمومة اللجوء إليه –سبحانه– دون وساطة توسلاً بأسمائه الحسنى كما أمر، وعدم صرف الدعاء لغيره.

أسباب اختيار الدراسة:

أولاً: لم يكن القرار بخوض غمار هذا الموضوع، وليد لحظته، فقد كتبته من قبل بحثا لمادة التفسير الموضوعي بإشراف الدكتور **محسن الخالدي** –حفظه الله– وقد أشار عليّ بإمكانية تطويره عنوانا للأطروحة، فجزاه الله عنّي خير الجزاء، ونفع به وبعلمه وأدبه.

ثانياً: آثرت البحث في هذا النوع من الدعاء، واتخاذه موضوعا لدراستي، لا سيما أن دعاء الأنبياء، لم يحظ بدراسة مستقلة، وبصورة التفسير الموضوعي، حسب علمي واطلاعي، ولأن هذا النوع من التفسير، يكسب الباحث ملكة النظر في كتاب الله، والتدبر في آياته، وتكوين نظرة شاملة حول الموضوع، استنباطا من الآيات الكريمة.

ثالثاً: التأصيل لهذه العبادة، وهي دعاء الله كما يحب ويرضى، متمثلا بدعاء الأنبياء.

رابعاً: لما كان الدعاء في القرآن الكريم، هو الأنموذج الذي ارتضاه الله لعباده، فأمرهم به، وبيّن لهم كل ما يتعلق بهذه الشعيرة، اخترت دعاء الأنبياء خاصّة، ولم أختر دعاء الملائكة أو المؤمنين أو أهل الجنة؛ لأن دعاء الأنبياء أكمل الدعاء وأشمله لأمور الدين والدنيا، إضافة إلى الكيفية التي تميز بها الأنبياء في دعائهم، فضلاً عن الآداب الربانية التي تأدبوا بها، فالدعاء منّة من الله، أنعم بها علينا، إذ دعانا أن ندعوه بما نشاء من خير وفضل، ليعطينا ويزيدنا من فضله وعطائه.

إشكالية الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة على الآتي:

1. ما المقصود بالدعاء وما هي مفرداته في السياق القرآني؟

2. ما مدى اهتمام القرآن الكريم بتأصيل العلاقة بين الله وعباده متمثلة تلك العلاقة في الدعاء، ومكانته في حياة الأنبياء؟

3. ما هي الكيفية التي ارتضاها الله لدعائه وما هي ضوابطه؟

4. ما هي الدلالات المستنبطة من دعاء الأنبياء؟

5. ما هي أنواع الدعاء ومراتب الإجابة عليه؟

6. ما هي الصفات التي اتسم بها دعاء الأنبياء؟ والآداب الربانية التي تخلقوا بها عند دعائهم لربهم؟

7. ما هي الآثار المترتبة على دعاء الأنبياء؟

8. من المشاكل التي أريد معالجتها، الإعراض عن الدعاء، أو الإحجام عنه، بحجة أن الله لا يستجيب، وبيان أن الله قريب يجيب من دعاه.

أهداف الدراسة:

تتلخص هذه الأهداف بالآتي:

1. إبراز أهمية الدعاء ومكانته من العقيدة.

2. تحليل دعاء الأنبياء؛ للوقوف على دلالاته، كالدلالة على وجود الله مع الحاجة الدائمة إليه.

3. الخروج بنماذج لأدعية ربانية، لأن أفضل ما يدعى به الله هو كلامه.

4. اتخاذ أنبياء الله قدوة لنا بالاستمرار في الدعاء وعدم تركه.

منهجية الدراسة:

سرت في عرض مادة البحث وصياغته وفق المنهج الآتي:

– اتبعت المنهج الاستقرائي، وذلك عن طريق استقراء الآيات القرآنية، التي تحمل في ثناياها أدعية الأنبياء.

– اعتمدت عند الكتابة، المنهج التحليلي، إذ رجعت إلى أمّات كتب التفسير، لفهم النصوص، آخذة بعين الاعتبار، التفاسير الحديثة، للخروج بالدلالات والاستنباطات.

الفصل الأول

مفهوم الدعاء وأهميته

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الدعاء

المبحث الثاني: أهمية الدعاء في القرآن الكريم

المبحث الثالث: أهمية الدعاء في حياة الأنبياء

المبحث الأول

تعريف الدعاء

المطلب الأول: الدعاء في اللغة

الدعاء مصدر لفعل دعا، وهو "طلب الطالب للفعل من غيره"[1]، وعرّف صاحب لسان العرب الدعاء في اللغة بأنه: الرغبة إلى الله، يقال دعاه دعاءً ودعوى، وقد بين أصل همزة الدعاء فقال: والدعاء واحد الأدعية، وأصله دُعاوٌ، لأنه من دعوت، إلا أنّ الواو لما جاءت بعد الألف هُمزتْ، ويقال: دعا الرجل دعْواً ودعاءً: ناداه، والاسم الدعوة، ودعوت فلانا أي صحتُ به واستدعيته[2].

كما ذكر الزبيدي[3] أنّ أصل الدعاء مصدر من "دعوت الشيء أدعوه دعاءً، أقاموا المصدر مقام الاسم: تقول سمعتُ دعاءً كما تقول سمعت صوتاً"[4].

وأما ابن فارس فقال: (دعَوْ) الدال والعين والحرف المعتل، أصلٌ واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، تقول: دعوت أدعُو دعاءً، ثم أشار ابن فارس إلى بعض المعاني للدعاء فقال: "والدعوة إلى الطعام: بالفتح، والدِّعوة في النسب: بالكسر... وداعية اللبن: ما يترك في الضرع ليدعو ما بعده وتداعت الحيطان، وذلك إذا سقط واحد وآخرُ بعده، فكأنما الأول دعا الثاني"[5].

---

[1] ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت:458هـ): **المخصص**، (4مج). بلا ط وسنة نشر. بيروت: دار الفكر. مج4، 88/13.

[2] انظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت:711هـ): **لسان العرب**، (15مج). ط(1). بيروت: دار صادر. 1410هـ-1990م، مادة دعا، 257/14-258. // وانظر: الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، (ت:393هـ): **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، (6مج). تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط(1). بيروت: دار العلم للملايين. 1376هـ-1956م، مادة دعا، ، 2337/6.

[3] هو السيد محمد، الشهير بمرتضى الحسيني الزبيدي، المصري الحنفي، ولد سنة 1145هـ، من مصنفاته تاج العروس في شرح القاموس، وإتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين، توفي شهيداً بالطاعون سنة 1205هـ، انظر: الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير (ت:1380هـ): **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، (3مج). تحقيق: إحسان عباس. ط(2). بيروت: دار العربي الإسلامي. 1402هـ-1982م، 526/1-529.

[4] الزبيدي، محمد بن محمد الحسيني المشهور بمرتضى (ت:1205هـ): **إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين**، (10مج). بلا ط وسنة نشر. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 27/5.

[5] ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت:395هـ): **معجم مقاييس اللغة**، (6مج). تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط(2). بيروت: دار الجيل، 1420هـ-1999م، مادة دعو، 279/2-280. // وانظر: الرازي، محمد بن=

يلاحظ أن ابن فارس أرجع هذه المعاني إلى إمالة الشيء.

وأضاف الكرمي[1] معانيَ أُخر للدعاء فقال: "(دعا يدعو دَعْوا ودعاءً ودَعْوى) الرجل ربه، ابتهل إليه وسأله، ودعا له بالخير... ودعا عليه بالموت... ودعا زيدٌ صاحبه ناداه وصاح به، ودعا الأب ابنه زيدا أو بزيدٍ، سماه زيداً، ودعاه الله بمكروه أنزله فيه... ودعا بالكتاب، طلب جَلْبه وإحضاره... ودعاه إلى الشيء حثّه على قصده، ومنه في القرآن الكريم: [قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ] {يوسف:33}"[2].

والمعنى كما أورده الكرمي، يأتي بمعنى السؤال، والنداء، والتسمية، والحثّ على الشيء، والسَّوق إليه.

وأضاف صاحب اللسان صيغاً غير تلك التي ذكرت، وذلك استدلالا من كتاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– الذي بعثه إلى هرقل قائلاً: "أَدْعُوك بِدِعَايَة الإِسْلام"[3] أي بدعوته، وهي كلمة الشهادة التي يُدعى إليها أهل الملل الكافرة، وفي رواية بداعية الإسلام[4]، وهو "مصدر بمعنى الدعوة كالعافية والعاقبة"[5].

=أبي بكر بن عبد القادر (ت:666هـ): **مختار الصحاح**، تحقيق: محمود خاطر. ط(1415هـ–1995م). بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ص:86.

[1] هو أديب إعلامي فلسطيني اسمه حسن سعيد الكرمي ولد في طولكرم سنة 1908م، أبوه سعيد الكرمي رجل علم وفقه، من أعماله: قاموس المنار إنجليزي–عربي، والهادي إلى لغة العرب، توفي سنة2007م. انظر: الكرمي، حسن سعيد (ت:2007م): **الهادي إلى لغة العرب**، (4مج). ط(1). بيروت: دار لبنان للطباعة والنشر. 1411هـ–1991م، 1/ ما بعد الغلاف. // وانظر: سنة الوفاة على الموقع الإلكتروني: www.wikipedia.org.

[2] الكرمي: **الهادي إلى لغة العرب**، 39/2.

[3] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت:256هـ): **الجامع الصحيح المختصر**، (6مج). تحقيق: مصطفى ديب البغا. ط(3). بيروت: دار ابن كثير–اليمامة. 1407هـ–1987م، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله وقول الله جل ذكره [إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ]، الحديث:7، 9/1. // مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت:261هـ): **صحيح مسلم**، (4مج). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بلا ط وسنة نشر. بيروت:دار إحياء التراث العربي، كتاب الجهاد والسير، 6–باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، الحديث: 1773، 1396/3.

[4] مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الجهاد والسير، 6–باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، الحديث: 1773، 1397/3.

[5] ابن منظور: **لسان العرب**، 258/14. // وانظر: ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت:606هـ): **النهاية في غريب الحديث والأثر**، (5مج). تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي. ط(1399هـ–1979م). بيروت:المكتبة العلمية، 122/2.

كما ذكر ابن منظور مصدراً آخر لكلمة الدعاء وهو (الدعوى) قال: "والدعوى تصلح أن تكون في معنى الدعاء لو قلت: اللهم أشركنا في صالح دعاء المسلمين أو دعوى المسلمين جاز"[1].

وذكر الجرجاني[2] أنها مشتقة من الدعاء فقال: "الدعوى مشتقة من الدعاء وهو الطلب"[3] وكذا قال أبو البقاء[4] في الكليات[5].

"وإنه بيِّن الدَّعاوة والدعوى"[6].

"والدِّعاوة اسم من الادعاء"[7].

من كل ما سبق وبعد تتبع مادة "دعا" نلحظ الأمور الآتية:

أولاً: هناك أكثر من صيغة نصّ علماء اللغة على أنها مصدر لفعل "دعا" وهي كما وردت في هذا البحث: "دَعْوٌ ودعاية وداعية ودعوى ودعاوة".

ثانياً: عند إنعام النظر نجد أن الدعوى والادعاء بينهما تقارب في المعنى، ويأتيان بالمعنى نفسه في بعض الأحيان، هذا ما أشار إليه ابن جرير الطبري حيث قال: "وللدعوى في

---

[1] ابن منظور: **لسان العرب**، 257/14.

[2] هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي السيد الزين الحسيني الجرجاني الحنفي ويُعرف بالسيد الشريف، من مؤلفاته التعريفات (ت: 816هـ). // انظر: السخاوي، شمس الله بن محمد بن عبد الرحمن (ت:902هـ): **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، (6مج). بلا طبعة وسنة نشر. بيروت: دار مكتبة الحياة، مج3، 328/5.

[3] الجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت:816هـ): **التعريفات**، تحقيق: إبراهيم الأبياري. ط(1). بيروت: دار الكتاب العربي. 1405هـ، ص:139.

[4] هو أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، صاحب الكليات، كان من قضاة الأحناف، ولد سنة 1028هـ، وليّ القضاء بالقدس، ت:1094هـ. // انظر: الزركلي، خير الدين (ت:1976م): **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، (8مج). ط(6). بيروت: دار العلم للملايين. 1984م، 38/2.

[5] انظر: أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت:1094هـ): **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري. ط(2). بيروت: مؤسسة الرسالة. 1419هـ-1998م، ص:446.

[6] الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني الواسطي(ت:1205هـ): **تاج العروس من جواهر القاموس**، (40مج). تحقيق: مجموعة من المحققين. بلا ط وسنة نشر. دار الهداية، 38/48-49.

[7] مصطفى إبراهيم، وآخرون: **المعجم الوسيط**، (2مج). أشرف على طبعه: عبد السلام هارون. بلا ط وسنة نشر. طهران: المكتبة العلمية، 286/1.

كلام العرب وجهان: أحدهما الدعاء، والآخر الادعاء للحق، ومن الدعوى التي معناها الدعاء قول الله تبارك وتعالى: [فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ] "[1].

وقد أكد الراغب الأصفهاني المعنى الذي ذهب إليه ابن جرير، حيث استدل من قوله تعالى: [فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا] {الأعراف:5}، على أن الدعوى هي الادعاء، ومن قوله تعالى: [وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ] {يونس:10}، على أن الدعوى بمعنى الدعاء.[2]

ثالثاً: يُلحظ أن المصدرين "دعاية وداعية" يأتيان في مجال الدعوة، أي دعوة الأمم والملل إلى الإسلام، وهذا ما أشار إليه غير واحد من العلماء، استدلالا من كتاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلى هرقل[3]. وعليه فإن الطلب في هذا المعنى يأتي من الأدنى إلى الأدنى، أي من المخلوق إلى المخلوق، في حين أن الذي عليه مدار بحثنا هو الطلب من الأدنى إلى الأعلى أي من المخلوق إلى الخالق.

المطلب الثاني: الدعاء في الاصطلاح

تعددت تعريفات العلماء للدعاء في الاصطلاح.

فإن أبا البقاء عرّفه بأنه: "الرغبة إلى الله والعبادة"[4].

وفي إتحاف السادة، أضاف الزبيدي أن حقيقة الدعاء في الاصطلاح: "معنى قائم بالنفس، وهو نوع من أنواع الكلام النفسي، وله صيغ تخصه في الإيجاب افعل، وفي النفي لا تفعل، وقد

---

[1] الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد (ت:310هـ): **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (30مج). ط(1405هـ). بيروت: دار الفكر. 119/8.

[2] انظر: الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت:502هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: محمد سيد كيلاني. بلا ط وسنة نشر. بيروت: دار المعرفة. ص:170.

[3] انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، 258/14. // وانظر: ابن الأثير: **النهاية**، 122/2.

[4] أبو البقاء: **الكليات**، ص:447.

اجتمعا في قوله تعالى: [رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا ...الآية] [1]، وأضاف بأنه: "(الرغبة إلى الله) فيما عنده من الخير، والابتهال إليه بالسؤال، ومنه قوله تعالى: [ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً]"[2].

أما الخطّابي[3] فعرّف الدعاء في كتابه "شأن الدعاء"، أنه "استدعاء العبد ربه العنايةَ، واستمداده إياه بالمعونة، وحقيقته إظهار الافتقار إليه والبراءة من الحول والقوة التي له، وهو سِمَة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله"[4].

أما الحليمي[5] فقد عبّر عن معنى الدعاء بأنه: "قول القائل يا الله يا رحمن يا رحيم، وما أشبه ذلك"[6].

كما أن الدعاء "كلام إنشائي دال على الطلب مع خضوع ويسمى سؤالاً"[7].

وعرفه الجرجاني بأنه "قول يَطلب به الإنسان إثباتَ حقٍّ على الغير"[8].

وعرفه ابن الجوزي[9] بأنه "طلب الأدنى من الأعلى تحصيلَ الشيء"[1] أما دعاء المسألة

---

[1] الزبيدي: **إتحاف السادة**، 27/5.

[2] الزبيدي: **تاج العروس**، 46/28.

[3] هو حَمْد بن محمد بن إبراهيم بن الخطّاب البستي أبو سليمان، محدّث لغوي، فقيه، أديب، ت:388هـ، من تصانيفه معالم السنن في شرح كتاب السنن لأبي داود، غريب الحديث، شرح البخاري. // انظر: الأتابكي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تَغْري بردي (ت:874هـ): **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، (16مج). قدم له: محمد حسين شمس الدين. ط(1). بيروت: دار الكتب العلمية. 1413هـ-1992م، 201/4.

[4] الخطّابي، أبو سليمان حَمْد بن محمد بن إبراهيم (ت:388هـ): **شأن الدعاء**، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق. ط(3). دمشق: دار الثقافة العربية. 1412هـ-1992م، ص4.

[5] الحليمي هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم الجرجاني أبو عبد الله فقيه شافعي، صار إماما معظما في الحديث في ما وراء النهر، له: المنهاج في شعب الإيمان، ت:403هـ. // انظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت:681هـ): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، (8مج). تحقيق: إحسان عباس. بلا ط وسنة نشر. بيروت: دار صادر، 137/2.

[6] الحليمي، أبو عبد الله الحسين بن الحسن (ت:403هـ): **المنهاج في شعب الإيمان**، (3مج). تحقيق: حلمي محمد فودة. ط(1). دار الفكر. 1399هـ-1979م، 522/1.

[7] التهانوي، محمد علي بن علي بن محمد (ت:1158هـ): **كشاف اصطلاحات الفنون**، (4مج). وضع حواشيه: أحمد حسن بسج. ط(1). بيروت: دار الكتب العلمية. 1418هـ-1998م، 142/2.

[8] الجرجاني، **التعريفات**، ص:139.

[9] هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله البكري، ولد سنة:508هـ، وتوفي سنة:597هـ، له تصانيف في التفسير والحديث والفقه. // انظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت:911هـ): **طبقات المفسرين**، تحقيق: علي محمد عمر. ط(1). القاهرة: مكتبة وهبة. 1396هـ، 61/1.

كما يرى ابن القيم[2]: "طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره أو دفعه"[3].

بعد استعراض تعريفات العلماء لمصطلح الدعاء نلحظ أمرين اثنين:

1. أن كل واحد من العلماء قد تناول جانبا معينا من الدعاء، تناغمت جميعها لتصب في معنى شامل للدعاء.

فالزبيدي عبّر عن الدعاء من حيث هو رغبة ودافع للدعاء، ومعنى قائم بالنفس، وهذا هو الجانب النفسي للكلام، وهو ركن مهم لحصول ما قصده الزبيدي ثانية وهو (الكلام اللفظي المدعو به)، وأما الآخرون فقد أشاروا إلى الجانب اللفظي من الكلام، وأنه قول، وطلب، وسؤال، وهذا الجانب يتحصل بوجود الجانب النفسي.

2. كما يُلحظ في تعريف العلماء للدعاء إبراز الجانب التعبدي به فهو ابتهال ورغبة، واستمداد عون، وإظهار افتقار وذلة بشرية، وبراءة من الحول والقوة إلا بالله، وفيه معنى الثناء على الله، فكأنما قسّم العلماء من خلال تعريفاتهم، الدعاء إلى نوعين رئيسين في الإجمال: "دعاء عبادة وثناء" و"دعاء سؤال وطلب".

العلاقة بين المعنى في اللغة والاصطلاح:

---

[1] ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت:597هـ): **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي. ط(1). بيروت: مؤسسة الرسالة. 1404هـ-1984م، ص:292.

[2] هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي شمس الدين ابن قيم الجوزية الحنبلي، ولد سنة:691هـ، قرأ الفقه على ابن تيمية وكذلك الأصول، كان جريئا كثير العبادة، لازم ابن تيمية إلى أن مات، من أهم مؤلفاته التفسير القيم وبدائع الفوائد، توفي سنة:751هـ. // انظر: العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد الشهير بابن حجر (ت:852هـ): **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، (4مج). بلا معلومات نشر، 3/40-41.

[3] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ت:751هـ)، **بدائع الفوائد**، (4مج). تحقيق: هشام عبد العزيز عطا وآخرون. ط(1). مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز. 1416هـ-1996م، 3/513.

أما العلاقة بين المعنى في اللغة والاصطلاح، فإن مدلول الـــدعاء فـــي الاصـــطلاح لا يختلف عن معناه في اللغة، إذ إن المعنى في اللغة هو الرغبة والطلب والنداء والعبـــادة وهـــذا

المعنى نفسه، متحقق في الاصطلاح، فالداعي يرغب فيما عند الله من الخير، ويبتهل إليه بالسؤال، ويطلب ما ينفعه ودفع ما يضرّه، فيقول يا الله يا رحمن يا رحيم[1].

المطلب الثالث: النبي في اللغة

النبي في اللغة مشتق من النبأ، بمعنى الخبر، قال تعالى: [عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ(1) عَنِ النَّبَإِ العَظِيمِ(2)] {النَّبأ}.

وهو مشتق من النَّبْوَة والنَّباوة، وهي الارتفاع عن الأرض، أي أنه أشرف على سائر الخلق[2].

فالنبي يخبر عما يوحى إليه، وهو في الوقت نفسه أشرف الخلق وأرفعهم منزلة.

"وإنما سمي النبي: لأنه مُخْبَرٌ مُخْبِر، فهو مُخبَر، أي أنّ الله أخبره وأوحى إليه: [قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ العَلِيمُ الخَبِيرُ] {التَّحريم:3}، وهو مُخبِر عن الله تعالى أمره، ووحيه: [نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ] {الحجر:49}، [وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ] {الحجر:51}"[3].

المطلب الرابع: النبي في الاصطلاح

أما في الاصطلاح، فالنبي "مَن نبأه الله بخبر السماء"[4]، وعرفه الجرجاني بأنه: "مَنْ أُوحيَ إليه بمَلك، أو أُلهِمَ في قلبه، أو نُبّه بالرؤيا الصالحة"[5].

وبعد بيان معنى كل من الدعاء والأنبياء، في اللغة والاصطلاح، فإننا نستطيع أن نستنتج تعريفاً شاملا للمعنى الذي يدور البحث حوله **دعاء الأنبياء في القرآن الكريم** بأنه ما ورد عن الأنبياء من ثناء على الله، وابتهال إليه، ورغبة فيما عنده، بإظهار الافتقار، واستمداد العون بِسِمَة العبودية، لجلب الخير وكشف الضّرّ.

---

[1] انظر: العروسي أبو عبد الرحمن جيلان بن خضر: **الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية**، (2مج). ط(1). الرياض: مكتبة الرشد. 1417هـ-1996م، 1/48-49.

[2] انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، 1/162-163.

[3] الأشقر، عمر سليمان عبد الله: **الرسل والرسالات**، ط(4). الكويت: مكتبة الفلاح-مكتبة دار النفائس. 1410هـ-1989م، ص:13.

[4] الحنفي: ابن أبي العز (ت792هـ): **شرح العقيدة الطحاوية**، ط(4). بيروت: المكتب الإسلامي. 1391هـ، ص:167.

[5] الجرجاني: **التعريفات**، ص:307.

المطلب الخامس: مفردات الدعاء ودلالاتها في السياق القرآني

الناظر في كتاب الله، والمتتبع لورود لفظ "الدعاء" يخلص إلى أن لفظ الدعاء يحمل في طياته اثني عَشَرَ معنى.

وبعد النظر في هذه الألفاظ، تم اختيار بعض المواضع على سبيل المثال لا الحصر؛ لبيان دلالة تلك الشواهد القرآنية، على تلك الألفاظ. وبالله التوفيق.

أولاً: العبادة:

وذلك في قوله تعالى: [وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ] {غافر:60}.

أصل العبادة: التذليل، من قولهم طريق معبّد، أي: مذلل.

والعبادة والخضوع والتذلل والاستكانة قرائب بالمعاني، حيث كل خضوع ليس فوقه خضوع فهو عبادة، والعبادة نوع من الخضوع لا يستحقه إلا المنعم بأعلى أجناس النعم[1].

لقد ورد ذكر الدعاء في آيات كتاب الله –عز وجل– بمعنى العبادة، فجاءت مقترنة مع بعضها في الآية نفسها في بعض المواضع، مما يدل على أنها تؤدي المعنى نفسه، ومثال ذلك قول الله –عز وجل–: [وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ] {غافر:60}.

ذكر ابن حجر[2] أن آخر الآية دل على أن المراد بالدعاء العبادة[3].

كما ورد تعاقب الدعاء والعبادة في آيات الكتاب العزيز في شواهد كثيرة كما في قوله تعالى: [قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا] {الأنعام:71}، يعني أنعبد من دون الله[4].

---

[1] انظر: ابن سيده: **المخصص**، مج4، 96/13.

[2] هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، مصري المولد والوفاة، شافعي، يعرف بابن حجر، محدث ومؤرخ، أديب وشاعر، من تصانيفه فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الإصابة في تمييز الصحابة، والدرر الكامنة، توفي:852هـ. // انظر: السخاوي: **الضوء اللامع**، مج1، 36/2.

[3] ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت:852هـ): **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، (15مج). تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز. ط(1424هـ–2004م). القاهرة: دار الحديث. 107/11.

[4] انظر: البلخي، مقاتل بن سليمان (ت:150هـ): **الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**، تحقيق: حاتم صالح الضامن. ط(1). دبي: مركز جُمعة الماجد للثقافة والتراث. 1427هـ–2006م، ص:115.

وقد استعملت متصرفات العبادة ضمن الموضوع نفسه كما جاء في قوله تعالى: [وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ] {يونس:18}، وقوله تعالى: [قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا] {المائدة:76}، فقد تعاقب ذكر كل من العبادة والدعاء في إطار الحديث عن جهالة المشركين في التوجه لغير الله في العبادة[1].

ومن هذا القبيل أيضا، ما حكاه القرآن عن قصة إبراهيم –عليه السلام– مع أبيه آزر، فيقول الله تعالى على لسان إبراهيم –عليه السلام– في سورة مريم: [وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا(48) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا(49)] {مريم}.

يظهر جليا، أن الآية الكريمة الأولى، تروي لنا: أن إبراهيم –عليه السلام– أخبر قومه، أنه سيعتزلهم وما يدعون من دون الله وسيجعل الدعاء لله وحده، وأما الآية الكريمة الثانية: فتقرر أن إبراهيم –عليه السلام– قد اعتزل قومه وما يعبدون من دون الله، فانظر كيف وضع القرآن العبادة مكان الدعاء؟![2]

ثانياً: النداء:

وذلك في قوله تعالى: [وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الوَارِثِينَ] {الأنبياء:89}.

والنداء "مصدر ناديت، والنداء الاسم، وهو الصياح"[3].

وقد ذكر أبو البقاء أنّ "النداء هو رفع الصوت وظهوره، وقد يقال للصوت المجرد وإياه عُني بقوله: **(إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً)**"[4].

لقد جاء النداء بمعنى الدعاء في شواهد قرآنية كثيرة، ومن هذه الشواهد ما جاء على لسان زكريا –عليه السلام–: [وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا] {الأنبياء:89}.

---

[1] انظر: العروسي: **الدعاء**، 67/1.

[2] انظر: محمد، سعد صادق: **صراع بين الحق والباطل**، ط(4). الرياض: دار اللواء للنشر والتوزيع. 1398هـ–1987م، ص:84.

[3] ابن سيده: **المخصص**، مج1، 133/1.

[4] أبو البقاء: **الكليات**، ص:907.

في حين قال في آية أخرى: [هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ] {آل عمران:38}.

فالآيتان تحدثتا عن دعاء زكريا–عليه السلام–، تارة بلفظ دعا، وتارة أخرى بلفظ نادى[1]، فثبت أن الدعاء كالنداء، بل قد يستعمل كل واحد منهما موضع الآخر، قال تعالى: [وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً] {البقرة:171}[2].

قال النسفي: "والمعنى ومثل داعيهم إلى الإيمان في أنهم لا يسمعون من الدعاء إلا جرس النغمة، ودويّ الصوت، في غير إلقاء أذهان ولا استبصار، كمثل الناعق بالبهائم، التي لا تسمع إلا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجر لها، ولا تفقه شيئا آخر كما يفهم العقلاء، والنعيق: التصويت"[3].

ثالثا: الذكر:

ومن ذلك قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا] {الأحزاب:41}.

إن الذكر "الحفظ للشيء... والذكر أيضا الشيء يجري على اللسان"[4].

وقد ورد إطلاق الذكر على الدعاء والتسبيح، والشكر، والطاعة، والشرف، وعليه فإن الذكر من الدعاء، وذلك استدلالا من قول رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إلا الله وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ"[5].

فالنبي الكريم عد حمد الله من أفضل الدعاء، وفي هذا الجانب علل المباركفوري سبب هذا الأمر بقوله أن الدعاء عبارة عن ذكر الله، وأن يطلب منه الحاجة، والحمد يشملهما فإنْ حمد الله، يحمده على نعمته، والحمد على النعمة: طلب المزيد، وهو رأس الشكر.

---

(1) الحليمي: **المنهاج**، ص:522.

(2) الأصفهاني: **المفردات**، ص:170.

(3) النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود (ت:710هـ): **تفسير النسفي المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، (2مج). بلا ط وسنة نشر. دار الفكر، مج1، 88/1.

(4) ابن منظور: **لسان العرب**، 308/4. // وانظر: مصطفى: **المعجم الوسيط**، 313/1.

(5) الترمذي: **سنن الترمذي**، كتاب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، 9–باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، الحديث:3383، 462/5. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم.

ثم أضاف المباركفوري أن الحمد لله يمكن أن يكون من باب التلميح بالإشارة إلى قوله تعالى: [اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ][1].

وقد ذهب ابن تيمية كذلك، إلى اعتبار الدعاء من الذكر وذلك من باب أن الدعاء هو ذكر للمدعو سبحانه يتضمن الطلب والثناء على الله بأوصافه وأسمائه.

وقد علل ذلك كون الحمد يتضمن الحب والثناء، والحب أعلى أنواع الطلب، إذ إن الحامد طالب للمحبوب، فهو أحق أن يسمى داعيا من السائل الطالب، فالحمد والثناء متضمن لأعظم الطلب[2].

أما الزّجاج فقد بين كيفية تسمية الذكر والثناء دعاء، منطلقا من أن النداء من معاني الدعاء، والإنسان يصدر في الذكر والثناء بالنداء بقوله: يا الله ويا رب ويا حي فكذلك سمي دعاء[3].

وبناء على ما سبق، فإن الذكر من العبادة، وبالتالي فهو إلى دعاء العبادة أقرب، بل إن مفهومه ومفهوم دعاء العبادة متساويان.

قال ابن تيمية: "إن كل واحد من الدعاء والذكر يتضمن الآخر ويدخل فيه"[4].

ويستدل ابن تيمية على ذلك من قوله تعالى: [وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً] {الأعراف:205}، حيث أمر تعالى نبيه أن يذكر الله في نفسه، وفي آية الدعاء قال تعالى: [ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً] {الأعراف:55}، فذكر التضرع فيهما معا وهو التذلل والانكسار وهو روح الذكر والدعاء[5].

---

[1] انظر: المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (ت:1353هـ): **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، (10مج). بلا ط وسنة نشر. بيروت: دار الكتب العلمية، 229/9.

[2] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحرّاني (ت:728هـ): **مجموع الفتاوى**، (35مج). جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي. بلا معلومات نشر، 19/15.

[3] الزجّاج، أبو إسحق إبراهيم بن السَّرِيْ (ت:311هـ): **معاني القرآن وإعرابه**، (5مج). شرح وتحقيق: عبد الجليل عبده شلبي. ط(1). عالم الكتب. 1408هـ-1988م، 255/1.

[4] ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، 19/15.

[5] انظر: المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها.

رابعاً: الصلاة:

ومن ذلك قوله تعالى: [وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ] {التوبة:103}.

الصلاة الدعاء وهو أصل معانيها[1].

ويقال: صليت عليه أي دعوت له وزكيت[2].

وقد ورد لفظ الصلاة بمعنى الدعاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا دُعِيَ أحدكم فَلْيُجِبْ فَإِنْ كان صَائِمًا فَلْيُصَلِّ وَإِنْ كان مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ"[3].

ذكر النووي في معنى قول النبي "فليصل"، أي: فليدع لأهل الطعام بالمغفرة والبركة، مؤكدا قوله كون الصلاة هي الدعاء، مستدلا بقوله تعالى: [وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ] {التوبة:103}[4].

قال الآلوسي: أي ادع لهم واستغفر لهم، لأن دعاء النبي تسكن نفوس المؤمنين إليه وتطمئن قلوبهم به[5].

أما عن النسبة بين الصلاة والدعاء فيقول ابن تيمية: "إن الصلاة بالمعنى العام تتضمن كل ما كان ذكرا لله أو دعاء له... وهذا المعنى –وهو دعاء الله– أي قصده والتوجه إليه، المتضمن ذكره على وجه الخشوع والخضوع، هو حقيقة الصلاة الموجودة في جميع موارد اسم الصلاة"[6].

خامساً: الابتهال:

ومن ذلك قوله تعالى: [ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الكَاذِبِينَ] {آل عمران:61}.

---

[1] انظر: الزبيدي: **تاج العروس**، 437/38. // وانظر: الرازي: **مختار الصحاح**، 154/1.

[2] الأصفهاني: **المفردات**، ص:285.

[3] مسلم: صحيح مسلم، **كتاب النكاح**، باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة، الحديث: 1431، 1054/2.

[4] انظر: النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مريّ (ت:676هـ): **صحيح مسلم بشرح النووي**، 18مج. ط(2). بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1392هـ، 236/9.

[5] انظر: الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود (ت:1270هـ): **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، (30مج)، بلا ط وسنة نشر. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 14/11.

[6] ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، 215/14.

والابتهال: الاجتهاد في الدعاء وإخلاصه، وهو التضرع، ويطلق التبهل على العناء بالطلب[1].

وقد ورد ذكر المباهلة في كتاب الله، في سورة آل عمران، ردا على من عاند الحق من وفد نصارى نجران، وادعائهم إلهية عيسى –عليه السلام– حيث طلب الحق سبحانه من النبي –صلى الله عليه وسلم– أن يطلب منهم القدوم للمباهلة، وإحضار أبنائهم ونسائهم معهم، وكذلك النبي، ثم يدعون الله أن يلعن الكاذبين، وذلك في قوله تعالى: [إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ(59) الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ المُمْتَرِينَ(60) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الكَاذِبِينَ(61)]{آل عمران}، ومن هنا فإن الابتهال هو الدعاء، ويقول ابن جُزيّ[2]: إن الابتهال استعمل في كل دعاء يجتهد فيه، وإن لم يكن لعنة[3].

من خلال ما سبق يتبين أن الابتهال خاص بالدعاء المبالغ بأدائه، والذي يجتهد الإنسان في تحقيقه، ويكون من صفته الإخلاص.

سادساً: الاستغفار:

ومن ذلك قوله تعالى: [اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ] {التوبة:80}.

الاستغفار مصدر استغفر، يقال: "غفر الله ذنوبه أي سترها... واستغفر الله من ذنبه ولذنبه بمعنى، فغفر له ذنبه مغفرة وغفرا وغفرانا"[4].

---

[1] انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، 72/11.

[2] هو أبو القاسم محمد بن أحمد بن جُزَيّ الكلبي الغرناطي، ألّف في فنون العلم منها: وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم، والقوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، وتقريب الوصول إلى علم الأصول، توفي شهيدا في واقعة طريف سنة:741هـ. // انظر: مخلوف، محمد بن محمد (ت:1360هـ): **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، بلا ط وسنة نشر. دار الفكر، ص:213.

[3] انظر: ابن جُزيّ، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي (ت:741هـ): **التسهيل لعلوم التنزيل**، (4مج)، ط(4). بيروت: دار الكتاب العربي. 1403هـ–1983م، 109/1.

[4] ابن منظور: **لسان العرب**، 25/5–26.

يظهر لنا أن الاستغفار من الدعاء، لأن المستغفر يطلب من الله أن يتجاوز عن ذنوبه ويسترها، فهو بذلك يطلب دفع الشر عن نفسه، فهذا نبي الله نوح –عليه السلام– يطلب من قومه طلب المغفرة لذنوبهم، فيقول لهم: [فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا] {نوح:10}.

كما أن الاستغفار من أنواع الدعاء، التي يتعبد بها الإنسان لخالقه، فهو خاص بأمور العبادة، وبذلك فإن الدعاء يعم طلب الخير ودفع الشر، والاستغفار يختص بدفع الشر، وهو طلب مغفرة الذنوب.

سابعاً: الاستعاذة:

ومن ذلك قوله تعالى: [قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ] {يوسف:23}.

والاستعاذة من "عاذ به يعوذ عوذا وعياذا ومعاذا، لاذ به، ولجأ إليه واعتصم"[1].

والاستعاذة هي الالتجاء إلى الله تعالى، والالتصاق بجانبه، من شر كل ذي شر[2].

يفهم من ذلك أن الاستعاذة تكون من شيء مكروه؛ لدفع ضره، فهي من الدعاء بدفع المكروه، كما أن فيها التجاءً واعتصاما وافتقارا إلى الله.

يقول ابن القيم: "لفظ عاذ وما تصرف منها، يدل على التحرز والتحصن والنجاة، وحقيقة معناها الهروب من شيء تخافه، إلى من يعصمك منه"[3].

وقد ورد الدعاء بلفظ الاستعاذة على لسان يوسف –عليه السلام– مرتين، في الأولى التجأ فيها إلى ربه مفتقرا إليه؛ ليعصمه من زلل المعصية، وذلها، هروبا من الاغراءات المستمرة، فقال: [قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ] {يوسف:23}، واستعاذ بالله ثانية من أن يكون ظالما، حين راوده إخوته أن يأخذ أحدهم مكان أخيهم الذي سرق، فاستعاذ بالله قائلا: [قَالَ مَعَاذَ اللهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ] {يوسف:79}.

---

[1] المرجع السابق، 498/3.

[2] ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت:774هـ): **تفسير القرآن العظيم**، (4مج). ط(1401هـ). بيروت: دار الفكر، 16/1.

[3] ابن القيم: **بدائع الفوائد**، 426/2.

وقد أمر الله –سبحانه– نبيه بهذا النوع من الدعاء، يرشده بأن يستعيذ من أمور يقع منها الضرر على الناس، فأمره بالمعوذتين، قال تعالى: [قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ] {الفلق:1}. وقوله تعالى: [قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ] {الناس:1}.

وكذلك في قوله تعالى: [وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ] {الأعراف:200}، وقوله تعالى: [وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ(97) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ(98)] {المؤمنون}.

إذن الاستعاذة بالنسبة للدعاء، هي خاصة بنوع وهو طلب دفع المكاره، أما الدعاء ففيه دفع المكاره وجلب المسارّ.

ثامناً: السؤال:

ومن ذلك قوله تعالى: [قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى] {طه:36}.

والمعنى أي "آتاه طِلبته ومرغوبه، والسؤل: الطِلْبة"[1].

ومنه قول الله تعالى: [يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ] {الرَّحمن:29}.

إن المعنى المقصود بالسؤال في هذه الشواهد القرآنية، هو ما كان من الدعاء بمعنى الطلب، والذي أشار إليه ابن سيده "طلب الطالب للفعل من غيره"[2].

ونستدل ذلك من قوله تعالى: [كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا] {الفرقان:16}.

يقول الآلوسي إنه "وقع جوابا لسؤال نشأ مما قبله"[3].

ويوضح الشوكاني هذا الوعد المسؤول بأنه "الوعد المحقق بأن يُسأل ويُطلب كما في قوله: [رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ]، وقيل: إن الملائكة تسأل لهم الجنة، كقوله: [وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ]"[4].

---

[1] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت:671هـ): **الجامع لأحكام القرآن**، (20مج). بلا ط وسنة نشر. القاهرة: دار الشعب، 195/11.

[2] ابن سيده: **المخصص**، مج4، 88/13.

[3] الآلوسي: **روح المعاني**، 246/18.

[4] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت:1255هـ): **فتح القدير**، (5مج). بلا ط وسنة نشر. بيروت: دار الفكر، 65/4.

إذن المعنى المقصود بالدعاء بمعنى السؤال هو ما كان فيه معنى الطلب والذي أشار إليه ابن سيده، وإذا أمعنا الفكر بهذا الطلب بالنسبة للدعاء فإنه لا يكون إلا لجلب المنفعة، فالنسبة بينهما العموم والخصوص.

تاسعاً: الشفاعة:

ومن ذلك قوله تعالى: [مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ] {البقرة:255}.

يقال "شفع لي يشفع شفاعة، وتشفع: طلب... واستشفعه طلب منه الشفاعة، أي قال له كن لي شافعا"[1].

وقد ورد لفظ الشفاعة في كتاب الله في مواضع عدة نذكر منها قوله تعالى: [مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا] {النساء:85}.

قال القرطبي: يقصد بالشفاعة الحسنة الدعاء للمسلمين، والسيئة الدعاء عليهم[2].

كما أكد أبو السعود من أنه يندرج في الشفاعة الدعاء للمسلم، حيث إن الدعاء شفاعة إلى الله سبحانه[3].

أما قوله تعالى: [مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ] {البقرة:255}، فقد أثبت الحق –سبحانه– في هذه الآية الكريمة أن الشفاعة لا تكون لأحد إلا بإذن الله، فالشفاعة كلها له، لكنه سبحانه إذا أراد أن يرحم من يشاء من عباده، أذن لمن أراد أن يكرمه من عباده أن يشفع فيه، ولا يبتدئ الشافع قبل الإذن[4].

أما النسبة بين الشفاعة والدعاء فإن الذي يظهر أن الشفاعة دعاء مخصوص بطلب التجاوز عن الجرائم، فالنسبة بينهما العموم والخصوص، فكل شفاعة دعاء، وليس كل دعاء شفاعة؛ لأنها خاصة بطلب التجاوز والدعاء عام[5].

---

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، 184/8.

(2) انظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، 295/5.

(3) انظر: أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت:982هـ): **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، (9مج). بلا ط وسنة نشر. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 210/2.

(4) انظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت:1376هـ): **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان**، تحقيق: ابن عثيمين. ط(1421هـ–2000م). بيروت: مؤسسة الرسالة، 110/1.

(5) انظر: العروسي: **الدعاء**، 96/1.

عاشراً: الاستغاثة:

ومن ذلك قوله تعالى: [إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ المَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ] {الأنفال:9}.

يقال: "أجاب الله دعاءه وغُواثه وغَواثه"[1].

يقول الزبيدي: إن الاستغاثة "طلب الغوث وهو التخليص من الشدة والنقمة، والعون على الفكاك من الشدائد"[2].

والذي يبدو من أن الإغاثة طلب الغوث: أن هذا النوع من الدعاء يندرج تحت الطلب والسؤال، فقد طلب نبي الله الغوث والنصر من الله تعالى، ولجأ إليه فقال: [إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ المَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ] {الأنفال:9}.

يوضح الزمخشري معنى استغاثة النبي وأصحابه "أنهم لما علموا أنه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله"[3].

أما عن النسبة بين الاستغاثة والدعاء فيوضحها ابن تيمية قائلا: "أن المستغيث ينادي بالغوث، والداعي ينادي بالمدعو والمغيث"[4].

يفهم من كلام ابن تيمية أن الدعاء أعم من الاستغاثة، وإنما يكون المستغيث في حال مخصوص، وهو وقت الشدة والكرب، أما الدعاء فيكون بالشدة والرخاء.

أحد عشر: الاستجارة:

ومن ذلك قوله تعالى: [قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا] {الجنّ:22}.

الاستجارة من "جار واستجار، طلب أن يجار، أو سأله أن يجيره"[5].

---

[1] الرازي: **مختار الصحاح**، 202/1.

[2] الزبيدي: **تاج العروس**، 314/5.

[3] الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمر الخوارزمي (ت:538هـ): **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، (4مج). تحقيق: عبد الرزاق المهدي. بلا ط وسنة نشر. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 190/2.

[4] ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، 111/1.

[5] الزبيدي: **تاج العروس**، 486/10.

"وأجاره الله من العذاب، أنقذه"[1].

وقد ورد ذكر الاستجارة في قوله تعالى: [وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ] {التوبة:6}.

ومن أجاره الله لم يوصل إليه، وهو سبحانه وتعالى يجير ولا يجار عليه، أي يعيذ، وقال الله تعالى لنبيه: [قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا] {الجنّ:22}، والمعنى أنه لا أحد أستجير به، ينقذني من عذاب الله[2].

والذي يظهر مما سبق أن الاستجارة نوع من الدعاء خاص بدفع المكاره ودفع الضر، وبالتالي فإن النسبة بينها وبين الدعاء، العموم والخصوص.

اثنا عشر: الجؤار:

ومن ذلك قول الله تعالى: [حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ] {المؤمنون:64}.

فالجؤار من "جأر يجأر جأرا، وجؤارا، رفع صوته مع تضرع واستغاثة... وجأر الرجل إلى الله عز وجل، إذا تضرع بالدعاء"[3].

وقد ورد لفظ الجؤار بمعنى الدعاء في كتاب الله بشواهد قرآنية منها قوله تعالى: [حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ] {المؤمنون:64}، وقوله تعالى: [وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ] {النحل:53}.

قال ابن جُزيّ أي "ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والتضرع"[4].

والذي يظهر أن الجؤار دعاء يصاحبه رفع صوت مع استغاثة، وبالتالي يخرج منه الدعاء الخفي، لينحصر الجؤار بنوع خاص من الدعاء، وهو ما يصاحبه رفع الصوت، فالدعاء عام والجؤار خاص.

---

[1] الرازي: **مختار الصحاح**، 49/1.

[2] انظر: السعدي: **تيسير الكريم الرحمن**، 891/1.

[3] ابن منظور: **لسان العرب**، 112/4. // وانظر: الزبيدي: **تاج العروس**، 346/10.

[4] ابن جُزيّ: **التسهيل لعلوم التنزيل**، 155/2. // وانظر: أبو السعود: **إرشاد العقل السليم**، 120/5.

وبعد بيان معنى الدعاء في اللغة والاصطلاح وتتبع معانيه في السياق القرآني، يتضح أنّ معانيه تتعدد، والذي يعنينا في هذه الدراسة، ما ورد من أدعية للأنبياء بمعنى الرغبة إلى الله والابتهال واللجوء إليه؛ لجلب الخير ودفع الضر، وما كان بمعنى العبادة وبسِمَة العبودية لله.

سائلة المولى أن نخرج بأنموذج للدعاء يشمل حياتنا في كل مجالاتها، وعلى أسس قرآنية، متأسّين بالرسل -عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم-.

المبحث الثاني

أهمية الدعاء في القرآن الكريم

جاءت النصوص في كتاب الله وسنّة رسوله –صلى الله عليه وسلم– تبيّن فضل الدعاء وتنوّه بمكانته، وترغّب فيه، وتحثّ عليه، وقد تنوعت دلالات هذه النصوص المبينة لفضل الدعاء، والموضحة للمنهج القرآني في تحقيقه، وذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول: مكانة الدعاء وفضله في القرآن الكريم

الدعاء من أجلّ العبادات، وأعظم الطاعات، نجد له منزلة عظيمة، ومكانة عليّة، رفيعة الشأن، فالناظر في كتاب الله –عز وجل– يدرك اهتمام الحق بهذه العبادة، فقد افتتح القرآن بالدعاء والثناء في فاتحة الكتاب، واختتم أيضا بالدعاء في سورة الناس، وما ذلك إلا لأهميته، ولضرورة أخذه منهج حياة، فإنّ فيه حقيقة الافتقار إلى الله، ودوام الحاجة إليه، مع أن الله –تعالى ذِكرُه– غني عن دعوات العباد، فيقول تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ] {فاطر:15}، ومع ذلك فإن الله تعالى، يحبّ سماع صوت الداعين، ويفرح بتوبتهم؛ لأن في الدعاء تأصيلا للعلاقة بين العبد وخالقه، هذه العلاقة القائمة على حسن الظنّ بالخالق، فإنّ "الدعاء أهم مقامات العبودية"[1]، وإنه "من مقتضى العبودية الخالصة، أنْ يُحسن العبد ظنه بالخالق العظيم، وأنه يجيب دعاءه إذا دعاه"[2]، لذلك أرشدنا الله –سبحانه– إلى أنه منّا قريب، وأمرنا أن نتوجه إليه مباشرة دونما وساطة، وحينما نريد، فقال: [وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ] {البقرة:186}.

تُلحظ هنا حكمة جليلة تضمنتها هذه الآية الكريمة، تلك أن سنّة القرآن جَرَتْ، حيث ورد لفظ السؤال، جاء عقبه لفظ (قُلْ)، إلا في هذا الموضع، فقد تركها، وجاء بلفظ "فإني قريب" مباشرة؛ لتوحي بالقرب والعناية والحفظ من الله تعالى.

---

[1] الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي (ت:606هـ): **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، (16مج). ط(1). بيروت: دار الكتب العلمية. 1421هـ–2000م، 84/5.

[2] الرافعي، قاسم الشماعي: **المختار في المواعظ والأحكام والأخبار**، ط(1). بيروت: المكتب الإسلامي. 1406هـ–1986م، ص:481.

وشواهد السؤال والإجابة كثيرة في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: [وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي] {الإسراء:85}، وقوله تعالى: [وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا] {طه:105}، وقوله تعالى: [يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ] {البقرة:219}، وقوله تعالى: [يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ للهِ وَالرَّسُولِ] {الأنفال:1}، وغيرها من الأسئلة التي جاءت الإجابة عليها بلفظ "قل"، وفي صورة واحدة فقط جاء الجواب دون هذا اللفظ وهو: " وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ " ولم يقل: "فقل إني قريب".

ذكر العلماء أن سبب هذا الحذف لكلمة "قل" إنما هو للدلالة على تعظيم حال الدعاء، وذلك من وجوه:[1]

أولها: كأنه –سبحانه وتعالى– يقول: عبدي أنت إنما تحتاج إلى الواسطة في غير وقت الدعاء، أما في مقام الدعاء، فلا واسطة بيني وبينك.

ثانيها: إضافة العبد بياء التشريف: " وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي" يدل على أن العبد له، وقوله: " فَإِنِّي قَرِيبٌ" يدل على أنّ الربّ للعبد.

ثالثها: لم يقل العبد مني قريب، بل قال أنا منه قريب.

رابعها: الداعي إذا كان خاطره مشغولا بغير الله، فإنه لا يكون داعيا، أما إذا أخلص الدعاء واستغرق في معرفة الله، امتنع أن يبقى بينه وبين الأحد واسطة، فلا جرم حصل القرب، وبذلك فالدعاء يفيد القرب من الله فكان الدعاء أفضل العبادات، والقرب كما فسره الرازي بمعنى أن الله تعالى يسمع دعاءهم ويرى تضرعهم، أو هو العلم والحفظ، ومن هذا الوجه قال تعالى: [وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ] {الحديد:4}، وقال: [وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ] {ق:16}.[2]

هذا عن أهمية الدعاء في كتاب الله، أمّا عنه في حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقد أكّد نبينا –صلى الله عليه وسلم– أن الله –تعالى– قد تعبدنا في الدعاء، فقد سماه في القرآن عبادة، مما دعا النبي –صلى الله عليه وسلم– أن يحصر العبادة في الدعاء[3]، كما جاء في حديث النعمان بن بشير –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:

---

[1] انظر: الرازي: **مفاتيح الغيب**، 84/5. // وانظر: الزبيدي: **إتحاف السادة**، 28/5.

[2] انظر: الرازي: **مفاتيح الغيب**، 82/5.

[3] انظر: عمير، أبو طه محمد محمود مصطفى: **المؤمنون كما وصفهم الله في القرآن**، بلا معلومات نشر، ص:229.

"الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ، ثم قرأ: [وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ] {غافر:60}"[1].

ففي الحديث دلالة واضحة على أهمية الدعاء، ومعنى قوله –صلى الله عليه وسلم– الدعاء هو العبادة، أي: "هو العبادة الحقيقية التي يُستأهل أن تسمى عبادة؛ لدلالته على الإقبال على الله، والإعراض عما سواه، بحيث لا يرجو، ولا يخاف إلا إياه، قائما بوجوب العبودية، معترفا بحق الربوبية"[2].

كما يُلحظ في الحديث حصر الدعاء في العبادة، وذلك من خلال ضمير الفصل "هو"، والخبر المعرف باللام "العبادة" وهذا يدل على أن الدعاء معظم العبادة، أو أنه العبادة، سواء أُستجيب أم لم يُستجَب؛ لأن في الدعاء إظهارا للعجز والاحتياج في النفس والاعتراف بأنّ الله –تعالى– قادر على إجابته كريم، ولا احتياج له إلى شيء، حتى يمنع عن عبادة شيء، وهذه الأشياء كلها هي العبادة[3].

ومما يدل على أهمية الدعاء ومكانته ، أنه "العروة الوثقى التي يتعلق بها العبد فيما هو بسبيله من أعمال... لأن العبد في حال تضرعه إلى الله، يكون مستأنسا برعايته، ومطمئنا إلى معونته، ولقد بيّن لنا النبي –صلى الله عليه وسلم– أن فضل الدعاء عند الله تعالى يسبق كل فضل، فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: " لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ الدُّعَاءِ[4]".[5]

---

[1] سبق تخريجه، ص:4.

[2] العظيم آبادي، أبو الطيب، محمد شمس الحق (ت: قبل 1322هـ): **عون المعبود بشرح سنن أبي داود**، (14مج)، ط(2). بيروت: دار الكتب العلمية. 1995م، 247/4.

[3] انظر: المباركفوري: **تحفة الأحوذي**، 220/9.

[4] أخرجه الترمذي، **سنن الترمذي**، كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء، الحديث: 3370، 385/5، وقال: هذا حديث غريب// وأخرجه الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت:405هـ): **المستدرك على الصحيحين**، (4مج). تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط(1). بيروت: دار الكتب العلمية. 1411هـ–1990م، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، الحديث:1801، 666/1، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

[5] طنطاوي، محمد السيد (ت:2010م): **جوامع الدعاء**، بلا ط وسنة نشر. بنغازي: دار مكتبة الأندلس، ص:20–21.

ففي هذه الأحاديث دلالة على فضل الدعاء ورفعة مكانته من العبادة، وأنه روحها ولبّها وأفضلها وقد علل أهل العلم ذلك من وجوه:[1]

منها: أن الدعاء فيه التضرع إلى الله وإظهار الضعف والحاجة إليه سبحانه.

ومنها: أن العبادة كلما كان القلب فيها أخشع، والفكر فيها حاضرا، فهي أفضل وأكمل، فإن حاجة العبد تدفعه إلى الخشوع وحضور القلب.

ومنها: أن الدعاء ملازم للتوكل والاستعانة بالله.

المطلب الثاني: منهج القرآن الكريم في بيان أهمية الدعاء

بيّن لنا القرآن الكريم بأسلوبه الفريد، تأصيل العلاقة بين الحق والخلق؛ كي يكون منهجا ربانيا وفق إرادته –سبحانه– منطلقا من فطرة الناس التي فطر الناس عليها، وشعورهم الدائم بالحاجة إليه، معرّفا لهم بقدرته المطلقة، لذا جاءت النصوص القرآنية واضعةً ضوابطَ لهذا المَعْلَم، منوّهة على فضله، مرغّبة فيه؛ لتصحح مساره.

أولاً: التنبيه على تفرّد الله وحده بكشف الضرّ:

الناس جميعا، مؤمنهم وكافرهم، حين ينزل البلاء، تجدهم يذكرون الله ويفزعون إليه، حتى فرعون فإنه حين أدركه الغرق قال آمنت، وهكذا الناس تُدْنيهم الشدائد من الله وتقربهم منه[2].

والإنسان بطبيعته معرض للبلاء في كل حين، وإنه بذلك يحتاج إلى قوة يتوجه إليها، ويلوذ بها، فتسنده لكشف ما ألمّ به، فاللجوء إلى الله وقت الشدائد أمر فطري في النفس، فالفطرة تستصرخ بارئها؛ لأنها توقن وتشعر بوحدانيته، قال تعالى: [وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ

---

[1] انظر: البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن: **فقه الأدعية والأذكار**، بلا ط وسنة نشر. دار ابن القيم– دار ابن عفان، ص:13.

[2] انظر: الخطيب، عبد الكريم: **التفسير القرآني للقرآن**، (16مج)، بلا معلومات نشر، 145/4.

هَذَا غَافِلِينَ] {الأعراف:172}، لقد تمكنت دلائل الربوبية من أنفسهم، وركب في عقولهم ما يدعوهم إلى الإقرار بها، والإشهاد بها على أنفسهم[1].

والمتأمل في حديث القرآن عن الطبائع البشرية، يراه قد بيّن أن الناس أكثر ما يكونون اتجاها إلى الله، وضراعة إليه، عندما تحيطهم المكارِه، وتنزل بهم الضرّاء، والقرآن الكريم يصور لنا هذه الطبيعة بأسلوبه الحكيم فيقول: [وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] {يونس:12}[2]، ويقول أيضا: [وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ] {الرُّوم:33}.

ذهب ابن جُزيّ هذه الآيات تشير إلى "عتاب في ضمنه نهي لمن يدعو الله عند الضرّ، ويغفل عنه عند العافية"[3].

وتشير إلى أن هذا الإنسان في حال الاضطرار يدعو الله وحده، وإذا أسبغ عليه المُنعم، إذا فريق منهم في حال الاختيار، يشركون بالله ويعبدون معه غيره[4].

وقد بيّن هذا في مواضع أُخر كقوله: [وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ] {الزُّمر:8}.

ويستمر القرآن بتذكير هذا الغافل، أن الله –تعالى– هو وحده القادر على كشف الضر الذي يصيبه.

فضلا عن الشواهد التي ذكرناها، فإن هناك شواهد غيرها في كتاب الله، منها قوله تعالى: [وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] {الأنعام:17}، ويقول سبحانه: [قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ إِنْ

---

[1] انظر: البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت:791هـ): **تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، (2مج). حققه: مجدي فتحي السيد وياسر سليمان أبو شادي. بلا ط وسنة نشر. القاهرة: المكتبة التوفيقية، 466/1.

[2] انظر: عبد العزيز، جُمعة أمين: **فهم الإسلام في ظلال الأصول العشرين للإمام حسن البنا**، بلا ط وسنة نشر. الإسكندرية: دار الدعوة، ص:251–252.

[3] ابن جُزيّ: **التسهيل لعلوم التنزيل**، 90/2.

[4] انظر: ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، 435/3.

كُنْتُمْ صَادِقِينَ(40) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ(41)] {الأنعام}، فهم حين يأتي العذاب لا يدعون حينئذ إلا الله، ولا يدعون آلهتهم، وهذا دليل على إبطال شركهم والاحتجاج عليهم، وإثبات التوحيد[1].

ثم يبين الله –تعالى– أنه ما من نعمة تصيب الإنسان من رزق أو صحة جسم أو غيرها، فمن الله وحده، فيقول: [وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ(53) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ(54)] {النحل}، إلا أن الله –تعالى– يستثني من هذه الصفات الذميمة عباده المؤمنين بقوله في سورة هود: [وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ(10) إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ(11)] {هود}.

ثانياً: الحثّ على الدعاء والنهي عن تركه:

الدعاء أساس العبودية وروحها، وهو عنوان التذلل لله والانكسار بين يدي العزيز القهار، لهذا حثّ الله عباده على الدعاء في آي كثيرة من القرآن الكريم[2] نذكر منها قوله تعالى: [وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا] {النساء:32}، ويقول أيضا: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] {المائدة:35}.

إنّ مَن يُلهم الدعاء، يُكرمه الله بالإجابة، لأن الله –يقينا– ضمنها لمن دعاه، فقال تعالى: [ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ] {غافر:60}، فالله تعالى "وعد من دعاه أن يجيب دعاءه ويحقق رجاءه ويعطيه سُؤله... وهذا من فضله –تبارك وتعالى– وكرمه: أنه ندب عباده إلى دعائه، وتكفل لهم بالإجابة"[3] وأشعرهم بالمحبة والعناية والقرب؛ ترغيبا لهم فقال: [فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ] {البقرة:186}.

---

[1] انظر: ابن جُزيّ: **التسهيل لعلوم التنزيل**، 9/2.

[2] انظر: البدر: **فقه الأدعية**، ص:8.

[3] المرجع السابق، ص:26.

وقد نهى القرآن عن ترك الدعاء، وذمّ قوما تركوا الدعاء فوصف حالهم بقوله: [وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ] {التوبة:67}، أي "عن رفعها في الدعاء إلى الله تعالى"[1].

بل إنّ ترك الدعاء يغضب الجبار فيقول –عز وجل–: [فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] {الأنعام:43}.

وعدّ الله –تعالى– ترك الدعاء استكبارا فقال: [إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ] {غافر:60}.

"فعلى العبد أن يدعو ربه في أمره كله، فهو مظهر من مظاهر خضوعه له، وإقراره بحاجته إليه، واعترافه بقدرته على تحقيق مآربه"[2].

ثالثاً: بيان القواعد الأساسية لكيفية الدعاء:

نظرا لمنزلة الدعاء من العقيدة، لزم أن تُحدد معالمه، وتوضع ضوابطه، بالكيفية التي يحبها الله، وقد وردت نصوص قرآنية تبين أصول هذه الشعيرة من الدين.

القاعدة الأولى: الدعاء حق خالص لله لأنه يملك الضرّ والنفع:

إذا كان الحق –سبحانه– هو وحده الذي يكشف الضرّ، ويعطي السائلين، ويجيب الداعين، ولا يخيب رجاء من دعاه، فهو –سبحانه– وحده أحق بالدعاء؛ كونه مالكا للضرّ والنفع، لذا نجد آيات كثيرة تأمرنا بإخلاص الدعاء، فإنّ مَنْ يتفرّد بالإجابة، يستحق أنْ يتفرد بالدعاء والسؤال والطلب، وصرف الشواغل عنه، قال تعالى: [قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ] {الأعراف:29}.

تشير هذه الآية إلى ضرورة إعطاء الشيء حقه، وإيفائه شروطه، خاصة عند توجهنا إلى الله، فلا بد من صحة النيّة، وحضور القلب، وصرف الشواغل، وأن ندعوه وحده مخلصين

---

[1] ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت:597هـ): **زاد المسير في علم التفسير**، (9مج). ط(3). بيروت: المكتب الإسلامي، 1404هـ، 467/3. // وانظر: القشيري، أبو القاسم عبد الكريم (ت:465هـ)، **الرسالة القشيرية**، (2مج). تحقيق: عبد الحليم محمد ومحمود بن الشريف. بلا ط وسنة نشر. عابدين: دار الكتب الحديثة. 526/2.

[2] الطير، مصطفى محمد الحديدي: **أقباس من نور الحق**، ط(1397هـ–1977م). القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 124/1.

له الدين، لا تشوب دعاءنا أدنى شائبة من الشرك، بالتوجه إلى غيره[1].

ويقول سبحانه في موضع آخر: [فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ] {غافر:14}، ويقول: [هُوَ الحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ] {غافر:65}.

ففي هاتين الآيتين أمرنا الله بالإخلاص، ثم ساق لنا كلمة التوحيد متبوعة بحمد الله -تعالى-.

وإلى جانب تلك الشواهد القرآنية الدالّة على إخلاص الدعاء، تواترت الأدلة، وتضافرت النصوص؛ للتحذير من صرف الدعاء لغير الله، والنهي عن ذلك، وذمّ فاعله بأشد أنواع الذمّ، ولا أدلّ على ذلك من قوله تعالى في سورة غافر: [وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ] {غافر:60}.

ففي هذا النص القرآني تهديد شديد ووعيد، لمن استكبر عن دعاء الله -تعالى- كما يُفهم في الوقت نفسه، لطف الله بعباده -سبحانه- والإحسان إليهم، حيث إنه توعد مَنْ ترك طلب الخير منه، واستدفاع الشر به بهذا الوعيد[2].

وفي شاهد آخر يقول الله تعالى: [فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا] {الجنّ:18}، أي "لا دعاء عبادة ولا دعاء مسألة، فإن المساجد التي هي أعظم مجال للعبادة، مبنية على الإخلاص لله، والخضوع لعظمته، والاستكانة لعزته"[3].

كما يقول في موضع آخر: [لَهُ دَعْوَةُ الحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى المَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ] {الرعد:14}.

فالواحد الأحد، يصوّر استجابة -مَن يدعون مِن دون الله- كاستجابة الماء، لمن بسط كفيه إليه؛ ليطلب منه أن يبلغ فاه، فالماء جماد، لا يشعر بحاجته وبعطشه، ولا يقدر أن يجيب

---

[1] انظر: رضا، محمد رشيد (ت:1354هـ): **تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار**، (12مج). ط(2). بيروت: دار المعرفة- دار الفكر. بلا سنة نشر، 375/8.

[2] انظر: الشوكاني: **فتح القدير**، 498/4.

[3] السعدي: **تيسير الكريم الرحمن**، 891/1.

دعاءه فيبلغ فاه، كذلك ما يدعونه، لا يحس بدعائهم، ولا يقدر على نفعهم[1].

وأما في قولـــه تعـــالى: [قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ] {سبأ:22}.

إن فيه خطابا للنبي الكريم بأن يقول للمشركين، أن ادعوا الذين زعمـــتم مـــن دون الله؛ ليكشفوا عنكم الضرّ –على سبيل التهكم– ثم يبيّن أنهم لا يملكون شيئا[2].

يقول الزمخشري في كونهم لا يملكون شيئا: "يريد أنهم على هذه الصـــفة مـــن العجـــز والبعد عن أحوال الربوبية، فكيف يصح أن يُدْعَوا كما يُدعى، ويُرْجَوْا كما يُرجى؟[3].

ثم يخاطب الله الناس جميعا متحديا لهم، ومبيّنا عجزهم في أبسط الأمور، ومحذرا لهـــم من دعوة أربابٍ من دون الله، ومن ذلك قوله تعالى في سورة الحج: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَـهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالمَطْلُوبُ] {الحج:73}.

القاعدة الثانية: إخفاء الدعاء وعدم الاعتداء فيه:

من رحمة الله بعباده، أنه رسم لهم درب الهداية؛ ليسلكوه فينالوا رضاه، ومن ذلك أنـــه –سبحانه– قد بيّن لنا الهيئة التي يحبّها حال دعائه، فقال مرشدا لنا: [ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّـهُ لَا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ] {الأعراف:55}، عند التدبر لهذه الآية، نستدل منها على أدبين اثنين هما: [4]

1– إخفاء الدعاء وإسراره وعدم الجهر به: إن عدم الجهر بالدعاء هو تعليم لأدب دعاء الله وعبادته، فالمشركون ليسوا متهيئين لمثل هذا الخطاب لكنه تقريب للمؤمنين مـــن خـــالقهم، وإدناء لهم، وتنبيه على رضى الله عنهم ومحبته، وشاهده قوله تعالى فيمـــا بعـــد: [إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ المُحْسِنِينَ] {الأعراف:56}.

---

[1] انظر: النسفي: **مدارك التنزيل**، مج1، 245/2.

[2] انظر: الرازي: **مفاتيح الغيب**، 220/25.

[3] الزمخشري: **الكشاف**، 588/3.

[4] انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر (ت:1393هـــ): **التحرير والتنوير**، (30مج)، ط(1984م). تونس: الـــدار التونســـية، 171/8.

2- عدم الاعتداء بالدعاء: ونستدلّه من قوله: (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)، بأن لا ندعو إلا الله ولا نتوجه لغيره، ولا نرفع صوتنا أثناء الدعاء إلى غير ذلك من صور الاعتداء.

بل إن هناك معنى آخر تحمله هذه الآية في طياتها، فهي تأتي في موقع التعليل للأمر بالدعاء، إشارة إلى أنه أَمْرُ تكريم للمسلمين، يتضمن رضى الله عنهم، ولكن الحق -سبحانه- سلك بتعليل ذلك طريق إثبات الشيء بإبطال ضده، تنبيها على قصد الأمرين، وإيجازا في الكلام.

القاعدة الثالثة: التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى والعمل الصالح:

تعددت النصوص الشاهدة على هذه القاعدة الجليلة، من ذلك قوله تعالى: [وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ] {الأعراف:180}، وقوله: [قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى] {الإسراء:110}.

ومن أمثلة هذا النوع فاتحة الكتاب: [بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(1) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ(4) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ(5) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ(6)] {الفاتحة}، ففيها توسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته وتوسل بالعبودية لله والطاعة[1].

وأما التوسل بالأعمال الصالحة، كأن يتوسل إلى الله بالإيمان والطاعة لرسوله ومحبته ودليل ذلك قوله تعالى: [الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ] {آل عمران:16}، وقوله تعالى: [رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ] {آل عمران:193}[2].

رابعاً: مدح أهل الدعاء، والثناء عليهم، والدعوة لملازمتهم:

---

[1] انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ت:751هـ): **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، (3مج). تحقيق: محمد حامد الفقي. ط(2). بيروت: دار الكتاب العربي. 1393هـ-1973م، 23/1. // وانظر: البدر: **فقه الأدعية**، ص:84-85.

[2] انظر: البدر: **فقه الأدعية**، ص:85.

أثنى الله على عباده الذين استجابوا لندائه العلوي، واتخذوا من دعائه ملجأ لهم في ساعة العسرة ووقت الضيق، إذ وجدهم حيث أمرهم، فقال –تعالى– مادحا لهم: [تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ] {السجدة:16}.

وقد أمر نبيه الكريم –صلى الله عليه وسلم– ملازمة هؤلاء المؤمنين وعدم طردهم فقال في سورة الأنعام: [وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ] {الأنعام:52}.

بل إن الحق –سبحانه– أمر نبيه –عليه السلام– أن يصبر نفسه مع هؤلاء وألاّ يَعْدُ عيناه عنهم لتتصرف لغيرهم من السادة الكفرة فقال: [وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا] {الكهف:28}.

للزمخشري في الكشاف ملحوظة لطيفة، حول الاستخدام المعجز للفظة "تَعْدُ" في الآية الكريمة: [وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ]، فيقول: يقال: عداه، إذا جاوزه، ومنه قولهم: جاءني القوم عدا زيدا، وإنما عُدِّيَ بعَنْ لتضمين[1] عَدَا بمعنى نَبَا وعَلا، في قولك: نَبَتْ عنه عينُه، وعَلَتْ عنه عينُه، إذا اقتحمته ولم تعْلق به، ثم يعلل الزمخشري الغرض في هذا التضمين والعدول عن القول: (ولا تَعْدُهُم عيناك) أو (لا تَعْلُ عيناك عنهم) قائلا: الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين، وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ[2].

ووجه البلاغة بين النصين: (ولا تعدهم عيناك) و (وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ) يكشف عنه صاحب كتاب "(من أسرار حروف الجر) قائلا: نجد التعبير الأول يدل على النهي عن إهمالهم والإقلال من شأنهم، أما التعبير الثاني –الذي آثره القرآن– فإنه يفيد النهي عن تركهم إلى غيرهم، وصرف نظره واهتمامه بقوم سواهم، حرصاً منه على كسبهم واستمالتهم بإظهار الودّ لهم، والإقبال عليهم على حساب هؤلاء؛ تحقيقا لما يهدف إليه عَلِيّة القوم من المشركين، من

---

[1] التضمين، يقال: ضمنّت الشيء كذا: جعلته محتويا عليه، فتضمنه.//انظر: المناوي، محمد عبد الرؤوف (ت:1031هـ): **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق: محمد رضوان الداية. ط(1). بيروت، دمشق: دار الفكر المعاصر– دار الفكر. 1410هـ، ص:475.

[2] انظر: الزمخشري: **الكشاف**، 2/670–671.

طردهم وإبعادهم؛ حتى يتسنّى لهم الجلوس إليه، كما عبّر عنه القرآن في موضع آخر: [وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ] {الأنعام:52}، فالتعبير بالطرد هو الذي أدّى بقوله هنا [وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ] فكأنه قال: لا تتجاوز هؤلاء النفر من قومك، وتتركهم ماضيا إلى سواهم، وهو ما لا يفهم من الفعل المعدى بنفسه (تعدهم)[1].

خامساً: تقديم نماذج للدعاء:

سطّر القرآن العظيم بين ثناياه، دعوات خالدات؛ لتكون نبراسا يستضاء بها في ساعات الشدة والرخاء على السواء، ليس هذا فحسب، بل إن القرآن الكريم الخالد افتُتح بإحدى هذه المصابيح النورانية، ألا وهي "فاتحة الكتاب" التي تعتبر دعاء المؤمن وديدنه صباح مساء وفي كل صلاة، هذا الأنموذج اشتمل على أمّات المطالب العليّة.

وكأن الله يُعلّم عباده في فاتحة الكتاب كيفية سؤاله، حين أمرهم أن يقدموا بين يديه حمده والثناء عليه وتمجيده، ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم، فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم، توسل إليه بأسمائه وصفاته، وتوسل إليه بعبوديته، قبل سؤال الله الهداية: [اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ]، قدّم الحمد لله ودعاءه بأسمائه وصفاته[2].

فكأن هذا الدعاء فيه "تنبيه على حاجة الإنسان إلى التضرع والابتهال إلى الله –تعالى– وهو روح العبودية، وتنبيه على أن أهم حاجاته، الهداية إلى الصراط[3].

ولقد ساق لنا القرآن الكريم أمثلة كثيرة متنوعة للأخيار من عباد الله، الذين رفعوا أكُفّ الضراعة إليه –سبحانه– فاستجاب لهم دعاءهم؛ لأنهم أخلصوا القول والعمل، نسوق مثالا واحدا وهو ما قصّه علينا القرآن الكريم في سورة الأنبياء عن أيوب –عليه السلام– فيقول: [وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ(83) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ(84)] {الأنبياء}، لقد أجاب الله لأيوب –عليه

---

[1] انظر: الخضري، محمد أمين: **من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم**، ط(1). القاهرة: مكتبة وهبة، 1408هـ–1989م، ص:303.

[2] انظر: ابن القيم: **مدارج السالكين**، 23/1.

[3] الغزالي، أبو حامد (ت:505هـ): **جواهر القرآن** تحقيق: محمد رشيد رضا القباني. ط(1). لبنان: دار إحياء العلوم. 1405هـ–1985م، 69/1.

السلام– دعوته فكشف عنه ما نزل به من ضرّ ونصب، ذلك؛ لأنه كان كما يحب الله ويرضى، فقال الله مادحا ومثنيا عليه: [إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ] {ص:44}[1].

وبعد استعراض هذه الشواهد القرآنية يتبيّن لنا أهمية الدعاء ومكانته، وحاجة الإنسان إليه، فالله –تعالى– يحب أن يُسأل ليجيب، ويعتبر الإعراض عن سؤاله استكبارا ومعصية، وقد أعدّ لمن استكبر عذابا، فهل هذا النداء الرباني يوقظ قلوبنا فتحيا بذكرِه؟ أم رانَ عليها صدأ المعاصي فهي غافلة لاهية! نسأل الله السلامة لقلوبنا من الغفلة وأن يجعل الدعاء من خصائص أمّتنا، إنه سميع مجيب.

[1] انظر: طنطاوي: **جوامع الدعاء**، ص:94–95.

المبحث الثالث

أهمية الدعاء في حياة الأنبياء

الدعاء في حياة الإنسان أمر فطري، فالإنسان لا يكاد يجد نفسه في مأزق أو ضيق، إلا وسارع إلى دعاء الله[1]، والأنبياء كانوا على علم بأهمية اللجوء إلى الله، ليس فقط وقت الضيق، إنما كانت حياتهم نسقا واضحا في ديمومة اللجوء إليه سبحانه، وقد شملت دعواتهم شؤون الحياة المختلفة.

هذه الأمور نلمسها من خلال تدبرنا لآيات دعاء الأنبياء؛ ليتبيّن لنا مدى أهمية دعـــائهم في حياتهم الدعوية، وحاجاتهم الفطرية، وتكمن هذه الأهمية في أنهم بشر يخضـــعون للظـــروف ذاتِها، التي يتعرض لها البشر، إلا أن ابتلاء الأنبياء أشد وأعظم.

وبعد التدبر يظهر لنا أن حاجة الأنبياء للدعاء قد تبلورت ضمن ثلاثة محاور رئيسة:

أحدها: على صعيد علاقتهم مع خالقهم وتتمثل في تعبدهم بالدعاء.

ثانيها: على صعيد علاقتهم مع المخلوقين، وتتمثل بأداء مهمتهم في تبليغ دين الله.

ثالثها: على صعيد علاقتهم مع أنفسهم، وتتمثل في احتياجاتهم البشرية ومقتضيات تلـــك الطبيعة.

وقد بيّنتُ هذه المحاور على النحو الآتي:

المطلب الأول: أهمية الدعاء بالنظر إلى حاجتهم للتعبد

والعبودية تعني "إظهار التذلل"[2].

والدعاء أساس العبودية، ولهذا فإن العبد "كلما عظمت معرفته بالله، وقويت صلته به، كان دعاؤه له أعظم، وانكساره بين يديه أشدّ، ولهذا كان أنبياء الله أعظم الناس تحقيقا للدعاء، وقياما به في أحوالهم كلها... وقد أثنى الله عليهم بذلك في القرآن الكريم، وذكر جملة من

---

[1] انظر: دروزة، محمد عزة: **التفسير الحديث**، (12مج)، ط(1381هـ-1962م). دار إحياء الكتب العربية، 125/5.

[2] الأصفهاني: **المفردات**، ص:319.

أدعيتهم في أحوال متعددة ومناسبات متنوعة، وقال تعالى في وصفهم: [إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ] {الأنبياء:90}"[1].

فالأنبياء سارعوا في عمل الخيرات، ودعوا الله راغبين فيما عنده من الخير، خائفين من عذابه، خاشعين.

ولقد وُفق الأنبياء لتحقيق العبودية في أنفسهم، فكانوا الأكثر رقيّا في الكمال الإنساني، وقد حازوا السبق في هذا الميدان، فكانت حياتهم، انطلاقة جادة في تحقيق العبودية، تمثلت في شخصياتهم بأرقى صورها، وأكمل معانيها، وظهرت في شوقهم الدائم إلى الله[2]، وذلك بعد أن استقر في قلوبهم أن الدعاء هو العبادة، وأن الإعراض عنه يُعدّ جحودا واستكبارا.

لقد كان الدعاء في ذاته –لدى الأنبياء– شعورا بالعجز والفقر إلى الله، وفي المقابل شعور بقدرة الله على تحقيق ما عجزوا عنه، وهذا عين العبودية لله.

إن مدلول العبادة لا ينحصر في الفرائض، بل إن كل حركة في حياة الأنبيـــاء، وثيقـــة الصلة بعقيدتهم، متجهين بها إلى ربهم، منفذين بها أمره، محققين بها رسالته، فهي إذن عبادة.

وقد وصف الله –سبحانه وتعالى– نبيه، أنه استحق أن يكون بعبوديته المسلم الأول عبر الزمان فقال: [قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ العَالَمِينَ(162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ(163)] {الأنعام}.

من خلال هذه الآية الكريمة، نستدل على منهج القرآن في التعبد، والذي يهدف إلى أن يضع الإنسان في مكانه الصحيح في الكون، حتى لا يخرج عن سنته، ذاك هو الصراط المستقيم، الذي يحقق السعادة في الدنيا والآخرة والذي نطلب الاهتداء إليه أكثر من سبع عشرة مرة كل يوم في قوله تعالى: [إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ] {الفاتحة:5}[3].

فالقرآن الكريم في منهجه الحكيم، يقيم من دعاء الأنبياء دليلا على أصالة فطرة التعبد في أنفسهم، فهم دائمو الدعاء، وهو أساس الصلة المباشرة بينهم وبين الله، قال تعالى: [قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا] {الفرقان:77}، ولما كانت الدعوة الإلهية

---

[1] البدر: **فقه الأدعية**، ص:9.

[2] انظر: الجاويش، محمد إسماعيل: **دعاء الأنبياء**، ط(1). القاهرة : دار الغد الجديد. 1430هـ–2009م، ص:5.

[3] انظر: شديد، محمد: **منهج القرآن في التربية**، بلا ط وسنة نشر. مؤسسة الرسالة، ص:180.

مستمرة بِـــــ" ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ " لم يزل الدعاء دأب الأنبياء، فإن أبانا آدم وأمّنا حواء –عليهما السلام– لما ابتليا بالخطيئة فزعا إلى الدعاء طلبا للمغفرة [رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ] {الأعراف:23}، ونوح –عليه السلام– حين توجه إلى الله داعيا طالبا المغفرة [رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا] {نوح:28}، والدعوات التي توجه بها إبراهيم –عليه السلام– ضارعا، حين رفع القواعد من البيت: [رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ] {البقرة:127}، وذا النون –عليه السلام– إذ نادى في الظلمات: [أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ] {الأنبياء:87}، وموسى –عليه السلام– دعا: [قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ] {القصص:16}[1].

تلك الدعوات وغيرها، أظهر فيها الأنبياء حاجتهم لله، ومسارعتهم في الخيرات فاستجاب الله لتلك الدعوات ثوابا لهم.

فما أروع أن نقتدي بهم! ونتأسى بطريقتهم، ومنهجهم في التعبد إلى الله بالدعاء، كتلـــك النماذج من الرجاءات وحسن التضرع وجميل المناجاة!

المطلب الثاني: بالنظر إلى مهمّتهم ووظيفتهم في إبلاغ الدعوة

وبالنظر إلى مهمّة الأنبياء ووظيفتهم في التبليغ، تبرز أهمية أخرى للدعاء، فإنه خير زاد لهم، وهو ركن شديد يلجأون إليه، وسلاح عظيم يحتمون به، فهو من أهم مرتكزات مقوماتهم النفسية.

وللأنبياء مهمّة عظيمة بيّنتها آيات الكتاب، وعند إنعام النظر في تلك الآيات، نجد أنهم سفراء الله إلى عباده، وحملة وحيه، ومهمّتهم الأولى هي: إبلاغ هذه الأمانة التي تحمّلوها إلى عباد الله [يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ] {المائدة:67}، والبلاغ يحتاج إلى الشجاعة وعدم خشية الناس، عند إبلاغهم ما يخالف

---

[1] انظر: الحليمي: **المنهاج**، 520/1.// وانظر: عبد العزيز: **فهم الإسلام في ظلال الأصول العشرين**، ص:253.

معتقداتهم، وأمرِهم ما يستنكرونه ونهيهِم عما ألِفوه [الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللهَ] {الأحزاب:39}[1].

فإذا كانت تلك أحوال الأنبياء مع أقوامهم، فلا بدّ للنبي من التحصّن من أذى قومه، وذلك باللجوء إلى الله؛ ليعصمه، "ولقد كان للأنبياء مع أقوامهم مواقف حرجة، لم ينقذهم منها إلا صدق الالتجاء، وقوة الاحتماء بالخالق القدير، ورب العرش العظيم، فكانت لهم فنون من الدعاء الجميل، والذكر الرفيع، حيث يرفعون إليه أكُف الضراعة منيبين إليه، ينشدون عونه ويرجون فضله، حيث كانت لهم في هذه المواقف أنبل كلمات الدعاء وأجمل ألفاظ المناجاة والتوسل"[2].

ونسوق ما يوضح أهمية وحاجة الأنبياء للدعاء من خلال **تأديتهم وتبليغهم الرسالة**، ومن تلك الدعوات التي التجأ إليها نبي الله موسى –عليه السلام– حينما كلّفه ربه لحمل الرسالة قائلا له: [إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي] {طه:14}.

وبعد هذا التكليف أمره الله أن يواجه الطاغية فرعون، ويدعوه إلى الإيمان برب العالمين، ورغم القوة النفسية والعزيمة القوية، التي كان يتمتع بها موسى –عليه السلام– حيث كان من أولي العزم، كان –عليه السلام– مستشعرا حاجته لله، وعونه على مواجهة هذا الطاغية، فطلب من الله وسائل تعينُه على هذه المهمّة قائلا: [رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي(25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي(26) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي(27) يَفْقَهُوا قَوْلِي(28) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي(29) هَارُونَ أَخِي(30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي(31) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي(32) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا(33) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا(34) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا(35)] {طه}.

"وإزاء هذا التكليف كان موسى –عليه السلام– حريصا على أن يستمدّ العون من الله، وكان حريصا على أن يعينه على هذه المهمّة أحد من أهله، فدعا أن يُشرِك أخاه هارون في النبوّة: [وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ] {القصص:34}.

---

[1] انظر: الأشقر: **الرسل والرسالات**، ص:43.

[2] الجاويش: **دعاء الأنبياء**، ص:8.

وحين استجاب الله دعاءه، وكلّفهما أن يذهبا إلى فرعون، أحسا أنهما بحاجة إلى عون الله، وخشيا لقاء فرعون بسبب ما عُرف عنه من بطش وجبروت، فتوجها إلى الله يدعوانه [قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى] {طه:45}[1]، فكان هذا الدعاء رغم اعتقاد موسى – عليه السلام– يقينا أن الله معهما، وأنه يسمع ويرى، إلا أنه شعر بالاحتياج إلى عون الله ومعيته.

كذلك المتدبر في سورة نوح يرى الجهد العظيم الذي بذله مع قومه على مدار تسعمائة وخمسين سنة [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ] {العنكبوت:14}، لكنهم أعرضوا وتجبّروا، فلا بدّ من اللجوء لركن شديد، ومن التوجه إلى الله –عز وجل– بعد هذه السنين الطويلة من الدعوة المستمرة؛ ليشكو إلى خالقه عنادهم [قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا] {نوح:21}.

ولا تقتصر حاجة الأنبياء للدعاء وأهميته في حياتهم في الإبلاغ أو التبشير والإنذار، بل تتعدى ذلك؛ من أجل **إصلاح نفوس المؤمنين وتزكيتها**، فإن إخراج الناس من الظلمات إلى النور، لا يتحقق إلا بتعليمهم تعاليمَ ربهم، وتزكية نفوسهم، وتعريفهم بربهم وعبادتهم، لذا نجد الخليل –عليه السلام– يدعو بدعوة خالدة، نجد صداها بعد مئات السنين، وذلك حينما دعا لهذه الأمة ببعث الرسول الخاتم من الأمة نفسها فقال عز وجل: [رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ] {البقرة:129}، لتتحقق هذه الدعوة بنبينا محمد –صلى الله عليه وسلم–.

ومن جانب آخر لمهمّة الأنبياء، تمثلت حاجة الأنبياء للدعاء أيضا، في **سياستهم للأمة**، وتتركز هذه الحاجة في احتياجهم إلى السداد في الرأي، فرب العزّة ينادي داود –عليه السلام– قائلا: [يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ] {ص:26}، فلما أخطأ في إصابة الحق بالقضاء، سارع إلى التوجه وخرّ راكعا؛ لاحتياجه إلى المغفرة من الله تعالى [فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ] {ص:24}[2].

---

[1] انظر: المرجع السابق، ص:107–108.

[2] انظر: الأشقر: **الرسل والرسالات**، ص:50.

وهكذا نلمس أهمية الدعاء في حياة الأنبياء وهي المليئة بالمتاعب والابتلاءات، فلا يمكن لهم ترك الدعاء أبدا.

المطلب الثالث: بالنظر إلى حاجاتهم البشرية

للدعاء أهمية بالغة في حياة الأنبياء، تظهر من خلال حاجاتهم البشرية، وبما يعتريها من نسيان وغفلة، وعجز وحاجة إلى السلامة من الأسقام، وافتقار إلى إعانة الله في أمورهم كلها.

فإن أنبياء الله –تعالى– ذوو طبيعة بشرية، تظهر ملامحها في ثنايا حياتهم، فهم يتوجهون إلى الله وقت إحساسهم بالحاجة إلى أي من لوازم بشريتهم ومقتضياتها، وشواهد ذلك كثيرة في حياة الأنبياء، وما ذاك إلا أن أمر بشريتهم بات موضع جدل لدى أقوامهم، وأنّ بشريتهم من الأسباب المباشرة لتكذيبهم، وما فتئ الأنبياء عن إثبات بشريتهم طوال فترة دعواتهم.

لذا نجد أن الأنبياء لا يفتُرون عن دعاء الله، نظرا لأنهم بشر، ومن هذه الحاجات التي كانت من مقتضيات بشريتهم: **شعور الأبوة** الذي ألجأ الخليل –عليه السلام– إلى طلب الذرية فقال: [رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ] {الصَّافات:100}، وكان طلبه بعد ما تقدم به السن، ولم ينجب، وزكريا –عليه السلام– حينما شعر بحاجته للذرية، كان من أجل حَمل همّ الدعوة من بعده، ووراثة الدين، فقال: [وَإِنِّي خِفْتُ المَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا(5) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا(6)] {مريم}.

إن شعور الأبوّة الحانية التي استجاشت في نفس زكريا –عليه السلام– جعلته يُحسن فنّ الطلب، ويصف حاله: بأن أصلبَ ما فيه قد وهن –وهو العظم– فلهج بهذا الدعاء.

كما تتجلى أهمية الدعاء، استنادا إلى طبيعة الأنبياء البشرية، التي قد يعتريها **النسيان والغفلة والخطأ والغضب**، فيقع بالذنب حينئذٍ، ولا بد من التوبة والدعاء، فآدم –عليه السلام– كان لا بد من اعترافه بالذنب حين نسي، وأكل من الشجرة [وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ] {طه:115}، فتاب قائلا: [رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ] {الأعراف:23}.

كذلك داود –عليه السلام– ألهَمه الله الاستغفار، بعدما أخطأ الاجتهاد.

وأيوب –عليه السلام– كذلك تعرض للبلاء في بدنه وماله وأهله وولده، فاحتاج إلى كشف ورفع ما به من مرض وسقم، فشكا إلى ربه: [أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ] {الأنبياء:83}.

بهذه الجوانب وغيرها تتجلى لنا أهمية الدعاء في حياة الأنبياء.

الفصل الثاني

أنواع دعاء الأنبياء ودلالاته ومراتب الإجابة عليه

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أنواع دعاء الأنبياء

المبحث الثاني: دلالات دعاء الأنبياء

المبحث الثالث: إجابة الدعاء وأنواعها ومراتبها

المبحث الأول

أنواع دعاء الأنبياء

يتوجه الأنبياء إلى الله –سبحانه– يطلبون عونه، وينشدون رحمته، وفي الوقت نفسه، يعلّمون العباد الكيفية التي تليق بدعاء الله، ليضرب أنبياء الله بذلك نماذج يحتذى بها، فالأنبياء معلمو البشرية، مع أنهم بشر يعيشون مواقف إنسانية، ويمرون بالظروف نفسها، فهم وإن كانوا يطلبون بالدعاء عون الله ورحمته، فإن دعاءهم يترك أثرا عظيما في أهم جانب من جوانب العبادة، وهو التأصيل للدعاء. لذا ظهر في دعائهم روح الثناء على من يستحق –وحده– بالتوجه إليه بالدعاء، فكان ثناؤهم يسبق طلبهم وسؤالهم، فناسب مقالهم المقام.

ولقد كان في تحديد أنواع الدعاء عند الأنبياء اجتهادات عدة، جاءت من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: اجتهاد العلماء في بيان أنواع الدعاء، والترجيح بينها

لقد تنوعت اجتهادات العلماء، في بيان أنواع الدعاء، نظرا لاختلافهم في فهم الآيات الواردة في كتاب الله –عز وجل– مع أنها وبعد النظر، لا تخرج عن إطار محورين أساسيين، وسأتناول هذه الاجتهادات من خلال الأنواع الآتية:

أولاً: ما قاله الإمام الزجّاج ووافقه ابن منظور، من أن الدعاء على ثلاثة أضرب:[1]

أ– دعاء التوحيد والثناء على الله سبحانه:

وقد مثّل لذلك بالقول "يا الله لا إله إلا أنت" والقول "ربنا لك الحمد"، وقد علّل الزجّاج كون هذا الكلام دعاء قائلا: فقد دعوته بقولك ربنا، ثم أتيت بالثناء والتوحيد. ومنه قوله تعالى: [وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ] {غافر:60}، ثم فسر معنى العبادة هنا قائلا: أي يستكبرون عن توحيدي والثناء عليّ.

ب– دعاء مسألة الله العفو والرحمة، وما يقرّب منه، كأن يقول: اللهم اغفر لنا.

ج– دعاء مسألته من الدنيا وقد أطلق عليه ابن منظور "مسألة الحظ من الدنيا".

---

[1] انظر: الزجّاج: **معاني القرآن**، 255/1 // وانظر: ابن منظور: **لسان العرب**، 257/14.

ومثل هذا النوع، كقولك: اللهم ارزقني مالا وولدا، وما أشبه ذلك.

وبعد النظر في تقسيم الزجّاج والذي وافقه فيه ابن منظور، نجد أن الضرب الثاني، **هو سؤال الله فيما يختص بأمور الآخرة**، بَيْدَ أنّ الضرب الثالث فيما يختص بحظّ الدنيا، وعلى هذا فهما قسمان لمسمّىً واحد، وقد أيّد ذلك ابن سيده في "المخصص" معبّراً عن هذا النوع بـــ"الطلب لأجل الغفران، أو عاجل الإنعام"[1].

ومن هنا يستخلص أن تقسيم الزجّاج وابن منظور، يدوران في إطار نوعين رئيسين هما: دعاء التوحيد والثناء على الله، ودعاء المسألة "بفرعيه".

ثانياً: رأي الإمام الرازي:[2]

وقد اجتهد في تعيين أنواع الدعاء من فهمه لسياق الآية من سورة البقرة: [وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ] {البقرة:186}.

حيث ذكر وجوها للدعاء من الآية الكريمة:

أولها: الدعاء عبارة عن التوحيد والثناء على الله.

ثانيها: التوبة عن الذنوب، وذلك لأن التائب يدعو الله –تعالى– عند توبته.

ثالثها: أن المراد بالدعاء هو العبادة، ثم ذكر حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– "الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ"[3].

رابعها: أن يفسر الدعاء بطلب العبد من ربه حوائجه.

وقد ذكر هذا التقسيم ابن عادل الدمشقي[4] في اللباب باستثناء القسم الرابع[5].

---

[1] ابن سيده: **المخصص**، مج4، 88/13.

[2] انظر: الرازي: **مفاتيح الغيب**، 86/5.

[3] سبق تخريجه، ص:4.

[4] هو أبو حفص عمر بن علي سراج الدين الحنبلي النعماني، استوطن في دمشق، له اللباب، وحاشيته على المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد، لم يعرف العلماء تاريخ مولده تحديدا، وتوفي بعد (880هـ).//انظر: الزركلي: **الأعلام**، 58/5.

[5] انظر: ابن عادل الدمشقي، أبو حفص عمر بن علي (ت:880هـ): **اللباب في علوم الكتاب**، (20مج)، ط(1). بيروت: دار الكتب العلمية. 1419هـ–1998م، 299/3.

وعند النظر في هذا التقسيم، يتبين:

1. أن القسم الأول دعاء التوحيد والثناء، هو نفسه دعاء العبادة القسم الثالث، فهما مسميان لمعنىً واحد.

2. وأن القسم الثاني والرابع، هما دعاء المسألة، إلا أن التوبة من الذنوب، دعاء لأمر أخروي، بَيْدَ أنّ سؤال الحوائج، فيما يختص بأمور الدنيا، وعلى ذلك فإن تقسيم الرازي لأنواع الدعاء هو في الحقيقة نوعان اثنان.

ثالثاً: رأي الإمام ابن القيم في أحد قوليه: [1]

وقد قسم الدعاء إلى نوعين في قول آخر وسنبينه بإذن الله، مستدلا على ذلك من سياق الآية الكريمة وهي قوله –عز وجل– في سورة الأعراف [وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا] {الأعراف:180}.

وذكر ابن القيم أن دعاء الله بأسمائه الحسنى يتناول:

أ. دعاء المسألة.

ب. دعاء الثناء.

ج. دعاء التعبد.

فالله –عز وجل– في هذه الآية الكريمة يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته ويثنوا عليه بها، ويأخذوا بحظهم من عبوديتها.

ويعرّف ابن القيم في بدائع الفوائد دعاء المسألة بأنه: "طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره أو دفعه"[2].

أما دعاء الثناء فقد ذكره في الوابل الصيب –حينما قسم الذكر إلى نوعين– بأنه "ذكر أسماء الرب تبارك وتعالى، وصفاته، والثناء عليه بهما، وتنزيهه وتقديسه عما لا يليق به تبارك

---

[1] انظر: ابن القيم: **مدارج السالكين**، 420/1.// وانظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ت:751هـ): **التفسير القيم**، حققه: محمد حامد الفقي. جمعَه: محمد إدريس الندوي. بلا ط وسنة نشر. بيروت: دار الكتب العلمية، ص:210–211.

[2] ابن القيم: **بدائع الفوائد**، 513/3.

وتعالى"[1].

وعند النظر في هذا التقسيم، يتبين لنا أن دعاء الثناء هو ذاته دعاء التعبد، لينحصر أنواع الدعاء، في نوعين اثنين هما: دعاء العبادة ودعاء المسألة، وهو ما استقر عليه ابن القيم في تقسيمه لأنواع الدعاء فيما بعد موافقا فيه شيخه ابن تيمية[2].

رابعا: رأي ابن جرير الطبري:[3]

من أنّ الدعاء على نوعين اثنين وذلك استدلالا من قوله تعالى: [ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً] {الأعراف:55}، وقوله تعالى: [وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ] {البقرة:186}.

فقد ذكر ابن جرير الطبري في سياق تفسيره لهذه الآية موضحا معنى الدعاء، بأنه "مسألة العبد ربه وما وعد أولياءه على طاعتهم بعملهم بطاعته، ومعنى الإجابة من الله التي ضمنها له: الوفاء له بما وعد العاملين له، بما أمرهم به، كما روي عن النبي –صلى الله عليه وسلم– من قوله: إن "الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ"[4] [5] وذلك في حديث النعمان بن بشير –الذي مرّ ذكره– والذي تلا عقبه قوله تعالى: [ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ] {غافر:60}.

وأضاف الطبري موضحا ما قصده النبي –صلى الله عليه وسلم– في حديثه من أن "دعاء الله إنما هو: "عبادته" و"مسألته" بالعمل له والطاعة"[6].

وقد ذكر هذا التقسيم من العلماء ابن تيمية مؤيدا بذلك ما جاء به الطبري، مستدلا على نوعي الدعاء من سياق آيات كريمة من كتاب الله.

فقد ذكر في مجموع الفتاوى أن "لفظ الدعاء والدعوة في القرآن الكريم، يتناول معنيين

---

[1] ابن القيم، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي (ت:751هـ): **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن عوض. ط(1). بيروت: دار الكتاب العربي. 1405هـ–1985م، ص:118.

[2] ورد هذا الرأي صفحة (52–53).

[3] انظر: الطبري: **جامع البيان**، 160/2.// وانظر: ابن سيده: **المخصص**، مج4، 88/13.

[4] سبق تخريجه، ص:4.

[5] الطبري: **جامع البيان**، 160/2.

[6] انظر: المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها.

هما: دعاء العبادة ودعاء المسألة"[1].

ثم ساق ابن تيمية الشواهد القرآنية على ذلك، نذكر منها قوله تعالى: [فَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ المُعَذَّبِينَ] {الشعراء:213}، وقوله تعالى: [لَهُ دَعْوَةُ الحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى المَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ] {الرعد:14}، وقوله تعالى: [قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ] {الفرقان:77}، أي ما يعبأ بكم لولا أنكم تدعونه فتعبدونه وتسألونه[2].

ثم استدل –رحمه الله– بما جاء في الصحيحين عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال:" يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلْنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ"[3].

وقد أشار إلى وجه الدلالة في الحديث: أن النبي –صلى الله عليه وسلم– ذكر لفظ الدعاء، ثم ذكر السؤال والاستغفار، فالمستغفر سائل، كما أن السائل داع، لكن ذَكَرَ السائل لدفع الشر، بعد السائل الطالب للخير، وذكرهما جميعا، بعد ذِكْر الداعي الذي تناولهما[4].

وقد أيّد ابن القيم ما ذهب إليه شيخه ابن تيمية مستدلا من قوله تعالى: [ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ(55) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ المُحْسِنِينَ(56)] {الأعراف}، فقال: "هاتان الآيتان مشتملتان على آداب نوعي الدعاء، دعاء العبادة، ودعاء المسألة، فإن الدعاء في القرآن يراد به هذا تارة، وهذا تارة، ويراد به مجموعهما"[5].

---

[1] ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، 237/10–238.

[2] انظر: المرجع السابق نفسه، ص:238–240.

[3] البخاري: **الجامع الصحيح**، كتاب الدعوات، 3–باب الدعاء نصف الليل، الحديث:5962، 2330/5. // مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، 4–باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، الحديث:758، 521/1.

[4] انظر: ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، 239/10.

[5] ابن القيم: **بدائع الفوائد**، 513/3.

الترجيح:

وبعد هذا التفصيل والإسهاب فيما قاله علماؤنا الأبرار في بيان أنواع الدعاء، فإنه يتبين أن التقسيم الجامع هو ما كان على ضربين اثنين وهو: **دعاء العبادة والثناء ودعاء المسألة والطلب**، وذلك لعدة أمور:

أولاً: لشمولها على جميع الأصناف التي ذكرها العلماء.

ثانياً: لقوة حجة من حصرها في نوعين.

ثالثاً: وحُسن الاستدلال بكتاب الله –عز وجل– والاستقراء الصحيح لما صحّ عن النبي –صلى الله عليه وسلم– وذلك من خلال حصر النبي –صلى الله عليه وسلم– لفظ الدعاء بذكر السؤال عند قوله "من يسألني فأعطيه"، والاستغفار قائلا "ومن يستغفرني فأغفر له".

المطلب الثاني: تلازم نوعي الدعاء مع الأمثلة والسرّ الفاصل بينهما

أولاً: تلازم نوعي الدعاء كما يقرره شيخ الإسلام ابن تيمية:

تبين مما سبق، أن الدعاء إما أن يكون دعاء مسألة، وإما أن يكون دعاء عبادة، إلا أننا وبعد النظر في كثير من آيات الله –عز وجل– وصلنا إلى نتيجة مفادها أن هناك تلازما بين نوعي الدعاء، وقد يصعب أحيانا الفصل بين النوعين، بل إن الداعي دعاء المسألة، ربما كان متعبدا بهذا الدعاء، والعكس كذلك، فالداعي دعاء عبادة هو أيضا سائل لله، هذا ما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية موضحا وجه التلازم من سياق قوله تعالى: [ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ(55) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ(56)] {الأعراف}.

أوضح شيخ الإسلام أن هاتين الآيتين تشتملان على نوعي الدعاء، وهما متلازمان، ويظهر هذا جليا من خلال فهمه لدعاء المسألة، وقد أشار إليه بأنه طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره ودفعه، وعلى ذلك فإن الشيخ يقول: إن كل من يملك الضر والنفع فإنه هو "المعبود" ولا بد أن يكون مالكا للنفع والضرّ[1].

---

[1] انظر: ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، 10/15.

ثم ساق ابن تيمية من خلال هذا الربط سبب إنكار الله تعالى على مَنْ عبد- من دون الله- ما لا يملك ضرّا ولا نفعا، نحو قوله -سبحانه-: [وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ] {يونس:106}[1].

ثم يبين ابن تيمية وجه التلازم أن "كل سائل راغب راهب، فهو عابد للمسؤول، وكل عابد له، فهو أيضا راغب وراهب، يرجو رحمته ويخاف عذابه... قال تعالى: [إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا] {الأنبياء:90}"[2].

كما استدل لوجه التلازم من سياق قوله تعالى: [وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ] {البقرة:186}، وذكر أنها تشمل نوعي الدعاء، وبكل منهما فُسرت الآية، فيقال: أعطيه إذا سألني، ويقال: أثيبه إذا عبدني، والقولان متلازمان على الحقيقة، وليس على سبيل اللفظ المشترك أو المجاز[3].

ويوضح ابن تيمية أنه "وإن كان كل منهما يستلزم الآخر، لكن العبد قد تنزل به النازلة فيكون مقصوده طلب حاجاته، وتفريج كربته، فيسعى في ذلك بالسؤال والتضرع -وإن كان ذلك من العبادة والطاعة- ثم يكون في أول الأمر قصده حصول ذلك المطلوب من الرزق والنصر والعافية... ثم الدعاء والتضرع يفتح له من أبواب الإيمان بالله عز وجل... ما يكون هو أحب إليه وأعظم قدرا عنده من تلك الحاجة التي همّته... وقد يفعل العبد ابتداء ما أُمر به؛ لأجل العبادة لله والطاعة له، ولِما عنده من محبته، والإنابة إليه وخشيته وامتثال أمره، وإن كان ذلك يتضمن حصول الرزق والنصر والعافية، وقد قال الله تعالى: [ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ]... قيل ادعوني أي اعبدوني وأطيعوا أمري أستجب دعاءكم، وقيل سلوني أعطكم وكلا النوعين حق"[4].

---

[1] انظر: المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها. // وانظر: ابن القيم: **التفسير القيم**، ص:240.

[2] ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، 240/10.

[3] المرجع السابق، 11/15. // وانظر: 229/10. // ابن القيم: **التفسير القيم**، ص:241.

[4] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحرّاني (ت:721هـ): **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**، تحقيق: محمد حامد الفقي. ط(2). القاهرة: مطبعة السنة المحمدية. 1369هـ، ص:411.

ثانياً: أدعية نبوية تتضمن نوعي الدعاء:

إن الأنبياء خير من توجه إلى الله بأكمل الصيغ، فكما أن لهم حاجات بشرية تُقضى بالدعاء، فإن هذه الأدعية من أهم وسائل تعبدهم، فلا بُدّ لهم عند إنشاء السؤال أن يُظهر السؤال تعبدهم وفاقتهم، وتمتلئ قلوبهم بأكمل المعاني التي يتصف بها ربهم ومعبودهم، لذا نجد بين أدعية الأنبياء التلازم والتناوب بين المسألة والعبادة والثناء.

ومن هذه الابتهالات التي بثها أنبياء الله، واصفين أنفسهم بالعجز، ومخبرين عن قدرة ربهم، واعترافهم بتقصيرهم، وظلمهم لأنفسهم، فليس أدلّ على ذلك من دعوة نبي الله ذي النون –عليه السلام– التي نبّه لها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قائلا: "دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وهو في بَطْنِ الْحُوتِ لَا إِلَهَ إلا أنت سُبْحَانَكَ إني كنت من الظَّالِمِينَ فإنه لم يَدْعُ بها رَجُلٌ مُسْلِمٌ في شَيْءٍ قَطُّ إلا اسْتَجَابَ الله له"[1].

ووجه الدلالة في الحديث أن النبي –صلى الله عليه وسلم– أطلق على دعاء ذي النون "دعوة"، ويوضح شيخ الإسلام ابن تيمية سبب هذه التسمية: لأنها تتضمن نوعي الدعاء. ثم بيّن وجه ذلك بقوله:

أ. "**لا إله إلا أنت**، اعتراف بتوحيد الإلهية، وتوحيد الإلهية يتضمن أحد نوعي الدعاء، فإن الإله هو المستحق لأن يُدعى دعاء عبادة ودعاء مسألة، وهو الله لا إله إلا هو"[2].

ب. أما قوله "**سبحانك**" علّق شيخ الإسلام قائلا: فإن هذا اللفظ يتضمن تعظيم الرب وتنزيهه، والمقام يقتضي تنزيهه عن الظلم والعقوبة بغير ذنب.

ج. وقوله: "**إني كنت من الظالمين**" اعتراف بالذنب.

وأشار شيخ الإسلام أن هذا الاعتراف يتضمن طلب المغفرة، مشيرا إلى أن الطالب السائل تارة يسأل بصيغة الطلب، وتارة يسأل بصيغة الخبر، إما بوصف حاله، وإما بوصف حال المسؤول وإما بوصف الحالين.

---

[1] الترمذي: **سنن الترمذي**، كتاب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب82، الحديث:3505، 529/5. // وقال الألباني: حديث صحيح. انظر: الألباني، محمد ناصر الدين (ت:1420هـ): **صحيح سنن الترمذي للإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت:279هـ)**، (3مج)، ط(1). الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. 1420هـ–2000م، كتاب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب82، الحديث:3505، 443/3.

[2] ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، 243/10–244.

وفي نهاية المطاف يتساءل ابن تيمية عن سبب مناسبة حال يونس –عليه السلام– صيغة الوصف والخبر دون صيغة الطلب، فيجتهد بالإجابة على هذا التساؤل: أن المقام مقام اعتراف بأن ما أصاب صاحب الحوت من الشر كان بذنبه، وهو الذي أدخل الضرّ على نفسه، فناسب حاله أن يذكر ما يرفع سببه من الاعتراف بظلمه، ولم يذكر صيغة طلب المغفرة[1].

ومن الآيات التي تجمع بين النوعين، قول الله –تعالى ذكره–: [وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ] {الأنبياء:83}.

يقول ابن القيم: "جمع هذا الدعاء بين حقيقة التوحيد، وإظهار الفقر والفاقة إلى ربه"[2].

ومنها قول الله لنبيه –صلى الله عليه وسلم–: [قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ] {الرعد:30}، ودعاء شعيب –عليه السلام– قائلا: [وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ] {هود:88}.

يقول ابن القيم: "والتوكل معنى يلتئم من أصلين: من الثقة والاعتماد وهو حقيقة إياك نعبد وإياك نستعين"[3].

وهذان الأصلان –التوكل والعبادة– هو ما تضمنه دعاء محمد وشعيب –عليهما السلام– وهما نوعا الدعاء.

ومن تلك الأدعية دعاء الخليل –عليه السلام– [إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ] {إبراهيم:39}، ويعلّق ابن القيم قائلا: أن "المراد بالسمع هنا: السمع الخاص، وهو سمع الإجابة والقبول، لا السمع العام، لأنه سميع لكل مسموع، وإذا كان كذلك، فالدعاء هنا يتناول دعاء الثناء ودعاء الطلب، وسمع الرب –تبارك وتعالى– له إثابته على الثناء وإجابته للطلب"[4].

يتبين أن هذا النوع من الأدعية هو الأكمل، وهو ما اشتمل على نوعي الدعاء؛ لأن فيه وصفا لحال السائل وحال المسؤول، واعترافا بالذنب، وإقرارا بالقدرة الإلهية، والذي يتمثل بدعاء ذي النون.

---

[1] انظر: المرجع السابق نفسه، ص:247–248.

[2] ابن القيم: **التفسير القيم**، ص:364.

[3] المرجع السابق، ص:66.

[4] المرجع السابق، ص:243.

ثالثاً: السرّ الفاصل بينهما:

ذكر ابن تيمية ضابطا للفصل بين نوعي الدعاء، وهو أن ما كان للنفع والضرّ، فهو دعاء المسألة، وما كان خوفا وطمعا ورجاء فهو دعاء العبادة[1].

وعلى ذلك، فإن الداعي دعاء المسألة، يعلم ويوقن تماما أن الله "وحده" هو الذي يملك الضر والنفع، وبالتالي هو "وحده" القادر على جلب النفع وكشف الضر ورفعه إذا وقع.

كما أن الداعي دعاء العبادة، يعلم أن الله "وحده" مَنْ يُتوجه إليه خوفا من إيقاع العذاب عليه، وطمعا في رحمته، ورجاءً في عفوه وقبول دعائه.

ويضيف شيخ الإسلام أن "دعاء العبادة بالمحبة والإنابة، والطاعة والإجلال، والإكرام والخشية، والرجاء، ونحو ذلك من معاني تألهه وعبادته، ودعاء المسألة والاستعانة بالتوكل عليه، والالتجاء إليه، والسؤال له، ونحو ذلك مما يفعل سبحانه بمقتضى ربوبيته"[2].

وعند النظر والتأمل، فإننا نجد كيف صُدِّر الدعاء المتضمن للثناء بلفظة: "اللهم" نحو ما جاء في دعاء المسيح –عليه السلام– [قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ] {المائدة:114} ، بَيْد أنّ الدعاء المجرد جاء مصدَّرا بلفظ "الرب"، نحو دعاء آدم وزوجه حواء –عليهما السلام– [قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا] {الأعراف:23}.

وقول نوح –عليه السلام–: [قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ] {هود:47}.

وقول موسى –عليه السلام–: [رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي] {القصص:16}.

والسرّ في ذلك، أن الله –تعالى– يُسأل بربوبيته المتضمنة قدرته وإحسانه وتربيته عبده وإصلاح أمره، ويُثنى عليه بإلهيته المتضمنة إثبات ما يجب له من الصفات العُلى، والأسماء الحسنى، فالدعاء حيث وقع لا يكاد يجيء إلا مصدَّرا باسم الرب، وأما الثناء، فمصدَّر بالأسماء الحسنى، وإن أعظم ما يصدَّر به: اسم "الله" –جل جلاله– نحو قوله تعالى في آخر الإسراء آمرا

---

[1] انظر: ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، 11/15.

[2] المرجع السابق، 456/2.

نبيه: [وَقُلِ الحَمْدُ للهِ] {الإسراء:111} ، وقوله في السورة نفسها: [قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا] {الإسراء:93} [1].

وقد جمع دعاء عيسى –عليه السلام– بين الأمرين، ولم يجيء في القرآن سواه، أما السر في دعاء عيسى –عليه السلام– فهو دلالة دعائه على كمال معرفته بربه، فقد بدأ سؤاله باسم "اللهم"، الدالّ على الثناء على الله بجميع أسمائه وصفاته، والمقصود من هذا الدعاء وقضاء هذه الحاجة، إنما هو أن يُثني على الرب بذلك، ويمجده به، ويُظهر شواهد قدرته وربوبيته، فأُتي بالاسمين، اسم الله الذي يُثنى عليه به، واسم الرب الذي يُدعى ويسأل به؛ لأن المقام مقام الأمرين[2].

يفهم مما سبق عدة أمور نجملها بما يأتي:

1. أن ما كان من الأدعية بلفظ "الله"، فهو في الغالب دعاء عبادة، أي توحيد ألوهية، وهذا التوحيد يعني "الاعتقاد الجازم أن الله –سبحانه– هو الإله الحق، ولا إله غيره، وإفراده –سبحانه– بالعبادة"[3].

2. أنّ ما كان من الأدعية بلفظ "رب"، فهو دعاء مسألة على الأظهر، لأن فيه قضاء حوائج، مع العلم أن من مقتضيات الربوبية، أن الله هو الرازق والمالك والمحيي والمميت، حيث إن الربوبية تعني: تفرد الله سبحانه في الخلق والملك وتدبير شؤون العباد ونفعهم وضرهم وإجابة دعائهم عند اضطرارهم، قال تعالى: [أَلَا لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ] {الأعراف:54}[4].

المطلب الثالث: نوعا دعاء الأنبياء

أولاً: دعاء العبادة والثناء عند الأنبياء:

---

[1] انظر: البيهقي، أبو بكر(ت:451هـ)، وآخرون: **شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العليا**، (2مج). ط(1). القاهرة: دار ابن الهيثم. 1426هـ–2005م، اعتنى به وخرج أحاديثه: أبو عبد الرحمن عادل بن سعد، 46/1.

[2] انظر: المرجع السابق نفسه، ص:47.

[3] ياسين، محمد نعيم: **الإيمان أركانه حقيقته نواقضه**، بلا ط وسنة نشر. الرياض: الندوة العالمية للشباب، ص:10.

[4] انظر: المرجع السابق، ص:6.

دعوات الأنبياء للثناء على الله، وتوحيد ألوهيته كثيرة في كتاب الله، يصعب حصرها وتحديدها ضمن هذا المبحث، لذا نذكر بعضا منها، بعد أن نضع الضابط، لتحديد هذه الدعوات، **والضابط هو:**

أ. كل ما كان فيه السؤال لذات الله، بأحد أسمائه أو صفاته، وما فيه إقرار بألوهيته، فهو أقرب إلى دعاء العبادة والثناء.

ب. ما كان فيه إظهار العبودية والخضوع والتذلل والانكسار، أي ما كان يخاطب معبودا، له أوامر ونواهٍ، وفي إجابته الثواب.

ودعاء العبادة: هو جميع "أنواع العبادة الظاهرة والباطنة من الأقوال والأعمال والنيات والتروك، التي تملأ القلوب بعظمة الله وجلاله"[1].

ومن هذه الأدعية قول آدم –عليه السلام–: [قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ] {الأعراف:23}، إن آدم –عليه السلام– وصف نفسه أنه ظالم، فاعترافه بذنبه، وطلبه المغفرة عبادةً، ومن ثم وصف ربه أنه إن لم يغفر له سيكون من الخاسرين، فهذا دعاء يتضمن الثناء والطلب وهو إلى الثناء أقرب.

ومن هذا القبيل دعاء نوح –عليه السلام– [رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الخَاسِرِينَ] {هود:47}.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فهذا ليس صيغة طلب، وإنما هو إخبار عن الله أنه إن لم يغفر له ويرحمه خسر ولكن هذا الخبر يتضمن سؤال المغفرة"[2].

ومن ذلك ما ورد على لسان إبراهيم –عليه السلام–: [وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ] {الشعراء:82}، فقد طمع بالمغفرة وتوجه إلى الله طامعا في مغفرته.

كما أن دعاء يوسف –عليه السلام– يتضمن الثناء وهو قوله: [وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ] {يوسف:33}.

---

[1] أبو زيد، بكر بن عبد الله: **تصحيح الدعاء**، ط(1). الرياض: دار العاصمة، 1419هـ–1999م، ص:17.

[2] ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، 244/10.

قال أبو حيّان[1]: "ذَكَر استجابة الله له ولم يتقدم لفظ دعاء، لأن قوله "وإلا تصرف عني" فيه معنى طلب الصرف والدعاء، وكأنه قال: رب اصرف عني كيدهن. فصرف عنه كيدهن"[2].

وقد حال بينه وبين المعصية، فهذا وصف ليوسف –عليه السلام– أنه إذا وكّله لنفسه، فليس له منها إلا الضعف والعجز، لأنه ضعيف لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرّا، إلا إذا عصمه، وحفظه بحوله وقوته[3].

ومن تلك الدعوات: دعاء موسى –عليه السلام– واعترافه بذنبه وطلبه المغفرة [قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ] {القصص:16}.

هذا وصفٌ لنفسه بتذلل وانكسار، وكذلك قوله: [رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ] {الأعراف:151}، وقوله عند قتله القِبطي: [رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ] {القصص:33}[4]، وقوله حين خشي وأخوه لقاء فرعون فقالا: [قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى] {طه:45}.

ومنه أيضا استغفار داود –عليه السلام– وطلبه المغفرة [فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ] {ص:24}.

يتبين مما سبق بعض الأمور:

أ– لا ينتظر في دعاء العبادة والثناء، أُستجيب أو لم يُستجب، لأنه إظهارُ العبد العجز والاحتياج من نفسه، والاعتراف بأن الله تعالى قادر على إجابته.

---

[1] هو محمد بن يوسف بن علي بن حيّان الغرناطي الجياني الأندلسي، أديب نحوي لغوي مفسّر محدّث ومقرئ، ت:745هـ، من تصانيفه، البحر المحيط في التفسير، وتحفة الأديب بما في القرآن من الغريب. // انظر: ابن حجر: **الدرر الكامنة**، 310/4.

[2] أبو حيّان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت:745هـ) **البحر المحيط**، (8مج). تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون. ط(1). بيروت: دار الكتب العلمية. 1422هـ–2001م، 306/5.// وانظر: نصر، محمد بن موسى وسليم بن عيد الهلالي: **إتحاف الإلف بذكر القواعد الألف والنيّف من سورة يوسف عليه السلام**، (2مج). ط(1). الرياض: مكتبة الرشد ناشرون. 1424هـ–2003م، 414/1.

[3] انظر: نصر: **إتحاف الإلف**، 410/1.

[4] انظر: حسن، محمود السيد: **روائع الإعجاز في القصص القرآني دراسة في خصائص الأسلوب القصصي المعجز**، بلا ط وسنة نشر. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ص:224.

ب- "يغلب حق الرب ووصفه في دعاء العبادة"[1].

ج- غالبا ما تكون الصيغة في دعاء العبادة، خبرية، إما أن تخبر عن حال الداعي، أو المدعو، أو الاثنين معا، ويمكن أن نقول إنها بلسان الحال[2].

ثانياً: دعاء المسألة والطلب عند الأنبياء:

وهذا النوع يتعلق بالحاجات الدنيوية، وما يحتاجه الأنبياء من أمور معيشتهم التي تعينهم في الدنيا لتبلغهم الآخرة، وأما دعاء المسألة فهو "دعاء العبد لربه وطلبه إياه، وسؤاله له ما ينفعه في دنياه وآخرته ودفع ما يضره، وكشف ما ألمّ به"[3].

إن أشد الناس بلاء، هم الأنبياء؛ لذا كان افتقارهم إلى الله أشد وأدوم، واحتياجهم إلى الله أعظم، فكلما دهمهم أمر، لجأوا إلى ركن الله الشديد، بل إنهم يلجأون إليه سبحانه في صغير الأمر وكبيره، وكم من دعوات صعدت إلى السماء، مفعمة بانتظار الفرج من الله، فقد ورد على لسانهم كثير من الأدعية دلّت على الطلب وقضاء الحوائج، ومن تلك الأدعية التي هي إلى دعاء المسألة أقرب، ما ورد على لسان إبراهيم –عليه السلام- في مواضع مختلفة في كتاب الله، نذكر منها قوله تعالى: [رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ] {الصَّافات:100}، وقوله تعالى: [رَبِّ اجْعَلْ هَذَا البَلَدَ أَمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ] {إبراهيم:35}، وقوله تعالى: [رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا أَمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ أَمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَاليَوْمِ الأَخِرِ] {البقرة:126}.

فإبراهيم –عليه السلام- يؤمن يقينا بربوبية الله، لذا سأله بكل مقتضيات الربوبية التي لا يملكها إلا رب العالمين، فصدّر دعاءه بصيغة "ربِّ" ثم طلب الذرية الصالحة ورؤية كيفية الإحياء، لأن ربه وحده من يملك القدرة على الإحياء والإماتة، كما طلب الإعانة على أداء فرائضه، وقبول دعوته، فالله هو المستعان، وطلب تدبير شؤون الخلق، من إرساء الأمن، وإغداق الرزق.

---

[1] العروسي: **الدعاء**، 134/1.

[2] انظر: ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، 248/10. // وانظر: العروسي: **الدعاء**، 147/1-148.

[3] أبو زيد: **تصحيح الدعاء**، ص:17.

وأما ما جرى على لسان موسى –عليه السلام– من أدعية يسأل ربه، فهي كما جاء في سؤاله –عليه السلام: [رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي(25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي(26) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي(27) يَفْقَهُوا قَوْلِي(28) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي(29) هَارُونَ أَخِي(30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي(31) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي(32)] {طه}، وقوله تعالى: [رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ] {القصص:24}، وقوله تعالى: [رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ] {الأعراف:143}، وقوله: [رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ] {يونس:88}.

فالملاحظ أنه –عليه السلام– قد "اختار صفة الربوبية في دعائه، فلم يقل "يا الله"؛ لأن الألوهية تقتضي معبودا، له أوامر ونواه، أما الرب فهو المتولي للتربية والرعاية"[1].

لذا كانت نداءات موسى –عليه السلام– من مستلزمات الربوبية، فما شرح الصدر، وتيسير الأمور، وشدّ الأزر، وتيسير الرزق، وطلب النصرة، إلا من مستلزماتها، وجميعها بحاجة إلى ربّ مدبر للأمور، مالك لها قادر وحده على التصرف.

ومما كان إلى السؤال والطلب أقرب منه إلى العبادة والثناء، توجيه الله لنبيه بالاستعاذة من الشيطان: [وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ(97) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ(98)] {المؤمنون}، "والعَوَذ أي عاذ به... ولاذَ به، والتجأ إليه واعتصم، ومُتعوّذ: مستجير"[2].

ومن تلك الأدعية التي كانت بصيغة السؤال والطلب كذلك، دعاء زكريا –عليه السلام– [هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ] {آل عمران:38}، وقوله تعالى: [إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا(3)قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا(4)] {مريم}.

يدل دعاء زكريا –عليه السلام– أن الله تعالى قد عوّده قبل هذا الطلب، أن يقضي حاجاته فطلب منه الذرية، مجاراة على عادته التي عوده، من قضاء حوائجه وإجابته مسألته[3].

---

[1] الشعراوي، محمد متولي (ت:1419هـ): **تفسير الشعراوي**، (20مج)، بلا معلومات نشر، 10907/17.

[2] ابن منظور: **لسان العرب**، 498/3.

[3] انظر: ابن القيم: **التفسير القيم**، ص:243.

وغير هذه الأدعية كثير مما كانت إلى الطلب والسؤال أقرب، فإن جميع الأدعية **لطلب النصرة على الأعداء** هي من قبيل دعاء المسألة. أو هي إلى دعاء المسألة والطلب أقرب.

ويمكن لنا من خلال ما سبق أن نستنتج عدة أمور وهي:

أ- يجيء دعاء مسألة وطلب الأنبياء -على الأغلب- مصدَّرا **بصيغة الربوبية**، إلا ما كان من غير تصريح، لكنه يحمل معنى السؤال والطلب، وهذا يوحي بإثبات ربوبية الله على خلقه، وتفرده بقضاء الحوائج.

ب- "يغلب حظ العبد في دعاء المسألة والطلب"[1].

ج- الصيغة الطلبية في دعاء الأنبياء، جاءت صريحة بلفظ افعل ولا تفعل، وهذا أقرب إلى السؤال والطلب، منه إلى الثناء، كما أن فيه "الرغبة التامة والسؤال المحض وهو أظهر من جهة القصد والإرادة"[2].

د- بعد إنعام النظر، تبين أن آيات طلب ومسألة الأنبياء جميعها ضمن السور المكية، ويُلحظ هنا حكمة بديعة -إن صح الاجتهاد- هي أن دعاء المسألة والطلب يتناسب والجو المكي، حيث كان مشوبا بالشرك والوثنية والعقائد المنحرفة، من التوجه لغير الله بالدعاء، فجاءت هذه الأدعية، لتبرز هيمنة وعظمة الربوبية، وتوحيده -سبحانه- وتبيّن مقتضياتها، وتفرّد الله بالقدرة على تسيير الأمور، والإجابة على جميع ما سألوه.

---

[1] انظر: العروسي: **الدعاء**، 134/1.

[2] المرجع السابق نفسه، ص:149.

المبحث الثاني

دلالات دعاء الأنبياء

وفيه مطلبان

المطلب الأول: الدلالة على وجود الله

وفيه ثلاثة مسائل:

أولاً: دلالة دعاء الأنبياء على توحيد الربوبية:

والرب في اللغة: "هو كل شيء مالكه"[1].

أما في اصطلاح العلماء: قال ابن جرير هو "السيد المطاع"[2].

وقال أبو زهرة: هو "المالك وهو السيد، وهو المصلح والمدبّر، والجابر والقائم على كل شيء، الذي يسير الوجود كله بحكمته وبقدرته وإرادته[3].

وعرفه آخرون بأنه "الإقرار بأن الله خالق كل شيء"[4].

وعلى ذلك فإن توحيد الله في الربوبية هو "الإقرار بأنه سبحانه هو وحده خالق الخلق، ومالكهم، ومحييهم ومميتهم، ونافعهم وضارهم، ومجيب دعائهم عند الاضطرار، والقادر عليهم، ومعطيهم ومانعهم، وله الخلق، وله الأمر كله"[5].

ويقول ابن القيم أن "الخلق والإيجاد والتدبير والفعل من صفة الربوبية"[6].

والذي يظهر من خلال حديث العلماء حول الربوبية، أن من مقتضياتها: قضية الخلق، والإحياء والإماتة، وكذلك الملك، والنفع والضرّ، وإجابة الدعاء، والعطاء والمنع...

وهذا ما ذهب إليه ابن تيمية أن دعاء المسألة والاستعانة يتحصلان: بالتوكل على الله والالتجاء إليه، والسؤال له بمقتضى ربوبيته.

---

[1] الرازي: **مختار الصحاح**، 96/1.

[2] الطبري: **جامع البيان**، 62/1.

[3] أبو زهرة، محمد أحمد مصطفى (ت:1974م): **زهرة التفاسير**، (10مج). بلا ط وسنة نشر. دار الفكر العربي، 57/1.

[4] الحنفي: **شرح العقيدة الطحاوية**، ص:77.

[5] ياسين: **الإيمان**، ص:6-7.

[6] ابن القيم: **مدارج السالكين**، 34/1-35.

ويضيف الشيخ قائلا: ولهذا جاءت الشريعة الكاملة في العبادة باسم الله وفي السؤال باسم الرَّب[1].

أما دلالة أدعية الأنبياء على هذا التوحيد، فنجدها قد تجسدت جليّةً واضحة في دعائهم، من خلال عدّة مقامات، أهمها:

أ- في مقام الخلق والإحياء:

إن أول مقام في توحيد الربوبية، دلّ عليه دعاء الأنبياء هو مقام الخلق والإحياء، فقد ظهرت دلالته في دعاء إبراهيم -عليه السلام- [وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي المَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] {البقرة:260}.

وجه الدلالة: إن إبراهيم -عليه السلام- يعلم علما يقينيا بأن الله قادر على إحياء الموتى، لكنه أراد أن يصل إلى عين اليقين[2] بعد أن توصّل إلى علم اليقين[3] [4]، وعملية الإحياء هي من مقتضيات الربوبية.

ومن هذا القبيل كذلك، ما دل عليه دعاء نبي الله زكريا -عليه السلام- حينما سأل ربه الذرية الصالحة، وقد بلَغه الكِبر، قال تعالى: [هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ] {آل عمران:38}، وبعد استماعه للبشارة الإلهية، اعتراه العجب قائلا: [رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ] {آل عمران:40}.

وللنسفي رأي في وجه دلالة الآية، وهو أن استبعاد زكريا -عليه السلام- لإنجابه الذرية -وهذا حاله وحال امرأته- إنما هو "استبعاد من حيث العادة واستعظام للقدرة لا تشكك"[5].

---

[1] ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، 456/2.

[2] عين اليقين: المغني بالاستدلال عن الاستدلال وعن الخبر بالعيان. // لمزيد من الإيضاح: انظر: ابن القيم: **مدارج السالكين**، 403/2.

[3] علم اليقين: قبول ما ظهر من الحق، وقبول ما غاب للحق، والوقوف على ما قام بالحق. // لمزيد من الإيضاح: انظر: ابن القيم: **مدارج السالكين**، 401/2.

[4] انظر: ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، 316/1.

[5] النسفي: **مدارك التنزيل**، مج1، 156/1.// وانظر: الزمخشري: **الكشاف**، 388/1.

ويدل على ذلك أنه سأل الله "بأنّى" بمعنى كيف وهو سؤال عن الكيفية، وكانت الجملة من بعد ذلك جملة حالية صدّرت بواو الحال، فقال: [وَقَدْ بَلَغَنِيَ الكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ] {آل عمران:40}[1].

ب- في مقام الملك والتصرف في الكون:

أما في مقام الملك وتصرف الله بالكون، وأنه تعالى بيده كل شيء، فإن دلالته تُلحظ من دعاء سيد الخلق -صلى الله عليه وسلم- حينما أمره ربه أن يتوجه بالدعاء لله ويمجده، ويُعظِم الطلب، في قوله تعالى: [قُلِ اللهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(26) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَتُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ(27)] {آل عمران}.

أما وجه الدلالة في قوله تعالى "**مالك الملك**"، فقد أُمر النبي -صلى الله عليه وسلم- بتمجيد ربه بأنه "القادر على القدرة"[2]، أو كما قال الزمخشري "يملك جنس الملك فيتصرف فيه تصرف الملاّك"[3].

يقول الرازي: إنه بعد بيان كون الله "**مالك الملك**" على الإطلاق فصل بعدها أن قوله تعالى "**تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء**" محمول على جميع أنواع الملك، فيدخل فيه ملك النبوة، وملك العلم، والأخلاق الحسنة، وملك النفاذ، والقدرة، وملك المحبة[4].

ج- في مقام تفرّد الله بالنفع والضرّ:

ومن مقامات مقتضيات الربوبية التي دلت عليها أدعية الأنبياء الدلالة على ملك الله للنفع والضرّ وتفرده بهما، وهذا المقام يكثر تجلّيه والدلالة عليه عند تعرّض الأنبياء للبلاء، الذي هو من أجْل التمحيص، ومن ذلك ما دلّ عليه أيوب -عليه السلام- في طلبه لدفع الضر: [وَأَيُّوبَ إِذْ

---

[1] انظر: أبو زهرة: **زهرة التفاسير**، 1207/2.

[2] الرازي: **مفاتيح الغيب**، 5/8.

[3] الزمخشري: **الكشاف**، 542/1.

[4] انظر: الرازي: **مفاتيح الغيب**، 7/8.

نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ] {الأنبياء:83}، وقوله [أَنِّيْ مَسَّنِيَ الْشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ]{ص:41}.

ومنها ما دلّ عليه دعاء النبي –صلى الله عليه وسلم–: [قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ(93)رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي القَوْمِ الظَّالِمِينَ(94)] {المؤمنون} ، لئلا يطاله العقاب إذا حل بالظالمين من أهل مكة[1].

ومنها ما دلّ على دفع وصرف الفتنة، ودلالته دعاء يوسف –عليه السلام–: [قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الجَاهِلِينَ] {يوسف:33}.

ومنها ما كان في طلب النُّصرة ودلالته دعاء شعيب –عليه السلام–: [رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الفَاتِحِينَ] {الأعراف:89} .

ولوط –عليه السلام– إذ دعا: [رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى القَوْمِ المُفْسِدِينَ] {العنكبوت:30}.

ونوح –عليه السلام– [رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ] {المؤمنون:26}.

وموسى –عليه السلام– حين دعا على قوم فرعون: [رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ] {يونس:88}، فإن جميع هذه الأدعية لها دلالة في إثبات قدرة الله على التصرّف بالعباد، ونصر أنبيائه.

د– في مقام الاستسلام لله: [2]

إنّ لدعاء الأنبياء دلالة واضحة في مقام الاستسلام لله والانقياد للخالق، وذلك استجابة لأمر ربهم في قوله: [وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ العَالَمِينَ] {الأنعام:71}، وأول هذه الدعوات، تلك التي أُمر بها نبينا –صلى الله عليه وسلم– ليخاطب العرب: [قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِينَ(161) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ العَالَمِينَ(162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ(163)] {الأنعام}.

---

[1] الجاويش: **دعاء الأنبياء**، ص:140.

[2] انظر: ياسين: **الإيمان**، ص:8.

وجه الدلالة: في هذا الدعاء وصفٌ للربوبية؛ للدلالة على الهداية منسوبة إلى الخالق المكوِّن، والتي كانت إلى دين، اتصف بالاستقامة، وأنه "دينا قيما" صحيحاً، وعلى ملة إبراهيم غير منحرف إلى باطل، بل هو مائل إلى الحق متجه إليه[1].

وفي الآية دلالة على التفويض الكامل لله، وإقرار الرسول بملكية الله –تعالى– له ولعباده، ملكية كاملة، لذا قال: "مَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ العَالَمِينَ"، فهو المتصرف في الوجود –لا شريك له–[2].

وفي مقام الاستسلام دلّ دعاء إبراهيم –عليه السلام– في السورة نفسها، على إخلاصه في القصد[3]: [إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ] {الأنعام:79}، كما في الآية دلالة على إقرار إبراهيم –عليه السلام– على قدرة الله في خلق السماوات، حيث معنى فطرهنّ: "مبدعهما من الفَطر بمعنى الشق، كأنه شقّ العدم بإخراجهما منه"[4].

هـ– في مقام تفرّد الله بالرزق:

وفي مقام تكفلّ الله برزق عباده وإحلال الأمان والاطمئنان، دلّ عليه قول إبراهيم –عليه السلام–: [رَبِّ اجْعَلْ هَذَا البَلَدَ آَمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ(35) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(36) رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ المُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ(37) رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ(38) الحَمْدُ للهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ(39) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ(40)] {إبراهيم}. وقوله تعالى: [رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آَمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آَمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ المَصِيرُ] {البقرة:126}.

---

[1] انظر: أبو زهرة: **زهرة التفاسير**، 2760/5–2761.

[2] المرجع السابق نفسه، ص:2763.

[3] ياسين: **الإيمان**، ص:8.

[4] انظر: البيضاوي: **أنوار التنزيل**، 320/2. // وانظر: ابن منظور: **لسان العرب**، 55/5.

إن في دعاء إبراهيم –عليه السلام– دلالة جليّة على معرفته التامة، وإقراره بتوحيد الربوبية، وهل الأمان والرزق والهداية وقبول الأعمال والدعاء، إلا من مقتضيات الربوبية ومستلزماتها!

هناك لفتة لطيفة من السياق في سورة البقرة وهي: طلب إبراهيم –عليه السلام–الرزق، وحصْر الطلب لمن آمن فقط، فقال: "وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ أَمَنَ مِنْهُمْ"، وسبب الحصر أنه لمّا قال الله –تعالى– لإبراهيم –عليه السلام–: "إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا" {البقرة:124}، قال إبراهيم –عليه السلام–: "وَمِنْ ذُرِّيَّتِي"، فأجابه الله: "لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ"، لذا لمّا علم الخليل –عليه السلام– أن عهد الله لا يناله الظالمون، لم يدعُ بالرزق إلا للمؤمنين فقط.

فلمّا كان ذلك، قال له الحق: "وَمَنْ كَفَرَ" أي سأرزق من كفر؛ لأن الرزق من مقوّمات الحياة، وعطاءات الربوبية، أما المناهج والإمامة فهي من عطاءات الألوهية[1].

يتبين مما سبق أن توحيد الربوبية، الذي ظهرت دلالته جليّة في دعاء الأنبياء هو توحيد تشمل مقتضياته المؤمن والكافر، نستدلّ ذلك من حصر إبراهيم –عليه السلام– الرزق لمن آمن وقول الحق بأنه "وَمَنْ كَفَرَ" سأرزقه.

و– في مقام التوكل على الله والاستعانة به:

أمّا في مقام التوكّل والاستعانة بالله، فقد كثرت دلالة أدعية الأنبياء على ذلك فمنها: دعاء إبراهيم –عليه الإسلام– [رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ] {الممتحنة:4}.

وقوله تعالى على لسان نبيه: [رَبِّ احْكُمْ بِالحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ المُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ] {الأنبياء:112}.

وقوله تعالى على لسان هود –عليه السلام–: [إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] {هود:56}، ومنها [قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ] {الرعد:30}.

ثانياً: دلالة دعاء الأنبياء على توحيد الألوهية:

---

[1] انظر: الشعراوي: **تفسير الشعراوي**، 3741/6.

والإله في اللغة: "من أَلِهَ يألهُ... وأصله إلاه، على فعال بمعنى مفعول لأنه مألوه أي معبود"[1].

أما في اصطلاح أهل العلم: فقد ذكر الزجّاج أن الإله إنما هو "الذي يستحق العبادة، وهو تعالى مستحق لها دون من سواه"[2]. وقال ابن تيمية: أن الإله هو المألوه وهو الذي يستحق أن يُعبد، وتتضمن الإلهية كمال علم الله، وقدرته ورحمته وحكمته، وفيها إثبات إحسانه –سبحانه– إلى العباد[3].

وقد سمّى ابن القيم هذا التوحيد بتوحيد العبادة، وأنه "التوحيد الذي دلت عليه الرسل، وهو ما تضمنته سورة "قل يا أيها الكافرون"، وقوله: [قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا] {آل عمران:64}..."[4].

وقال أيضا: "إن صفة الإلهية هي الإقرار طوعا بأنه الله الذي لا إله إلا هو، الذي لا تنبغي العبادة والتوكل والرجاء والخوف والحب والإنابة والإخبات والخشية والتذلل والخضوع إلا له"[5].

وأضاف الشيخ محمد عبد الوهاب[6] معانيَ أُخر لما تقتضيه الألوهية قائلا: "لا يُدعى ولا يُرجى إلا الله وحده لا شريك له، ولا يُستغاث بغيره، ولا يُذبح لغيره ولا يُنذر"[7].

---

[1] الرازي: **مختار الصحاح**، 9/1.

[2] الزجّاج، أبو اسحق إبراهيم بن محمد (ت311هـ): **تفسير أسماء الله الحسنى**، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق. ط(1974م). دمشق: دار الثقافة العربية، ص:26.

[3] انظر: ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، 249/10. // وانظر: 1/88–89.

[4] عيسى، أحمد بن إبراهيم: **توضيح المقاصد والقواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم**، (2مج). تحقيق: زهير الشاويش. ط(3). بيروت: المكتب الإسلامي. 1406هـ، 260/2.// وانظر: عبد الوهاب، محمد (ت:1206هـ): **مؤلفات الشيخ محمد عبد الوهاب في العقيدة**، تحقيق: عبد العزيز زيد الرومي وآخرون. بلا ط وسنة نشر. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، 166/1.

[5] ابن القيم: **مدارج السالكين**، 34/1.

[6] هو محمد بن عبد الوهاب، ولد (1115هـ) في بلدة العينية شمال الرياض، كان داعية للتوحيد، مجدّدا، ناصرا للسنّة، قامعا للبدعة، عارفا بأصول عقائد الإسلام، له كتاب التوحيد، كشف الشبهات، مسائل الجاهلية، وغيرها، توفي رحمه الله عام 1206هـ.//انظر: صيد الفوائد http://saaid.net/monawin/index.html

[7] عبد الوهاب، محمد (ت:1206هـ): **مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان**، تحقيق: إسماعيل بن محمد الأنصاري. بلا ط وسنة نشر. الرياض: مطابع الرياض، 366/1.

يتبيّن من خلال حديث العلماء السابق، مستلزمات الألوهية ومقتضياتها، وبعد النظر في أدعية الأنبياء وفهْمِ مراميها ودلالاتها، لوحِظ تضمُّن –مقتضيات الألوهية– في تلك الأدعية، ومنها:

أ– تنزيه الله عن الشريك:

ويظهر ذلك بما تضمنته مباهلة النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– لمن عاند الحق من نصارى نجران، في إثبات وحدانية الله، وأن: [مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آَدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ] {آل عمران:59}، وذلك في قوله تعالى: [فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الكَاذِبِينَ] {آل عمران:61}.

وجه الدلالة:

1. دلّت الآية على الوحدانية لله، وأن وفد نجران تولوا، ولم يستمروا في قبول المحاجّة بينهم وبين النبي –صلى الله عليه وسلم– وذلك ليقينهم بصدقه، وإقرارهم بأن الله لا شريك له[1].

2. أثبت الحق –تبارك وتعالى– تفرده بالألوهية –صراحة– بعد المباهلة بقوله تعالى: [وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ] {آل عمران:62} .

وقد جاء إثبات الوحدانية لله، على لسان خاتم الأنبياء –صلى الله عليه وسلم– كما في قوله تعالى لنبيه: [قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ] {الرعد:30}، وقوله في سورة الإسراء: [وَقُلِ الحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ] {الإسراء:111} .

وقول الله تعالى: [فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ] {التوبة:129}.

وجه الدلالة في الآيات الكريمة: أن جميعها تثبت الوحدانية لله على لسان خاتم الأنبياء وأكرمهم، إذ أمَرَه الله بالإقرار بها.

يقول الشيخ الشعراوي: أنها أثبتت الألوهية لله، ونفتها عن غير الله[2].

---

[1] البيضاوي: **أنوار التنزيل**، 207/1.

[2] انظر: الشعراوي: **تفسير الشعراوي**، 5619/9.

ب- تحقيق الدعاء بين الخوف والرجاء:

وأما في مقام الخوف والرجاء والطمع بما عند الله، فمن ذلك قول الله -عز وجل- على لسان آدم -عليه السلام- في قوله تعالى: [قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ] {الأعراف:23}، ومن ذلك ما كان على لسان موسى -عليه السلام- راجيا ربه [عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ] {القصص:22}.

ورجاء يعقوب -عليه السلام- في رجوع ولَدَيه إليه [عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا] {يوسف:83}.

ومنه رجاء إبراهيم -عليه السلام- أن يهب له ولدا وأهلا يستأنس بهم في اعتزاله، أو رجاؤه بهداية أبيه [عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا] {مريم:48}[1].

ج- الإخلاص في العبادة والشعائر:

أما في مقام الإخلاص في العبادة وشعائرها، وأعمال تعظيم الله، فقد ورد على لسان إبراهيم -عليه السلام- [وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا] {البقرة:128}، وكذلك دعاؤه الذي توجه به بقلبه، وروحه في المحبة والعبادة، وجعله مسلما مائلا عن الأديان الباطلة، والعقائد الزائفة، منزّها مقامه عن الشكّ والحيرة، قوله تعالى: [إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ] {الأنعام:79}[2].

ثالثاً: دلالة دعاء الأنبياء على توحيد الأسماء والصفات:

والاسم في اللغة: يأتي بمعنى الذِّكر، يقال: "ذهب اسمه في الناس أي ذِكره... وتساموا تداعوا بأسمائهم"[3].

أما الصفة في اللغة فهي: "من صفا، الصفو والصفاء ممدود، نقيض الكدَر... وصفوة كل شيء خالصه"[4].

---

[1] انظر: الشوكاني: **فتح القدير**، 337/3.

[2] انظر: القاسمي، محمد جمال الدين (ت:1332هـ): **تفسير القاسمي المسمّى محاسن التأويل**، (17مج). علّق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي. ط(1). بلا بلد ودار نشر.1376هـ-1957م، 2376/6.

[3] الزبيدي: **تاج العروس**، 312/38.

[4] ابن منظور: **لسان العرب**، 462/14.

وإذا ما استعرضنا توحيد الأسماء والصفات في الاصطلاح فهو "إثبات حقيقة ذات الرب تعالى، وصفاته، وأفعاله، وأسمائه "ليس كمثله شيء" في ذلك كله كما أخبر به عن نفسه وكما أخبر رسول الله –صلى الله عليه وسلم–"[1].

وهو كذلك "الاعتقاد الجازم بأن الله متصف بجميع صفات الكمال، ومنزّه عن جميع صفات النقص، وأنه متفرد بهذا عن جميع الكائنات، وذلك بإثبات ما أثبته سبحانه لنفسه أو أثبته له رسوله –صلى الله عليه وسلم– من الأسماء والصفات، الواردة في الكتاب والسنة، من غير تحريف ألفاظها، أو معانيها، ولا تعطيلها بنفيها أو نفي بعضها عن الله عز وجل، ولا تكييفها بتحديد كنهها، وإثبات كيفية معينة لها ولا تشبيهها بصفات المخلوقين"[2].

لدعاء الأنبياء، دلالات بيّنة واضحة على إثبات أسمائه وصفاته –سبحانه– ولا يكاد يخلو دعاء من أدعيتهم، من اسم لذات أو لصفة؛ لأنها كلها حُسنى، تليق بجلاله وكماله، وتوصل إلى مزيد معرفة الله –عز وجل–.

والعلم بهذا النوع من التوحيد، يوصلنا إلى معرفة الله ذاتاً وصفةً، ومن خلال التعريف السابق بتوحيد الأسماء والصفات، يمكن لنا أن نستلهم منه الأسس الثلاثة التي يستلزمها هذا التوحيد وهي كما ذكرها الشنقيطي: [3]

1. تنزيه الله –جل وعلا– على أن يُشبه بشيء من صفات المخلوقين.
2. الإيمان بالأسماء والصفات التي أثبتها الله لنفسه أو أثبتها نبيه.
3. قطع الطمع عن إدراك كيفية هذه الصفات.

وعند إنعام النظر في أدعية الأنبياء نجدها مطابقة لهذه الأسس، والبيان فيما يأتي:

أ– تنزيه الله –تعالى– أن يُشبه بشيء من صفات المخلوقين:

---

[1] الحنفي: **شرح العقيدة الطحاوية**، ص:88.

[2] ياسين: **الإيمان**، ص:15.

[3] انظر: الشنقيطي، محمد الأمين (ت:1393هـ): **منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات**، ط(4). الكويت: الدار السلفية، 1404هـ–1984م، 9/1.

إذا ما استعرضنا الأساس الأول وهو تسبيح وتنزيه الأنبياء لله، نجد أن دعاء يونس –عليه السلام– دلّ عليه، في قوله تعالى: [لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ] {الأنبياء:87}.

وتنزيه موسى –عليه السلام– لربه في قوله تعالى: [فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ] {الأعراف:143}.

وقول عيسى –عليه السلام– في قوله تعالى: [سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ] {المائدة:116}.

وقوله تعالى لنبيّنا –صلى الله عليه وسلم–: [قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا] {الإسراء:93}، وكذلك [فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ] {الحجر:98}.

وجه الدلالة:

إن أدعية الأنبياء دلّت على تنزيه الله –تعالى– عن مشابهة خلقه في شيء[1]، أو أن يثبت لأحد رؤيته، أو أن يكون له شريك، أو يتخذ إله من دونه، وأن يسبّحه بأسمائه وينزهه عن التسمية بغير ما سمّى به نفسه[2].

ب– إثبات الأسماء والصفات التي أثبتها الله لنفسه أو أثبتها نبيّه:

لقد جسّد الأنبياء الوحدانية لله في أسمائه وصفاته، بأنه لا يشابهه أحد في ذاته، ولا يساويه أحد من خلقه في صفاته، فقد أثبتوا هذه المعاني حين توجهوا لربهم، فدلت عليها أدعيتهم، فنزّهوا الله أن تشبه صفته صفة المخلوق، وإن تشابهت الصفات في اللفظ، فإن صفات الله تليق بجلاله وعظمته، وصفات المخلوق، تليق بعجزه وفقره، كما أن صفات الله، صفات كمال مطلق، وصفات المخلوق، صفات نقص وضعف وأن أسماءه حُسنى؛ لأنها كلها أسماء مدح وثناء وتمجيد، فهو لا يسمّى ولا يوصف إلا بأحسن الأسماء والصفات، "بل لها الحسن الكامل التام

---

[1] انظر: الآلوسي: **روح المعاني**، 46/9.

[2] انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، 474/2.

المطلق؛ لكونها أحسن الأسماء، وهو المثل الأعلى في قوله سبحانه: [وَلَهُ المَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ] {الرُّوم:27}، أي الكمال الأعظم في ذاته وأسمائه وصفاته"[1].

ففي سورة الأعراف دعا شعيب –عليه السلام–: [رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الفَاتِحِينَ] {الأعراف:89}، والفاتح والفتّاح: القاضي[2]، والمخلوقون يتصفون بهذه الصفة، لكن دون تشبيه لصفة الله، أو تعطيل أو تكييف لها، فهو [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ] {الشُّورى:11}، وهو خير الفاتحين.

ومن الأدعية التي لها دلالة على إثبات صفات الله ما جاء على لسان يعقوب –عليه السلام– [فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ] {يوسف:64}.

إن يعقوب –عليه السلام– على ثقة بحفظ الله استناداً لمعرفته التامة بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، بخلاف ثقته بأبنائه.

ويقول أبو زهرة "أن يعقوب –عليه السلام– أبدى عدم ثقته بحفظهم"[3].

ومن ذلك ما ورد على لسان نوح –عليه السلام–: [وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ المُنْزِلِينَ] {المؤمنون:29}، فالله خير من أنزل عباده المنازل[4].

ومن ذلك قول زكريا –عليه السلام–: [رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الوَارِثِينَ] {الأنبياء:89}، فقد سأل ربه أن يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا، ثم استسلم لله مثبتا أن الله "خير وارث، أي باق"[5].

ومنها قول عيسى –عليه السلام– في سورة المائدة: [وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيرُ الرَّازِقِينَ] {المائدة:114}، فإن لشدة صفاء دين عيسى –عليه السلام– وضوحا يلوح في ثنايا حديثه، ذلك لمّا ذكر الرزق بقوله "ارزقنا" ولم يقف عليه، بل انتقل إلى الرزاق فقال "وأنت خير الرازقين"[6].

---

(1) البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن، **فقه الأسماء الحسنى**، ط(1). الرياض: دار التوحيد للنشر. 1429هـ–2008م، ص:29.

(2) انظر: أبو حيّان: **البحر المحيط**، 346/4.

(3) أبو زهرة: **زهرة التفاسير**، 3839/7.

(4) انظر: الطبري: **جامع البيان**، 18/18.

(5) النسفي: **مدارك التنزيل**، مج2، 88/3.

(6) انظر: الرازي: **مفاتيح الغيب**، 109/12.

ومن الصفات التي أشارت إليها أدعية الأنبياء بالتوحيد والتفرد ما كانت دالة على صفة ذاتية لله وسنذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً: صفة العلم:

إن من شأن الدعاء أن يعتقد الداعي أن مدعوه يعلم بدعائه وأحواله، فقد عَلِمَ أنبياء الله تمام العلم، إحاطة علم الله بأحوالهم، وأنه لا يخفى عليه شيء من أمرهم من أمور الدنيا والآخرة، إذ إن استجابة الله لدعائهم، هي فرع من علم الله بحاجتهم[1].

فالله تعالى يقرر في كتابه أن [وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ] {الأنعام:59}، ومنه أيضا [وَكَفَى بِاللهِ عَلِيمًا] {النساء:70}، ومنه قول شعيب –عليه السلام– لقومه: [إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ] {هود:92}.

ولو لم ترسخ هذه الصفة في ذهن الأنبياء لما دعوا بها، فقد أظهرت تلك الدعوات، اعتقادهم بتفرد الله بالإحاطة بالعلم، فممّا ورد على لسان الأنبياء مثبتا تلك الصفة، دلالة دعاء إبراهيم –عليه السلام– [رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ] {إبراهيم:38}.

يدل دعاء إبراهيم –عليه السلام– على إحاطة علم الله بالظاهر والباطن، والإسرار والإعلان، وبالعالم العلوي والسفلي، فلا يخفى عليه شيء.

وتظهر الصفة ذاتها، على لسان عيسى –عليه السلام– حينما ردّ على رب العزة بقوله: [تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ] {المائدة:116}.

ولما شكا الأنبياء همومهم، وسألوه رفع الضرّ عنهم، ما ذاك إلا لمعرفتهم اليقينية على إحاطة علم الله، وأنه يعلم سرهم ونجواهم، لذا نجد نبي الله زكريا –عليه السلام– [نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا] {مريم:3}؛ ليقينه أنه سيحيط علمه سره ونجواه، ويسمع دعاءه، فخَفْتُ الصوت دلّ على أن الله يعلم السر وما يخفى.

ثانياً: صفة القدرة:

---

[1] انظر: العروسي: **الدعاء**، 1/262–263.

وهي صفة لازمة لذات الله مستلزمة لتحقيق الدعاء فهي صفة "بها الإيجاد والإعدام"[1].

فقد أوجد الله –سبحانه– الموجودات بقدرته، ثم دبّرها وسوّاها وأحكمها، كما أنه –سبحانه– هو من يحيي ويميت ويبعث للجزاء والحساب، ولكمال قدرته، لا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء[2]، قال تعالى: [وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا] {الكهف:45}.

وقد ظهرت دلالة صفة القدرة، في دعاء الأنبياء من عدة جوانب ومنها:

استغاثة الأنبياء واستعانتهم برب العالمين، لإنجائهم من أقوامهم المعاندين، ونصرهم عليهم، وإن الاستعانة بالله وحسن التوكل عليه، وتمام الالتجاء إليه، ما هو إلا للدلالة على اليقين بقدرة الله.

ومن ذلك استغاثة موسى –عليه السلام– بقدرة الله: [رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا] {الأعراف:155}، وذلك لعلم موسى –عليه السلام– أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

واستغاثة النبي –صلى الله عليه وسلم– بربه يوم الفرقان فوصفه قائلا: [إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ] {الأنفال:9}، ومنها آيات استعانة الأنبياء، وتوكلهم على الله وهي كثيرة يصعب ذكرها.

كما تظهر آثار هذه الصفة بصورة جليّة، من خلال طلب زكريا –عليه السلام– من ربه **منحه الذرية**، وحاله وحال زوجته غير مهيأين للإنجاب، فقد بلغهما الكبر، وزوجته عاقر حيث قال: [رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً] {آل عمران:38}، فبالرغم أن الظروف غير مواتية لاحتمال الإنجاب، إلا أن حُسن توكل زكريا –عليه السلام– ويقينه بقدرة الله، ساقه لاستقدار قدرة ربه، متوجها إليه بالدعاء [وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا] {مريم:4}.

ثالثاً: صفة السمع والبصر:

إجابة الدعاء لا بد لها من سميع يسمع الصوت، بصير يبصر حال الداعي، فالسمع والبصر، من مستلزمات الدعاء؛ لأنها من الصفات التي لا تنفك عن ذات الله، فالسميع: "هو الذي يسمع جميع الأصوات على اختلاف اللغات، وتفنن الحاجات، قد استوى في سمعه سرّ

---

[1] عبده، محمد (1323هـ): **رسالة التوحيد**، ط(1385هـ–1966م). دار الكتاب العربي، ص:22.

[2] انظر: البدر، **فقه الأسماء الحسنى**، ص:217.

القول وجهره، [سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ القَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ] {الرعد:10}"[1]، لذا فإن لدعاء الأنبياء دلالات على تفرد الله بالقدرة على سماع دعائهم، سرّه وجهره على حد سواء، فإنا نجد الخليل –عليه السلام– يعيب على قومه أنهم يدعون أصناما لا تسمع [هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ] {الشعراء:72}[2]، كما عاب على أبيه [يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ] {مريم:42}، ليعلن بعدها ثناءه على ربه أنه سميع الدعاء [إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ] {إبراهيم:39}، أي أن الله يسمعه سمعا بحيث يجيب دعاءه[3]، ويقول هو وإسماعيل –عليهما السلام– عند رفعهما قواعد البيت [رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ] {البقرة:127}.

يقول ابن القيم: "يقصد بذلك السمع الخاص وهو سمع الإجابة والقبول"[4].

وأما موسى –عليه السلام– فقد أثبت في إخباره عن ربه، وثنائه عليه أنه يبصر حاله وحال أخيه [إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا] {طه:35}. والبصير هو "المبصر العالم بخفيات الأمور"[5].

لقد كان في دعاء الأنبياء بهذه الصفات، دلالة على تفرّد الله بها، ولقد كان لها أعظم الأثر في دوام خضوعهم لله، وذلّهم له، ودوام مراقبة الله، وإحسانهم في العبادة.

ج– قطع الطمع عن إدراك كيفية هذه الصفات:

من خلال الأساسين السابقين، نلمس دلالة دعاء الأنبياء على تنزيه الله عن مشابهة مخلوقاته، كما أن لها دلالة على إثبات ما أثبت الله لنفسه من الصفات.

وبعد إعادة النظر في دلالات تلك الأدعية، تبيّن أن بعضها دلّ على قطع الطمع في السؤال عن كيفية هذه الصفات، ومعرفة ماهيتها، وأما السبب عن هذا النهي إنما هو لاستحالة تحمل الطاقة البشرية، لمعرفة كيفية الذات، وذات الله لا يُسأل عن كنهها وكيفيتها[6]، لذا فقد كان إثبات صفات الله، من حيث وجودها لا من حيث كيفيتها.

---

[1] البدر: **فقه الأسماء الحسنى**، ص:126.

[2] انظر: العروسي: **الدعاء**، 267/1.

[3] انظر: البدر: **فقه الأسماء الحسنى**، ص:128.

[4] ابن القيم: **بدائع الفوائد**، 515/3.

[5] الشوكاني: **فتح القدير**، 363/3. // العروسي: **الدعاء**، 267/1.

[6] انظر: ياسين: **الإيمان**، ص:17.

ومما ورد من أدعية لرسل الله تدل على هذا الأساس، ما كان من سؤال موسى –عليه السلام– لربه [رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ] {الأعراف:143}.

أراد موسى –عليه السلام– أن يجمع بين فضيلتي الكلام والرؤية، رؤية ذات الله المقدسة، وأن يجعل له القوة على تحمّل رؤية تجلّي الله، والتمكُّن من النظر إليه.

فجاء قول الحق "لن تراني" ليستقر في ذهنه أن ليس لبشر أن يطيق النظر إلى الله في الدنيا[1].

يتبين لنا من كل ما سبق، ما يأتي:

1. أدعية الأنبياء نماذج شاهدة دالة على توحيد الله وتفرده في أسمائه وصفاته.

2. دلت أدعيتهم على فهمهم لمراتب الأسماء والصفات فقد أحصوا عددها، وشاهد ذلك ورود كثير من أسماء الله في دعائهم، كما أنهم فهموا معانيها، ومدلولها، فدعوا الله بمقتضياتها، بنوعي الدعاء، وأثنوا عليه بها[2].

المطلب الثاني: الدلالة على دوام الافتقار إلى الله

وفيه مسألتان:

أولاً: الأصل القرآني للافتقار إلى الله:

قال تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ] {فاطر:15}.

في الآية الكريمة دلالة على دوام الافتقار إلى الله وذلك من وجوه:[3]

1. عُرّف الخبر "الفقراء"؛ وما ذاك إلا للمبالغة في شدة فقرهم، وكثرة احتياجهم لرب العالمين، واستغراقهم الفقر.

---

[1] انظر: الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأُرميّ العلَويّ: **حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، (32مـــج)، إشراف: هاشم محمد علي بن حسين مهدي. ط(1). بيروت: دار طوق النجاة. 1421هـــ–2001م، 121/10.

[2] انظر: ابن القيم: **بدائع الفوائد**، 172/1.

[3] انظر: الرازي: **مفاتيح الغيب**، 12/26–13.

2. الافتقار لا يكون إلا لله وحده، "إلى الله"، وهذا يوجب حصر العبادة إليه، والاتكال عليه، وفي المقابل: غناه عنهم "هو الغني"، وزاد الوصف "الحميد"؛ ليقابل نِعَمِه عليهم، وهذا يوجب الشكر على النعم.

3. الآية، تُعدّ قاعدة كلية عادلة وهي: طلب الله العبادة من خلقه ليس لاحتياجه إليهم؛ إنما لافتقارهم إليه، مع غناه عنهم[1].

ويستدل على هذه الحقيقة عن طريق الفطرة الإنسانية، فالمنهج القرآني احتج على المعاندين للحق بهذه الحقيقة، وهي فطرة احتياجهم إلى الله، حيث تظهر لهم عند الشدائد، قال تعالى: [أَمَّنْ يُجِيبُ المُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ] {النمل:62}، وقوله: [وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي البَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ] {الإسراء:67}[2].

ثانياً: وجه دلالة الدعاء على افتقار الأنبياء:

كل مخلوق فقير بذاته إلى الله ، فقره من لوازم ذاته، يمتنع أن يكون فقيرا إلا إلى خالقه، وليس لأحد غنى بنفسه، إلا الله وحده، وكل ما سواه فقير إليه.

ويكمن فقر المخلوق من جهتين:[3]

أ. من جهة ربوبية الله. ب. من جهة إلهيته.

بمعنى أنه فقير إلى الله من جهة عبادته له، ومن جهة الاستعانة به، والاستسلام إلى الخالق، والانقياد له، لتشمل حياته كلها[4].

والأنبياء كذلك، محتاجون مفتقرون إلى الله دائما بالتوكل عليه، فتراهم متوكلين عليه مستعينين به، يشهد دعاؤهم على افتقارهم، فكانوا بذلك عُبّادا لله، ليس لهم حول ولا قوة إلا به، ولا ملجأ لهم من الله إلا إليه[1].

---

[1] انظر: حوّى، سعيد (ت:1409هـ): **الأساس في التفسير**، (11مج)، ط(5). القاهرة: دار السلام. 1419هـ-1999م، 4585/8-4586.

[2] انظر: العروسي: **الدعاء**، 246/1.

[3] ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، 42/1. // وانظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (ت:751هـ): **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر. ط(2). الدمام: دار ابن القيم. 1414هـ-1994م، 97/1.

[4] انظر: ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، 31/14.

وبما أن هذا الافتقار يظهر من جهة عبادة الإنسان، ومن جهة استعانته، وتوكله على خالقه، فهو في الحقيقة، تضمّن حقيقة إياك نعبد وإياك نستعين[2]. ففي هذين المجالين كانوا يدعون ربهم؛ تحقيقا للهدف الذي من أجله خُلقوا، وهو العبادة، ومعلنين التوكل والاستعانة بالله دائما وفي كل حين.

وعند إنعام النظر في حياة الأنبياء، تراهم قد توجهوا إلى الله بلسان الحال، قبل لسان المقال، في السرّاء والضرّاء، وفي الرخاء والشدة، تراهم دائمي الصلة بالله.

ومن هذه الأدعية التي تعبّر عن دوام الحاجة والفقر إلى الله: ما أمر به رب العزة نبيه قائلا: [فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ] {التوبة:129}.

ومن ذلك ما كان منه –صلى الله عليه وسلم– بطلب العون من الله [قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ المُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ] {الأنبياء:112}، ومنه دعاء خليل الله: [رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ] {الممتحنة:4}، وقول هود –عليه السلام– في توكله: [إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ] {هود:56}، ولسان حال يعقوب –عليه السلام– قائلا: [فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ المُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ] {يوسف:18}.

يتبين لنا مما سبق سرّ لطيف، مداره معنى التوكل على الله وهو: "أن تستنفد الأسباب التي مدتها يد الله إليك"[3]، وصورة توكل الأنبياء توحي أنهم استنفدوا جميع الطرق المؤدية للفرج، ومع ذلك لم ييأسوا، بل عملت جوارحهم، وتوكلت قلوبهم على الله، فلهجوا بإعلان احتياجهم إليه بعد نفاد الأسباب، فكان لدعائهم دلالة ثابتة على فقرهم واحتياجهم.

---

[1] انظر: المرجع السابق، 56/1.

[2] انظر: المرجع السابق، 31/14.

[3] الشعراوي، محمد متولي (ت:1418هـ): **دعاء الأنبياء والصالحين**، جمع وإعداد: سعيد عثمان. ط(1). القاهرة: الدار العالمية للكتب والنشر. 1998م، ص:12.

ويلاحظ أيضا أن توكل الأنبياء جاء محصورا، بقصد التوكل على الله "عليه توكلت" ولم يقولوا "توكلت عليه"؛ لأنه بالصيغة التي جاء بها الأنبياء، لا يمكن أن يُعطف بعدها، أي: فيها تنزيه لله، ولا أحد غيره يُتوكل عليه[1].

[1] انظر: المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها.

المبحث الثالث

إجابة الدعاء وأنواعها ومراتبها

لمّا كان ذاك الشأن العظيم، والاهتمام الكبير لأمر الدعاء في القرآن الكريم، كان الوعد الحق، من رب العالمين، بالإجابة والوفاء لمن أطاع، واتبع ما أمر به، وخير من استجاب للنداء الرباني أنبياء الله، فقد سألوه بربوبيته وتصرفه في ملكه، كما دعوه بألوهيته، متوسلين بأسمائه الحسنى، وأنه من البديهة أن تَرِدَ الإجابة، بما يتناسب مع السؤال، فما كان من الأدعية موجَّها للألوهية، جاءت الإجابة بما يتناسب مع مقتضيات الألوهية ومستلزماتها وكذلك الأمر بشأن الربوبية.

وسيتم في هذا المبحث تناول أنواع الإجابة ومراتبها على النحو الآتي:

المطلب الأول: أنواع الإجابة

ذكرنا فيما سبق أن الدعاء ينقسم إلى قسمين رئيسين هما: دعاء العبادة والثناء، ودعاء المسألة والطلب، هذا ما استنبطه العلماء من آية الدعاء: [وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ] {غافر:60}، وغيرها، وبتدقيق النظر فيما قالوا، نجد أنّ كل نوع من أنواع الدعاء له استجابة تناسبه، وزيادة في البيان، فقد قيل إن معنى "ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ" أي: اعبدوني أثبكم من عبادتكم، واستدلوا لهذا بقول الله تعالى فيما بعد: [إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ] {غافر:60}.

ومن جهة أخرى، قيل في معنى "ادعوني..." أي اسألوني أعطكم[1].

ووجه الدلالة في هذا القول أن استجابة دعاء العبادة تتمثل في الثواب عليها، وأن استجابة دعاء المسألة، تتمثل بقضاء الحوائج –والله تعالى أعلم–.

---

[1] انظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني (ت:1393هـ): **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (9مج). تحقيق: مكتبة البحوث والدراسات ط(1415هـ–1995م). بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر. 393/6.

ويؤكد هذا الاستدلال، ما أورده ابن القيم من أنّ "الاستجابة نوعان: استجابة دعاء الطالب بإعطائه سؤاله، واستجابة دعاء المُثني بالثواب، وبكل واحد من النوعين فسر قوله تعالى [أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ] {البقرة:186}، والصحيح أنه يعمُّ النوعين"[1].

"وإجابة دعوة الداعين تتضمن صفة السمع وغيرها من الصفات"[2]، وقد يأتي السماع بمعنى القبول والإجابة، ونحو ذلك قول رسول الله –صلى الله عليه وسلم– حين دعا "اللهم اني أَعُوذُ بِكَ من قَوْلٍ لاَ يُسْمَعُ "[3]، "أي من دعاء لا يستجاب"[4].

ومن خلال الفهم لاسم الله السميع، يُستوحى كيفية سماع الله الدعاء، فالسميع هو الذي وسع سمعه كل شيء. "يسمع السرّ والنجوى سواء عنده الجهر، والخفوت، والنطق والسكوت"[5].

ومن هنا يفهم أنّ الله سميع بصير، سمعه سَمْعُ إحاطة بكل شيء، وعلمه علم بما تخفي الصدور.

يقول ابن تيمية: إن الله يسمع دعاء الداعين سمع إجابة، ويسمع كل ما يقولونه سمع علم وإحاطة، لا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه المسائل، ولا يتبرّم بإلحاح المُلّحين، فإنه –سبحانه– هو الذي خلقهم كلهم ويرزقهم كلهم[6].

فإذا كان الأمر كذلك مع عباده –سبحانه– فكيف تكون إجابته لأنبيائه الذين ألقى على عاتقهم تبليغ دعوته، وإرساء دينه في الأرض، وإن خير جواب لذلك هو ما صحّ عن رسول الله

---

[1] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (ت:751هـ): **زاد المعاد في هدي خير العباد**، (5مج). تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط. ط(14). بيروت، الكويت: مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية. 1407هـ–1986م، 215/1–228.

[2] القرطبي، محمد بن أحمد أبو بكر بن فرج الأنصاري، (ت:671هـ): **الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى**، (2مج). ضبط النص: محمد حسن جبل، فسر أحاديثه: طارق أحمد محمد، أشرف عليه: محمد فتحي السيد. ط(1). دار الصحابة للتراث بطنطا. 1416هـ–1995م، 291/1.

[3] ابن حنبل: **المسند، الموسوعة الحديثية**، الحديث:13003، 308/20، حقق هذا الجزء وخرّج أحاديثه: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، ورجاله ثقات رجال الشيخين.

[4] الخطّابي: **شأن الدعاء**، ص:59. // وانظر: السعدي، أبو القاسم علي بن جعفر (ت:515هـ): **الأفعال**، (3مج)، ط(1). بيروت: عالم الكتب. 1403هـ–1983م 133/2.

[5] الخطّابي: **شأن الدعاء**، ص:59.

[6] انظر: ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، 480/5.

-صلى الله عليه وسلم- حيث قال: "لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا وَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي فِي الْآخِرَةِ "[1].

ولمّا كان الدعاء على نوعين، فلا بُد من أن تكون الإجابة لكلا النوعين، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: إجابة دعاء العبادة والثناء:

وَعْدُ الله وإجابة دعاء عباده، حق لا ريب فيه، وحينما لبّى الأنبياء تكليف خالقهم، ما كان الله ليخلف وعده، وإن لم تتوافق الإجابة مع الدعاء -بأن تكون الإجابة مخالفة للمطلوب- فإن الله هو المتفرّد وحده بقبول الدعوات والعبادات، وهو الإله الذي يستحق وحده التوجه إليه بكل صور العبادة والمحبة والتوكل والرجاء والخوف والرغبة والرهبة، والله وحده قابل توبتهم، وغافر ذنبهم، ومجيب دعواتهم، وهو حسبهم وكافيهم، فإن جميع أفعال العباد هو يتقبلها ويُحْكِم أمرها باسم الألوهية، ومن هنا يمكن لنا أن نستنبط مفهوم وكُنه هذا النوع من الإجابة، وذلك انطلاقا من فهمنا لمقتضيات الألوهية، فهي عبارة عن قبول تعبد الأنبياء، وابتهالاتهم، وثنائهم على الله، وقبول توباتهم، وإثابتهم على الطاعات، وبعبارة أخرى هي الوفاء بحق الألوهية، فإن هذه الاستجابة، جاءت نتيجة للإخلاص في العبادة، والتوجه والقصد والإرادة، وأنّ المراد هو الله وحده، فهي تعبّر عن تفرّد الله في قبول أفعال العباد جميعا.

أما مجالات إجابة دعاء العبادة والثناء، فإن مجال هذا النوع من الإجابة، هو أعمال الأنبياء من عبادات وذكر وتسبيح وطلب المغفرة من الذنوب، وأعمالهم التي دعوا الله أن يتقبلها، والتي وجدوا صداها بالقبول. وبناء على ذلك فإن قبول الأعمال وقبول التوبات، ومغفرة الذنوب، ورفع الدرجات، تمثّل إجابتهم وإثابتهم على هذا النوع من الدعاء، وإن هذه الإجابة، تُثبت أسماء الله الحسنى بصورة أظهر، فالله تعالى -وحده- من يغفر الذنوب، فهو [غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقَابِ] {غافر:3}، لذا لمّا دعا موسى -عليه السلام- [فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ] {القصص:16}.

---

[1] رواه البخاري: **الجامع الصحيح**، كتاب الدعوات، باب: لكل نبي دعوة مستجابة، الحديث:5945، 2323/5.

ومعنى الغفور والغفار: "الساتر لذنوب عباده، المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم"[1]، ومعنى مغفرة الله للعباد ذنوبهم، هو "ستره عليهم بفضله وبرحمته، لا باستحقاقهم ذلك منه"[2].

كما أن الغفار، من صفات فعل الله، بكل وجه استحقاق، ولا يغفر ذنوب عباده غيره، ومغفرته لمن تاب منصوص عليها في الكتاب على وجه العموم: قال تعالى: [وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ] {طه:82}[3].

وعلى وجه الخصوص، ما وقع من توبات للأنبياء، ثابتة في الكتاب، بل يعفو الله عن زلاتهم ويتجاوز عنها، فالعفو والمغفرة من لوازم ذات الله قال تعالى: [إِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا] {النساء:43}، والمتتبع لاستجابة دعاء العبادة والثناء، يجد أنها غالبا ما تأتي بلفظ "**فغفرنا له**"، فقد كانت الاستجابة لدعاء موسى –عليه السلام– [فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ] {القصص:16}، وقبل الله توبة داود –عليه السلام– حين بادر بالتوبة [فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ] {ص:25}، ومنها ما كان **بلفظ التوبة**، حين تلقى آدم –عليه السلام– من ربه كلمات، غسلت ذنوبه، فكانت منهجا له ولأبنائه من بعده، وكانت الاستجابة [فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ] {البقرة:37}، وكانت كذلك أن [اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى] {طه:122}، ومنها استجابة الله لدعاء يوسف –عليه السلام– بصرْف كيد النساء عنه [فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ] {يوسف:34}.

إن إجابة دعاء العبادة والثناء، كانت تجسيدا وإثباتا للألوهية، والتي جاء بها جميع رسل الله؛ لترسيخ مبدأ تفرد الله بالعبادة، وتمكين دين الله في الأرض، وإسلام الدين كله لله، وبيان معالم شريعة هذا الدين، ومن ثم نشر الأمن؛ ليتسنى للموحدين حُسن التعبد لله، لذا جاءت استجابة الله لخليله حين دعا عند رفع القواعد من البيت [وَإِذْ جَعَلْنَا البَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا] {البقرة:125}، كما كانت الإجابة، منّةً وفضلا على المؤمنين، بأن بعث فيهم رسولا؛ لتزكية نفوسهم، وتعليمهم ما لم يعلموه، فكانت الاستجابة لخليله [كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ] {البقرة:151}، فهو –صلى

---

[1] ابن منظور: **لسان العرب**، 25/5.

[2] انظر: القرطبي: **الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى**، 152/1.

[3] انظر: المرجع السابق نفسه، ص:157–158.

الله عليه وسلم- منّةً مَنَّ الله بها علينا [لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ] {آل عمران:164}، كما أن إجابة دعاء العبادة والثناء، تمثلت بقبول التوبات ومغفرة الذنوب ورفع الدرجات، كذلك فقد كانت بعدم قبول بعض سؤل الأنبياء، ومنها لمّا سأل إبراهيم -عليه السلام- الإمامة لذريته ووراثة المنهج، لإقامة دين الله، فقال مجيبا إبراهيم -عليه السلام-: [لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ] {البقرة:124}، حيث إن إبراهيم -عليه السلام- وصل إلى الإمامة بأعماله، ولكن هذا لا ينتقل إلا للصالحين[1].

وحينما سأل نوح -عليه السلام- بشأن ولده، ذاكرا أن وعد الله لا يتطرق إليه الخلف، ردّ الحق عليه؛ ليقرر وجوب قطع الولاية بين المؤمن والكافر فقال له: [وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ] {هود:37}، وقال معللا لنفي كونه من أهله: [إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ] {هود:46}[2]. وكذلك القول بشأن استغفار إبراهيم -عليه السلام- لأبيه [وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ] {التوبة:114}.

ثانياً: إجابة دعاء المسألة والطلب:

ما كان الله ليخلق الخلق دون تدبير لشؤون حياتهم، وأمور معيشتهم، فهناك مقوّمات حياة، يستوي بتملّكها وعطائها المؤمن والكافر على حد سواء، حيث تأبى قيوميته -تعالى- على الكون، أن تتركهم بعد أن خلقهم، فقد أعطانا الله الهداية استنادا لمستلزمات الربوبية والوفاء بحقها، فقد حكى القرآن على لسان موسى -عليه السلام- معترفا بربوبية الله تعالى: [قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى] {طه:50}، فبعد أن خلقنا الله وأبدع خلقنا، هدانا لما فيه خير لنا، واعتنت بنا العناية الربانية بما يستلزم بقاءنا، وبالتالي فإن مفهوم إجابة دعاء المسألة والطلب هي "إجابة الأنبياء كلَّ ما سألوا به ربوبيته -سبحانه- وقيوميته على الكون، بكمال قدرته، وتدبير شؤون مخلوقاته، فهو المتصرف المدبر للكائنات".

---

[1] انظر: الشعراوي: **تفسير الشعراوي**، 573/1.

[2] انظر: البيضاوي: **أنوار التنزيل**، 585/1.

أما مجالات إجابة دعاء المسألة والطلب: انطلاقا من تلك المقتضيات فإن مجال هذه الاستجابة هو، كل ما يتعلق بأفعال الله –تعالى– كالخلق والإحياء والإماتة والرزق والمُلك والتصرف والتصيير، وكشف الضرّ، وجلب الخير والنفع، إلى غير ذلك من الأفعال، وهو –سبحانه– وحده من يتفرد بها، وقد أقرّت الخلائق جميعا بهذا التفرد، مؤمنهم وكافرهم، دلّهم عليها فطرة الله التي فطر النّاس عليها، دون حجّة، قال تعالى: [اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ] {الرُّوم:40}.

ويلاحظ في هذه الاستجابة –التي يستوي فيها المؤمن والكافر– أنها تضفي بصيغها ظلال الربوبية، وهو العطاء دون مقابل.

فحين استجاب الله نداء الأنبياء جاء بعضها بلفظ "بشرناه" و"وهبنا" و"نمنّ" و"استجبنا" و"نجيناه" و"أنجينا"... فإن لفظ "وهبنا" "في حق الله تعالى يدل على البذل الشامل والعطاء الدائم بغير تكلف ولا عوض، وكل من يعطي سواه، فإنما يعطي بعوض، فالهبات تُدرّ منه –سبحانه– على عباده في دنياهم وأخراهم دون انقطاع[1] فهو –سبحانه– يهب الذرية الصالحة ويهب الأموال والأرزاق... لذا استجاب الله لدعاء إبراهيم –عليه السلام– حين دعا [رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ] {الصَّافات:100}.

فبشره الله بولده إسماعيل –عليه السلام– [فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ] {الصَّافات:101}، ومن بعده بإسحاق –عليه السلام– [إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ] {الحجر:53}، ثم رزقه بيعقوب بعد إسحاق –عليهما السلام– [فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ] {هود:71}.

ولقد استجاب لأيوب –عليه السلام– حين سأله فأجابه [وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الأَلْبَابِ] {ص:43}، ولزكريا –عليه السلام– حين أجابه [يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا] {مريم:7}.

---

[1] القرطبي: **الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى**، 1/397-398.

ويستجيب الله لعباده، بالمَنّ عليهم والتفضل باسمه المَنّان، فهو من أسماء الله تعالى [لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ] {آل عمران:164}، والمنّ هو العطاء دون طلب عِوَضْ، والله وحده من يعطي دون عوض[1].

أما المجيب والمستجيب، فهو من مستلزمات الربوبية كذلك، فإنه –سبحانه– لمّا استجاب لأنبيائه وصف نفسه [فَلَنِعْمَ المُجِيبُونَ] {الصَّافات:75}، وقال: [ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ] {غافر:60}.

ولقد استجاب لنداءات أنبيائه ومسألتهم، استجابة منطلقة من مستلزمات الربوبية، فهذا نوح –عليه السلام– استجاب الله لندائه [وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ] {الأنبياء:76}، واستجابته كذلك [وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ المُجِيبُونَ(75) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ(76)] {الصَّافات}، واستجاب الله لنبيه لوط –عليه السلام– استجابة ربوبية حين سأله النجاة وأهله، فقال: [رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ(169) فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ(170) إِلَّا عَجُوزًا فِي الغَابِرِينَ(171)] {الشعراء}. واستجاب لشعيب –عليه السلام– فقال: [نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا] {هود:94}. فالله تعالى هو القادر على رفع الضرّ عن عباده، وكشف الغمّ، ونصر من استغاثه، فهو المتصرف بشؤون العباد.

ومن ذلك استجابة الله –تعالى– دعاء نبيه أيوب –عليه السلام– بكشف الضرّ عنه فقال: [فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ] {الأنبياء:84}، ونجّا يونس –عليه السلام– من كربه العظيم فاستجاب دعاءه: [فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي المُؤْمِنِينَ] {الأنبياء:88}، ولقد نجّا موسى وأخاه –عليهما السلام– فقال: [وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ] {الصَّافات:115}. فالله تعالى هو "النافع والضارّ"، الذي يجلب الخير، ويكشف الضرّ، وهو المتصرف بالكون، وهذان الاسمان "دالان على انفراد الخالق سبحانه بالأفعال وتنفيذ مراداته في خلقه فلا ضرر ولا نفع إلا من عنده"[2]، وهذا بيِّن في قوله تعالى: [قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ] {الأعراف:188}.

---

[1] انظر: المرجع السابق نفسه، ص:259.

[2] المرجع السابق نفسه، ص:352.

ومن هذا الباب، تأتي الإجابة بالتصرف المطلق في هذا الكون، فهو مالك له، يتصرف فيه ويدبر أمره [فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] {يس:83}.

فمن أوجه التصرف بالكون: التصرف بأمور الرزق التي طلبها إبراهيم –عليه السلام– فأجاب الله طلبه؛ لأنه بعطاءات الربوبية تقررت قواعد الرزق للعباد، قال تعالى: [إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ] {الذاريات:58}، وأما طلب موسى –عليه السلام– بشرح صدره وتيسير أموره... فأجابه الله على كل ما طلب قائلا له: [قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى] {طه:36}، وقال في موضع آخر: [قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الغَالِبُونَ] {القصص:35}.

بعد بيان هذا النوع من الإجابة، فإننا نلاحظ أنها تقرر بعض القواعد الثابتة وهي:

1. هذه الاستجابة تتعلق بأفعال الله –تعالى– في الأمور الكونية فهي من مقتضيات الربوبية.

2. كما تظهر هذه الاستجابة، أسماء الله الذاتية، التي لا تنفك عنه –سبحانه– وأفعاله التي تتعلق بالمشيئة، إن شاء فعلها وإن لم يشأ لم يفعلْها كالخلق ووهب الذرية وصرف الضرّ...

3. تقرر هذه الإجابة أن الله وحده بيده الخلق والإحياء، وبيده التصرف الكامل في الكون، وفق إرادته وقيوميته.

4. يستوي المؤمن والكافر بهذه الاستجابة [يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ] {الرَّحمن:29}.

5. الله وحده قادر على كشف الضرّ وجلب النفع.

6. الله هو وحده الرزاق.

المطلب الثاني: مراتب الإجابة

الناس جميعا يتوجهون إلى الله بالدعاء، إمّا لجلب نفع أو لدفع ضرّ، ومنهم من لا يستجاب له، فينشأ تساؤل: لم ندعوا الله ولا يستجاب لنا؟!

إن الأمر يكمن فيمن يستبطئ الإجابة، ويسيء الظنّ بالله، وللإجابة على هذا الاستشكال نبيّن الحقائق الآتية:

أولاً: إن الله –تعالى– وعد فقال: [ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ] {غافر:60}، فهذا وعد إلهي في الحقيقة والنتيجة، ولن يُخلف الله وعده، [إِنَّ اللهَ لَا يُخْلِفُ المِيعَادَ] {آل عمران:9}.

ثانياً: وعدُ الله بالإجابة في أكثر من آية، يستوجب منا أن نستيقنها، قال تعالى: [أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ] {البقرة:186}.

نستدل من الآيات أن "كل داع يستجاب له لكن تتنوع الإجابة، فتارة تقع بعين ما دعا به، وتارة بعوضه، وقد ورد من حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْعُو بِدُعَاءٍ إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ مَا سَأَلَ أَوْ كَفَّ عَنْهُ مِنْ السُّوءِ مِثْلَهُ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ"[1].

وفي حديث أبي سعيد رفعه "ما من مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَة ليس فيها إثم وَلاَ قَطِيعَةُ رَحِم إلا أَعْطَاهُ الله بها إِحْدَى ثَلاَث إما أَنْ تُعجّل له دَعْوَتُهُ وإما أن يَدَّخِرها له في الآخرة وإمّا أن يُصْرَفَ عَنْه مِن الْسُّوْء مِثْلَهَا"[2].

إذا لا نعدم الفائدة من الدعاء، فهي على إحدى تلك الاحتمالات، ويؤوّل الخطّابي الإجابة، بأنها حسب مشيئة الله، فيقول: إن الإجابة "مُضْمر فيها المشيئة، كقوله تعالى: [بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ] {الأنعام:41}... وإنما يستجاب من الدعاء ما وافق القضاء... وقد قيل: معنى الاستجابة أن الداعي يعوّض من دعائه عِوَضا ما، وذلك إذا وافق القضاء فإن لم يساعده القضاء، يُعطى سكينة في نفسه، وانشراحا في صدره... وعلى كل حال لا يعدم فائدة دعائه، وهو نوع من الاستجابة"[3].

---

[1] الترمذي: **سنن الترمذي**، كتاب الدعوات، 9–باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، الحديث:3381، 462/5، وقال الألباني: حديث حسن.// انظر: الألباني: **صحيح سنن الترمذي**، كتاب الدعوات، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، 388/3.

[2] ابن حنبل: **المسند، الموسوعة الحديثية**، الحديث: 11133، 213/17–214، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده جيد. // الحاكم: **المستدرك**، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، الحديث:1816، 670/1، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد إلا أن الشيخين لم يخرّجاه.

[3] الخطّابي: **شأن الدعاء**، ص:12–13.

وينبغي للإنسان أن يقبل عدم إجابة دعائه بالخير، كما يحب ألا يستجاب دعاؤه بالشر خاصة على من يُحبّ، وبخصوص هذا المقام، يقول الزجّاج: "أنهم لو أجيبوا في الدعاء على أنفسهم وأهليهم، كقول الرجل لابنه وحميمه: أماتك الله... فلو عجّل الله ذلك كما يعجّل لهم الخير، لأهلكهم به"[1].

وفي هذا يقول الله –تبارك وتعالى–: [وَلَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ] {المؤمنون:71}، وقوله كذلك: [وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ] {يونس:11}.

فهذه الآية في سورة يونس تتناول قضية مهمّة، هي ما يتوجب على الإنسان من تقبّل عدم إجابة دعائه بالخير، أو تأجيله، كتقبل عدم إجابة دعائه في الشر على نفسه، قال الشعراوي موضحا السبب: "لأن الخير فيما تطلبون غير الخير فيما يعلم الله، فهو العليم الخبير... وكما تحترم عدم إجابته لك في الشر على نفسك... فاحترم عدم إجابته لك فيما تظنّه خيرا لك"[2].

ومن هنا ينبغي أن يُعلم أمر قد يخفى على من يستبطئ الإجابة، ألا وهو أن "إجابة الله لسائليه ليست لكرامة السائل عليه، بل يسأله عبده الحاجة فيقضيها له، وفيها هلاكه وشقوته، ويكون قضاؤها له من هوانه عليه... ويكون منعه منها لكرامته عليه ومحبته له، فيمنعه حماية وصيانة وحفظا له"[3].

وكأن هذه الحماية والصيانة، هي بمثابة الرقابة على الدعاء، فالحق –سبحانه وتعالى– يقول: [وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ] {البقرة:216}.

يتبين مما سبق أن تأخير الإجابة فيها حكمة إلهية، والمتدبر في آيات كتاب الله يجد أن هناك دعوات دعا بها الأنبياء ولم تُستجب، ودعوا ببعضها فأجّلت إلى حين، وبعضها أجيب على الفور، وما ذاك إلا لحكمة إلهية أرادها الله، المتصرف في هذا الكون، اللطيف بعباده.

ومن خلال الحديث السابق نستنتج أن للإجابة في دعاء الأنبياء مرتبتين:

---

[1] الزجّاج: **معاني القرآن**، 8/3.

[2] الشعراوي: **تفسير الشعراوي**، 5769/9.

[3] ابن القيم: **مدارج السالكين**، 79/1.

الأولى: تحقيق الإجابة إما على الفور أو على التراخي.

الثانية: عدم تحقيق الإجابة لحكمة إلهية.

المرتبة الأولى: تحقيق إجابة دعاء الأنبياء:

وفيها مسألتان:

أ- سرعة تحقيق إجابة الدعاء:

يقول الله –عز وجل-: [وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ] {البقرة:186}، هذه الآية تلقي بظلالها على النفس، فنستشعر معاني قرب الله منّا، وهناك الكثير من المعاني الجميلة التي نتفيّؤُ ظلال كلام الله –تعالى- الذي يحيطنا شعورا بالرحمة والعناية والحفظ فكلما قرأنا "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي" استشعرنا بأننا لله عُبّاد، متفيئون رحمته، بل إنها تغمرنا!

هذه الآية تشرح الصدر بوعد الله بسرعة تحقيق الإجابة للعبد، إذا أقام شروط الدعاء في نفسه، ووافق دعاؤه الحكمة الربانية، فإن "الفاء" في قوله تعالى "فإني" كأنما قربت المسافة بين الدعاء والإجابة[1].

فذاب الزمن بينهما، كأنما هي حلقة تواصل.

هذا شأن العباد مع خالقهم، فكيف إذا كان الداعي نبيا مرسلا –كرمه الله بتبليغ دينه- فكيف تكون الإجابة؟!

لقد حقق الله تعالى دعوات طيبات لأنبيائه، استجيبت حين طُلبت، فمن تلك الاستجابات التي كانت على وجه السرعة لدعاء العبادة والثناء، وقبول توبات الأنبياء التي تتعلق بما وقع منهم من هفوات وزلات، اعتبرت بحقهم معصية، وما ذاك إلا لعظم مكانتهم، وهذه الاستجابات تتركز على غفران الذنوب[2].

وهذا من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين.

---

[1] انظر: أبو عودة، عودة: **شواهد في الإعجاز القرآني دراسة لغوية ودلالية**، ط(1). عمان: دار عمـــار. 1419هـــ-1998م، ص:194.

[2] انظر: القرضاوي، يوسف: **التوبة إلى الله**، ط(2). القاهرة: مكتبة وهبة. 1421هـ-2000م، ص:28.

ومنها ما حكاها القرآن عن توبة أبينا **آدم –عليه السلام–** وسرعة استجابة الله له، قال تعالى: [فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ] {البقرة:37}، وقوله تعالى: [وَعَصَى آَدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى(121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى(122)] {طه}.

ومن هذه الاستجابات، ما أنعم الله به على يوسف الصدِّيق **من مُلك النفس أمام الإغراءات** حين تعرض للفتنة، وصَرْف كيد النساء عنه، فقال: [فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ] {يوسف:34}، وصرْفُ الكيد كان بالحال، بعد أن استعان بالله، وقد ذكر ابن منظور أن الصرف هو "رد الشيء عن وجهه"[1]، فلا بد أن يكون الصرف سريعا.

والقرآن الكريم يذكر لنا في مواطن عديدة، استجابات سريعة لموسى –عليه السلام– منها استجابة توبته حين قتل القبطي: [قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ] {القصص:16}، لقد أحسّ موسى –عليه السلام– بأن الله قد غفر له، بدلالة العهد الذي أبرمه مع ربه إذ قال تعالى: [قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ] {القصص:17}، يقول القاضي ابن عطية: "لم يزل –عليه السلام– يعتمد ذلك على نفسه مع علمه بأنه قد غفر... ثم قال –عليه السلام– لربه معاهدا "رب" بنعمتك علي وبسبب إحسانك وغفرانك فأنا ملتزم ألا أكون معينا للمجرمين"[2].

ومنها ما وقع منه بعد الرسالة، حينما طلب رؤية الله، وإفاقته من الصعقة تائبا، وهنا أجابه الله بِعَدّ وجوه نِعَمه عليه، وهذه تسلية من الله لموسى فقال له: [يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آَتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ] {الأعراف:144}[3].

ومن هذا الجانب كذلك، سرعة استجابة الله لدعاء ذي النون، فبعد أن نادى في الظلمات جاءت البشرى بالاستجابة بعد إعلانه التوحيد والتنزيه، خاتما دعاءه بإعلان التوبة واعترافه بظلمه، فجاءته البشرى بالاستجابة [فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي المُؤْمِنِينَ] {الأنبياء:88}.

---

[1] ابن منظور: **لسان العرب**، 189/9.

[2] ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (ت:546هـ): **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، (5مج). تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط(1). بيروت: دار الكتب العلمية. 1413هـ–1993م، 281/4.

[3] انظر: أبو حيّان: **البحر المحيط**، 385/4.

ومنها ما حُكي عن مغفرة الله لنبيه سليمان –عليه السلام– [قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ] {ص:35}، فجاءت الإجابة سريعة [فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ] {ص:36}.

وكذلك إجابة نبي الله داود [وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ(24) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ(25)] {ص}.

نختم هذه الاستجابات، باستجابة الله لحبيبه محمد –صلى الله عليه وسلم– بشأن تحويل القبلة، فقد نزلت الإجابة، لما يعتمل في صدر النبي –صلى الله عليه وسلم– من ترداد النظر في السماء، ينتظر نزول جبريل بشأن تحويلها، فقد استجاب الله لحال نبيه الكريم قائلا له [فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً] {البقرة:144}، وهي ليست كأي قبلة، فقد وصفها الله أنها محببة لقلب النبي –صلى الله عليه وسلم– يتشوق إليها، فوصفها بـــ "ترضاها"، ثم أمره أن يولّي وجهه شطرها؛ تأكيدا على الاستجابة [فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ] {البقرة:144}.

استدلالا مما تضفيه اللفظة القرآنية "فلنولينك"، فإننا نستوحي السرعة في الإجابة، حيث إن "الفاء" للتعقيب لتأكيد الوعد بالإجابة[1] وقيل أنها "لسببية ما قبلها لما بعدها، وهي في الحقيقة داخلة على قَسم محذوف تدل عليه "اللام"، وجاء هذا الوعد على إضمار القسم؛ مبالغة في وقوعه، لأنه يؤكد مضمون الجملة المقسم عليها، وجاء قبل الأمر؛ لفرحٍ أنْفَس بالإجابة، ثم بإنجاز الوعد، فيتوالى السرور مرتين"[2].

وأما نون التوكيد فإنها لتحقيق مضمون الكلمة، سواء أكان منها الإخبار عن المستقبل، من استقبال القبلة، أو الأمر في الحال[3].

كما نستدل على وجه دلالة السرعة، تكرار توكيد الأمر بتولية الوجه، لتحقيق السرعة في تحويل القبلة بقوله "فول وجهك شطر...".

كذلك فإن الزيادة في مبنى كلمة "فَلَنُوَلِّيَنَّكَ" من توكيد وغيره، يفيد الزيادة في المعنى، وهو الإسراع في تولية النبي –صلى الله عليه وسلم– وجهه شطر المسجد الحرام.

---

[1] انظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، 27/2.

[2] الآلوسي: **روح المعاني**، 8/2.

[3] انظر: نصر: **إتحاف الإلف**، ص:189.

ومهما يكن من أمر، فإن "هذا الوعد اشتمل على أداتي تأكيد وأداة تعقيب وذلك غاية في اللطف والإحسان"[1].

أما ما يتعلق بآيات توبات الأنبياء السابقة، فإننا نستوحي دلالة وجه سرعة الاستجابة، من خلال ما يأتي:

أ- **التعقيب بالفاء** التي تعبّر عن المجيء مباشرة[2] -كما أسلفنا- نحو "فتاب عليه"، "فغفر له"، "فاستجبنا له"، "فسخرنا له الريح"...

فإن حرف الفاء يضفي على السياق حركة وسرعة، وهي تفيد التعقيب والسرعة دون مهلة[3].

ب- الألف والسين والتاء التي توحي بالاستجابة[4] نحو "فاستجبنا".

أمّا ما كان من استجابات سريعة "**لدعاء المسألة**" للأنبياء والطلب، فإن ذلك يظهر بصورة جلية، حين طلبوا ما يخصّ شؤون حياتهم، وقد كانوا بأمسّ الحاجة لتلك الإجابات، نظرا لمهماتهم الصعبة التي ألقيت على عاتقهم، فقد استجابت العناية الإلهية لكثير من تلك الأدعية، تحقيقا لسؤلهم التي تركزت بصورة أظهر في **النصر على الأعداء وكشف الضرّ**، كما كانت بإعطاء بعض **مقومات الحياة** البسيطة التي تعين على تبليغ الدعوة من أمن واستقرار وذرية صالحة، ومؤازرة الله لهم في تبليغ الدعوة، وغير ذلك، فمن تلك الاستجابات:

ما كانت تلبية لنداء نبي الله أيوب -عليه السلام- النبي الصابر، الذي ابتلي فصبر، فلما توجه بالدعاء استجيب له بالحال [فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ] {الأنبياء:84}.

---

[1] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، 27/2.

[2] انظر: الزهراني، ناصر بن مسفر: **الله أهل الثناء والمجد**، ط(4). الرياض: العبيكان. 1427هـ-2006م، ص:242.

[3] انظر: عبد الحميد، مصطفى شعبان: **المناسبة في القرآن دراسة لغوية أسلوبية للعلاقة بين اللفظ والسياق اللغوي**، ط(1). بلا بلد نشر. 1428هـ-2007م، ص:335.

[4] المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

ومما يستدل به على سرعة الاستجابة لأيوب –عليه السلام– ما ورد في سورة "ص"، حيث تحقق دعاؤه قبل أن يقوم من مكانه، فأمره الله أن يقوم من مقامه وأن يركض الأرض برجله، فأنبع الله تعالى عينا فقال: [ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ] {ص:42}[1].

كما أن إنكار زوجته له حين رجعت إلى المكان يدل على أن الوقت بين الدعاء والاستجابة يسير.

كما يعرض لنا القرآن الكريم استجابات طيبة، غمرت نفس نبي الله موسى –عليه السلام– صاحب المحن في مراحل حياته كلها، حيث وصفه الله تعالى: [وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا] {طه:40}، وإزاء هذه الفتن التي ألمّت به، فقد تكفلت به العناية الربانية، بالحفظ والرعاية، فحين وصل مَدينَ وسقى للبنتين، تولّى إلى الظلّ، وكان جائعا –على الأظهر– فما أن دعا ربه [إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ] {القصص:24}، حتى جاءت الاستجابة فور الدعاء، وفي طرفة عين ولمح بصر [فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا] {القصص:25}[2].

إن وجه الدلالة في سرعة الاستجابة: حرف الفاء الذي يفيد التعقيب، كما أنه من خلال سرد القصة، يُلحظ اختصار في الأحداث، مما يوحي بسرعة استجابة الدعاء.

وتتوالى الابتلاءات لموسى –عليه السلام– ويكلّفه الله تعالى بالرسالة، فيستعين بالله ويطلب الوسائل المعينة على أداء الرسالة، فيجيبه الله تعالى: [قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى] {طه:36}، وإن حرف "قد" يفيد التحقيق، وقد أوضح القرآن أن الله استجاب لموسى –عليه السلام– كل ما طلب منّة وفضلا من الله عليه [وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ] {الصَّافات:114}، ولعلم الله احتياجه إليها، من شرح صدر، وتيسير أمر، وطلاقة لسان، وأخٍ مُوُاتٍ على السرّاء والضرّاء[3].

---

[1] انظر: حوّى: **الأساس في التفسير**، 8/4781–4782.

[2] الزهراني: **الله أهل الثناء**، ص:130.

[3] انظر: حوّى: **الأساس في التفسير**، 7/3357–3358.

وقد فصّل القرآن الكريم هذه الاستجابة في سورة القصص [قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ] {القصص:35}، وقوله كذلك: [وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا] {الفرقان:35}.

لكن موسى وهارون –عليهما السلام– لمّا خافا من لقاء فرعون، لِمَا عرفا عنه من شدة بطش، فدَعَوَا الله، فاستجاب لهما [قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى] {طه:46}، فهُم في حفظ الله ورعايته.

كما أجاب دعاءه عند امتناع قوم فرعون من الإيمان: [فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ] {الدُخان:22}، فجاءت الاستجابة عقب الدعاء [فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ] {الدُخان:23}[1].

وأما استجابة الله لزكريا –عليه السلام– فقد كانت استجابة خاصة كما كانت سريعة، فالمتتبع لكلام الله يجد ذلك جليا، يقول سيد قطب: "وكانت الإجابة سريعة ومباشرة [فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ]، وكانت عقيما لا تصلح للنسل، ويختصر السياق تفصيلات هذا كله؛ ليصل مباشرة إلى استجابة الله للدعاء"[2].

أما في آل عمران فإنه يتبين من خلال الآيات أن الاستجابة حصلت وهو قائم يصلي في محراب عبادته، ومحل خلوته، ومجلس مناجاته، فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب، ولم تنتظر إلى أن ينتهي من صلاته [أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى] {آل عمران:39}، والبشارة هي "الوعد بالعطاء"[3].

وقد كان هذا الولد رضيا، كما طلب من ربه، فقال الله واصفا إياه: [لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا] {مريم:7}، فسمّاه يحيى [هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا] {مريم:65}، أي مثلا!

يقول ابن عادل الدمشقي: "لم يكن له مثل لأنه لم يعصِ، ولم يهمّ بالمعصية قط، فقيل له إنا نبشرك بغلام، لم نجعل له شبيها في الدين، ومَنْ كان كذلك، كان في غاية الرضا"[4].

---

[1] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، 136/16.

[2] قطب، سيد (ت:1385هـ): **في ظلال القرآن**، (8مج)، بلا ط وسنة نشر. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 559/5.

[3] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، 69/16.

[4] ابن عادل الدمشقي: **اللباب**، 16/3.

ويمكن لنا أن نجمل دلالة وجه السرعة في إجابة دعاء زكريا –عليه السلام– وميزته بما يأتي:

1. البشارة تأتي مباشرة ولا تتأخر.
2. الدهشة التي أصابت زكريا فهي عطيّة غير مألوفة.
3. صفة المولود، وتسميته التي لم يكن لها من قبل سميّا.
4. بعد ما ذكر الله تحقيق الاستجابة لزكريا –عليه السلام– وصفهم بأنهم كانوا يسارعون في الخيرات، ويدعوننا رغبا ورهبا، فكان الجزاء من نوع العمل، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان!

وهذا أبو الأنبياء، يَقُصّ علينا كتاب الله استجابات له طيبة، لها نفحات ونسمات رائعة على المؤمنين، صداها باق إلى يوم الحساب، وهذه ميزة لاستجابات الخليل –عليه السلام– أن أثرها باقٍ ما بقي الحق إلى يوم البعث، وسنبيّنها:

أما أولى تلك الاستجابات، تلك الدالّة على **قدرة الله في إحياء الموتى** حينما طلب الخليل، رؤية كيفية إحياء الموتى، فاستجاب الله دعاءه قائلا: [فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] {البقرة:260}، ثم قال في موضع آخر: [وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ] {الأنعام:75}.

ومن هذه الاستجابات، ما كان أثرها **يغمر مكة بالأمن والاستقرار** إلى يوم القيامة، ومع الأمن يأتي الخير كله، الرزق والثمرات والإيمان، فإن الأمن يجمع خيريْ الدنيا والآخرة، فكانت الاستجابة [أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ يَكْفُرُونَ] {العنكبوت:67}.

ثم يُذكّر الله قريشا، بِنِعَمِهِ –سبحانه– لأجل أن يشكروه، فلا يجحدوا فضله، فيقول الله [الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ] {قريش:4}[1]، فكل هذه النعم، كانت صدى لدعوة إبراهيم –عليه السلام– لمكة.

---

[1] انظر: **الجاويش:** دعاء الأنبياء، ص:56.

كما استجاب الله لخليله استجابة، جعلت البيت بصلة دائمة مع قلوب وأرواح المؤمنين إلى يوم القيامة، وليست مع الأجساد فقط، وذلك حينما دعا –عليه السلام– [فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ] {إبراهيم:37}، و"تهوي" تعني: "تسير بجد وقصد مستعجل"[1].

وقد جاءت الاستجابة لهذا الدعاء، وغرس في قلوبهم محبة هذا البيت وإجلاله، حيث تَهْفو قلوب الملايين إلى هذا المكان المغدق بالخيرات والأرزاق والثمرات، تُجبى إليه من كل فجّ عميق، فيقول الله: [وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ] {البقرة:125}.

ومن الاستجابات، تلك التي كانت **تلبية لاستغاثات الأنبياء لطلب النصر**، نحو الاستجابة التي جاءت بعد استغاثة نبينا –صلى الله عليه وسلم– في غزوة بدر التي وصفها الله تعالى بقوله: [إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ] {الأنفال:9}، فكانت الاستجابة عقب دعائه –صلى الله عليه وسلم– فقال تعالى: [أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ المَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ] {الأنفال:9}، أي نجدة لكم، بعضهم على إثر بعض، متتابعين [وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى] {الأنفال:10} فكان النصر[2].

وقد وردت استجابته –سبحانه– في سورة الأحزاب في قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا] {الأحزاب:9}.

ب– تأخير الإجابة إلى حين:

قال تعالى: [وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ] {يونس:11}.

سبق أن بينّا في بداية هذا المبحث، أن الإجابة إما أن يعجلها الله لنبيه، وإما أن يؤخرها له، فالإجابة على مراد الله وحكمته، وأن حظنا من الدعاء هو "الدعاء ذاته"، نتعبد به، ونسأله تعالى أن يتقبله، ونفوّض الأمر لمشيئة الله، فإن كان شأننا فيه كذلك، فإننا لا نُعدم الفائدة.

---

[1] ابن عطية: **المحرر الوجيز**، 342/3.// وانظر: الشعراوي: **تفسير الشعراوي**، 576/1.

[2] انظر: حوّى: **الأساس في التفسير**، 2130/4.

يقول الشعراوي: "يظن بعض الناس أن إجابة الدعوة، هي تحقيق المطلوب فور الدعاء، ولكن في الحقيقة أن إجابة الدعوة هي موافقة على الطلب، أما ميعاد إنجاز هذا الطلب، فقد يتأجل بعض الوقت"[1].

والإجابة –كما أوردنا– أعمّ من نيْل العبد ما يسأل، لكن الأمر يكمن في أن الإجابة قد تتأخر لحين من الزمان، وقد يكون علاج تأخيرها عامل "الزمن"، كأن تحتاج إلى وقت لمجريات الأحداث، وقد يكون التأخير لحكمة إلهية غائبة عن أذهاننا؛ لتمييز المؤمن الصادق، من المنافق الذي لا يصمد أمام أبسط التقادير؛ ولتمييز المؤمن وتمحيصه فيحصل على أعلى الدرجات، "فلا ينبغي للعبد أن يقطع الدعاء، إذا لم يرَ له إجابة عاجلة، بل يحسن الظن بالله –تعالى– ويرجو أن يكون تأخير الله إجابة دعائه؛ لأنه ممن يحبه، فأراد أن يسمع تضرعه"[2].

فالإجابة حاصلة لا محالة، حُكْمُ الله فيها ماضٍ، وإرادته فيها نافذة، على اختلاف حالاتها، سواء على وجه السرعة، أم الإرجاء أم ادّخار الأجر ليوم القيامة.

إن تأخير الإجابة إلى حين، يستوي فيه الأنبياء والعباد، فكما تتأخر إجابات دعاء العباد، كذلك استجابات الله لأنبيائه قد تتأخر لحين، إمّا أن يكون عامل التأخير هو الزمن، أو ليمدّ بأسباب النِعِم للكافرين، مع جحودهم، فيأخذهم بالعذاب، فلا بدّ أن تكون هناك حكمة إلهية.

ومن تلك الاستجابات التي تحققت على التراخي دعوة صادقة، صعدت من حنجرة خليل الله لتتحقق بعد آلاف السنين، وتتمثل بإرسال نبيّ، يعلمنا الحكمة في ديننا ويزكي نفوسنا، فكانت الاستجابة بقول الله تعالى: [لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ] {آل عمران:164}، وقوله تعالى: [كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ] {البقرة:151}، جاءت هذه الاستجابة تماما كما طلب الخليل، فهذا النبي المرسل يحصل به الأُنس وقلة الاستيحاش، كونه من جنسهم، وبلسانهم، يعرفون صدقه

---

[1] الشعراوي: **تفسير الشعراوي**، 6175/10.

[2] الحليمي: **المنهاج**، 532/1.

وأمانته[1]، فكان أول ما نزل على هذا النبي قوله تعالى: [اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ] {العلق:1}[2].

ومن تلك الاستجابات التي تحققت من دعوات الخليل بعد فترة من الزمن حين دعا أن يجعل له ذِكرا حسنا باقيا فيمن يجيء من القرون [وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ] {الشعراء:84}، فأجابه الله في هذه فقال سبحانه: [وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ] {الصَّافات:108}، وقد أعطاه الله ذلك فقد آمنت اليهود بموسى –عليه السلام– وكفرت بعيسى –عليه السلام– وآمنت النصارى بعيسى –عليه السلام– وكفرت بمحمد –صلى الله عليه وسلم– وكلهم يتولى إبراهيم –خليل الله– لكنّ الله تعالى قطع تلك الولاية بقوله: [مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] {آل عمران:67}، ثم ألحق ولايته بالنبي –صلى الله عليه وسلم– والذين معه [إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا] {آل عمران:68}[3].

ومن الاستجابات التي وقعت في غير حين طلبها، استجابة دعاء موسى –عليه السلام– حين خرج خائفا يترقب [قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ] {القصص:21}، فكانت الإجابة بعد وصوله الرجل الصالح حيث قال له: [لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ] {القصص:25}. قال النسفي: "وكان بين مدين وبين مصر مسيرة ثمانية أيام"[4].

ومن تلك الاستجابات حين استغاث موسى –عليه السلام– وأمّن أخوه هارون، فجاءت الإجابة [قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا] {يونس:89}، "وكان ذلك بعد أربعين عاما حيث طمس الله – سبحانه– على الأموال"[5] وكان الردّ الإلهي بقوله: [وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ(114) وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ(115)] {الصَّافات}. ثم أمرهما الله تعالى أن يثبتا على ما

---

[1] انظر: ابن جُزيّ: **التسهيل لعلوم التنزيل**، 123/1.

[2] انظر: عواد، محمد: **نور اليقين في معاني القرآن الكريم**، ط(2). معسكر الشاطئ: دار المقداد للطباعة. 1422هـ– 2001م، ص:68.

[3] انظر: الطبري: **جامع البيان**، 86/19.

[4] النسفي: **مدارك التنزيل**، مج2، 231/3.

[5] الشعراوي: **تفسير الشعراوي**، 6175/10.

هما عليه من الدعوة، وإلزام الحُجّة وأن لا يستعجلا، فإن ما طلباه كائن في وقته لا محالة، فقال سبحانه مخاطبا لهما: [فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ] {يونس:89}[1].

ولعل الله قد أخّر إيقاع العذاب عن قوم فرعون؛ تحقيقا لقوله –سبحانه–: [وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ] {إبراهيم:42}.

ومن هذه الاستجابات إنزال المائدة التي طلبها حواريو عيسى –عليه السلام– فأجابهم الحق، أن إنزال المائدة بشرط متمثلا بقوله تعالى: [فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ العَالَمِينَ] {المائدة:115}. فإن الله –تعالى– وعدهم بإنزال المائدة، وشرّط عليهم شرطا، أنّ من يكفر بعد إنزالها، فإن الله يعذبه عذابا لا يعذبه أحدا من عالمي زمانهم، حيث جرت سنة الله عز وجل عقاب من كفر بعد اقتراح آية[2].

ومما يلاحظ، أن هذه الاستجابة قد رافقها شرط لوقوعها.

ومن هذه الاستجابات، ما كانت تحقيقا لرجاء يعقوب –عليه السلام– بردّ ولديه إليه حيث قال: [فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ] {يوسف:83}.

وقد تحقق رجاؤه بعد وقت من الزمان، وبيان ذلك حين قال يوسف –عليه السلام– لإخوته: [وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ] {يوسف:93}، وكان يوسف –عليه السلام– قد مرّ بمحنة الجُبّ، ومحنة السجن بِضع سنين، وإجداب الأرض سبع سنين بعد إغداقها بسبع أُخَر، والتمكين ليوسف –عليه السلام– ثم بعدها كانت البشارة الأولى ليعقوب –عليه السلام– حين [أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا] {يوسف:96}، ثم اللقاء فيما بعد [وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى العَرْشِ] {يوسف:100}.

في حين أن دعوة نوح –عليه السلام– على قومه [رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّارًا] {نوح:26}، قد أجابها الله بعد الانتهاء من صنع السفينة [وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ] {هود:37}.

---

[1] انظر: الآلوسي: **روح المعاني**، 174/11.

[2] انظر: ابن جُزيّ: **التسهيل لعلوم التنزيل**، 194/1.

وقد اُختلف في مدة صُنع السفينة، قال الرازي: إن مدة صنعها، كانت سنتين، وقيل أربع سنين[1]، وقيل أكثر حتى بُولغ بالفترة التي تم فيها الصنع، فقيل أربعين سنة، وقيل ستين، وقيل مائة سنة، وقيل في أربعمائة سنة[2].

إن الحديث عن تحديد عدد السنين هو من الإسرائيليات التي لا تهمنا، لكن موطن الشاهد في الحديث عن مدة استجابة الدعوات أنها لم تكن سريعة ومباشرة، فإن نجاة نوح، ووقوع العذاب بقومه، قد وقع بعد صنع السفينة، وفي ذلك إرجاء لوقوع الاستجابة، والعامل الزمن.

المرتبة الثانية: عدم إجابة الدعاء:

السماء هي قبلة الدعاء، وقد استجاب الله جلّ أدعية أنبيائه التي اقتضتها طبيعتهم البشرية، واستلزمتها مهمتهم بوصفهم مبلغين لرسالات ربهم، لكننا نجد بعضا من أدعية الأنبياء قد رُدّت ولم تُجب، ولله في ذلك حكمة عظيمة، فلا بدّ أن يكون الدعاء موافقا لإرادة الله وللمشيئة الربانية، فإن الحظ من الدعاء هو إلهامه، ومن ثمّ التفويض، واليقين بتقبّل الدعاء بالطريقة والكيفية التي تشاؤها إرادة الله.

فما هي تلك الأدعية غير المستجابة؟ وما الهدف من عدم إجابتها؟

أول ما كان من تلك الأدعية، دعاء نوح في شفاعته لولده حين قال: [رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الحَاكِمِينَ] {هود:45}، فكان الرد الإلهي: [وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا] {هود:37}، وقوله أيضا: [إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ] {هود:46}.

لقد كان في ردّ الله على نوح –عليه السلام– حكمة، إذ لم يقل له: "إن ابنك ليس من أهلك"؛ وذلك لإشعار القارئ بعدم التناقض، فكيف يكون ابنه، ولا يكون من أهله؟ وما ذاك إلا لتوضيح الحكمة الإلهية من عدم إجابة الدعاء، وهي أنه ليس ابنه من حيث القرابة الدينية، أي من ناحية العقيدة، وأن المقصود "بأهلك" هي الأهلية في الدين والاعتقاد، لذا عبّر عنه الله تعالى

---

[1] الرازي: **مفاتيح الغيب**، 179/17.

[2] الآلوسي: **روح المعاني**، 50/12.

بـــ"إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ"، كي ينجلي الموقف ويُبتُّ بالأمر، بأن عدم الأهلية سببها الكفر، وأنه عمل غير صالح، في مقابل إيمان والده، واهتمامه بالعمل الصالح، فهما نقيضان لا يجتمعان[1].

ومن أمثلة عدم إجابة الله للمطلوب، **دعاء إبراهيم –عليه السلام– حين طلب الإمامة لذريته من بعده**، فأجابه الله، أن عهده لا يصلح له إلا الصالحون، وأنه لا ينال عهدَ الله الظالمون، فقال له: [لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ] {البقرة:124}[2].

يقول الرازي إن هذه الآية دلّت على أن "منصب الإمامة والرياسة في الدين لا يصل إلى الظالمين"[3]، في حين استدل بعضهم بهذا الشاهد على "اشتراط عدالة الإمام والحاكم"[4].

ومنه أيضا استغفار النبي –صلى الله عليه وسلم– للمنافقين؛ رجاء أن يهديهم الله، فأجابه الله [اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ] {التوبة:80}.

يبين الله –سبحانه– أن عدم المغفرة سببه الكفر بالله ورسوله وليس عدم الاعتداد باستغفار النبي لهم، بدلالة قوله تعالى: [وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا] {النساء:64}[5].

وكذلك استغفار النبي –صلى الله عليه وسلم– لعمّه حتى نزل قوله تعالى: [مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الجَحِيمِ] {التوبة:113}، فكانت تقتضي بمنع الاستغفار للمشركين، فترك رسول الله ذلك[6].

ومن ذلك استغفار إبراهيم –عليه السلام– لأبيه حيث قال: [وَاغْفِرْ لِأَبِي] {الشعراء:86}، فلما تبين له أنه عدو لله تبرّأ منه، فقال الله تعالى موضحا أمر استغفار إبراهيم

---

[1] انظر: القيسي، عُودة الله مَنيْع: **الإعجاز اللغوي في قصص نوح عليه السلام في القرآن الكـــريم**، ط(1). عمـــان: دار عمار. 1422هـــ–2002م، ص:152.

[2] انظر: عواد: **نور اليقين**، ص:66.

[3] الرازي: **مفاتيح الغيب**، 31/4.

[4] اليماني، عبد الله بن محمد النَجَريْ (ت:877هـــ): **شافي العليل في شرح الخمسمائة آية من التنزيل**، ط(1). صـــنعاء، بيروت: مكتبة الجيل الجديد– مؤسسة الكتب الثقافية. 1406هـــ–1986م، 124/1.

[5] انظر: رضا: **تفسير المنار**، 656/10.

[6] انظر: ابن عطية: **المحرر الوجيز**، 90/3.

–عليه السلام– لأبيه: [وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ للهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ] {التوبة:114}.

وفي ذلك يقول الزمخشري: وما يستغفر إبراهيم إلا عن موعدة وعدها إياه، وهو قوله: [لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ] {الممتحنة:4}، فلما تبيّن له من جهة الوحي أنه لن يؤمن وأنه يموت كافرا قطع استغفاره[1].

ومما ورد من عدم إجابات من هذا القبيل، ما ورد أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قنَت شهرا يدعو على أفراد من قريش، وأشهر الأقوال أنها نزلت لِما أصابه بأُحد من المشركين يدعو عليهم، فعن أنس أن النبي –صلى الله عليه وسلم " شُجَّ في وَجْهِهِ يوم أُحُدٍ وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ وَرُمِيَ رميه على كَتِفِهِ فَجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ على وَجْهِهِ وهو يَمْسَحُهُ عن وَجْهِهِ وهو يقول كَيْفَ تُفْلِحُ أُمَّةٌ فَعَلُوا هذا بِنَبِيِّهِمْ وهو يَدْعُوهُمْ إلى اللَّهِ عز وجل فَأَنْزَلَ ليس لك مِنَ الأَمْرِ شيء أو يَتُوبَ عليهم إلى آخِرِ الآيَةِ "[2].

وفي ذلك يقول المراغي أن هذه الإجابة جاءت لبيان أن الأمر كله بيد الله، وليس للرسول من أمرهم إلا أن ينفذ فيهم أمر الله، وينتهي بهم إلى طاعته، ثم أمْرهم بعد ذلك والقضاء فيهم، بيد الله، بالذي يشاؤه الله من توبة أو عاجل عذاب أو آجله[3].

وقال السعدي معللا سبب النهي: "ليدل ذلك على كمال عدله سبحانه وحكمته، حيث وضع العقوبة موضعها، ولم يعلم عبده"[4].

ومن أمثلة ذلك استحالة رؤية الله –في الدنيا على الأظهر– حين طلب موسى –عليه السلام– رؤية الله تعالى، ولعله قد سأله النظر شوقا إليه، واشتياقا إلى رؤيته لمّا أسمعه كلامه، فتجرأ وسأله [رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ] {الأعراف:143}، فقال له الحق [لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا]

---

[1] انظر: الزمخشري: **الكشاف**، 3/98–99.

[2] ابن حنبل: **المسند، الموسوعة الحديثية**، الحديث:13083، 2/364–365، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[3] انظر: المراغي، أحمد مصطفى (ت:1364هـ)، **تفسير المراغي** (30مج)، ط(1). مصر: مطبعة مصطفى البابي وأولاده. 1365هـ–1946م، 4/60.

[4] السعدي: **تفسير السعدي**، 1/147.

{الأعراف:143}، أي لا تراني الآن، ولا فيما يستقبل من الزمان، إذ ليس لبشر أن يطيق النظر إليّ، ثم أتى الله بما يخفف عن موسى شدة وطأة الردّ، وذلك بإعلامه ما لم يكن يعلم من سننه، وهو أن شيئا في الكون لا يقوى على رؤيته، فأمره بالنظر إلى الجبل، فإن استقر مكانه ولم ينهدّ لبعض ما يرى من عظمة الله "فَسَوْفَ تَرَانِي"، فلما تجلى ربه أقلّ التجلي وأدناه، انهدّ الجبل، وصار كالأرض، وسقط موسى مغشيا عليه[1].

يلاحظ من خلال ما سبق عدة أمور:

1. الحكمة من عدم إجابة الله استغفار الأنبياء لأقربائهم هو كفرهم، وعدم تحقق الولاية بين الإيمان والكفر، وعدم تولية إمامة المنهج الرباني للظالمين، وما ذلك إلا **لترسيخ عقيدة "توحيد الألوهية"**، خاصة أنّ عدم الأهليّة والولاية كانت بعد التيئيس من إيمانهم، فمنهج الله لا يناله إلا أهل الإيمان.

2. عدم إجابة دعائه –صلى الله عليه وسلم– على نَفَرٍ يوم أُحد، تدلّ على تفرّد الله بالتصرف بالأمر، ومُلك الكون، فبيده وحده الهداية، وملك القلوب، وبقدرته وقيوميته يتصرف بشؤون عباده، حسبما تقتضي ربوبيته –سبحانه– ونستدل من ذلك على **ترسيخ عقيدة "توحيد الربوبية"**.

3. عدم قدرة رؤية موسى –عليه السلام– لذات الله، إنما تدل على أن الله منزّه عن التشبيه والتجسيم والتعطيل، وأنه لا يحدّه زمان ولا مكان، وأن الله تعالى فوق الجسمية، فسبحان الله بأسمائه، وسبحانه بذاته وصفاته، وسبحانه بتفرده بربوبيته وألوهيته، ونستدل من ذلك على **عقيدة "الإيمان بأسماء الله وصفاته"**.

4. أن الأمور الثلاثة السابقة إنما تمثّل عقيدة المسلمين في التوحيد بأنواعه، وأن قضية العقيدة هي بيد الله لا ينازعه فيها بشر وإن كان نبيا؛ ليستقر في الأذهان أن المعركة الحقيقية، بين الإيمان والكفر، هي معركة "العقيدة" وإن اختلفت الألوان والصور.

---

[1] انظر: المراغي: **تفسير المراغي**، 9/57–58.

الفصل الثالث

صفات دعاء الأنبياء

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: الإخلاص في الدعاء

المبحث الثاني: دعاء الأنبياء مستجاب

المبحث الثالث: بشرية الدعاء

المبحث الرابع: تعدد الأساليب في الدعاء

المبحث الخامس: الإجهاد في الدعاء والإلحاح فيه

المبحث السادس: علوّ الهمّة في الدعاء

المبحث السابع: البلاغة في الدعاء

المبحث الثامن: التوسل بأسماء الله الحسنى

لقد وجدت أثناء البحث بهذه الصفات، أنّ بعض العلماء قد عدَّ بعضها من ضمن الآداب وليست من الصفات، وبعد إنعام النظر كان اجتهادي –إن صح– أنها صفات قائمة بذات الدعاء، حسب تغير حالات، فمنها ما تقوم به حال الشدة والاضطرار، ومنها ما تقوم به وقت الرخاء، ونسأل الله إصابة الحق بهذا الاجتهاد.

وقد قسمت هذا الفصل إلى ثمانية مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول

الإخلاص في الدعاء

إن إخلاص الدعاء لله، من أكثر القضايا التي تميّز بها دعاء الأنبياء، لأنّ من صُلب العقيدة التي جاء بها الأنبياء، أنّ صرف الدعاء لغير الله يُعدّ شركا عظيما، وليس أضل ممن توجه لغير الله بالدعاء، قال تعالى: [وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ] {الأحقاف:5}، وقد نصّ القرآن على دخول –من دعا غير الله– دائرة الشرك، فقال: [وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آَلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا(81) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا(82)] {مريم}.

قال سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب[1] "هذا نص صريح على أن من دعا غير الله فقد أشرك... وأن المدعوين يكفرون به يوم القيامة ويتبرؤون منهم"[2].

ولأهمية إفراد الله بالدعاء في عقيدتنا فقد أمر الله نبيه بإخلاصه، ومخالفة المشركين في أكبر شرك لديهم، وهو صرفهم الدعاء لغيره من الأنبياء والملائكة والصالحين، فقد كانوا يتقربون إليهم ليشفعوا لهم عند الله [وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ] {يونس:18}.

---

[1] من آل الشيخ، فقيه من أهل نجد، من حفدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، كان بارعا في التفسير والحديث والفقه، لـــه: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، والأصل من تأليف جدّه، ولد سنة:1200هـــ وتوفي:1233هـــ. // انظـــر: الزركلي: **الأعلام**، 129/3.

[2] عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله بن محمد (ت:1233هـــ): **تيسير العزيز الحميد في شرح كتـــاب التوحيـــد**، تحقيـــق: محمد أيمن الشبراوي. ط(1). بيروت: عالم الكتب. 1999م، ص:201.

فخاطب الله نبيه آمرا إياه، أن يتوجه إليه وحده بالدعاء: [قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ] {الزُّمر:11}، ثم أمر بقوله: [هُوَ الحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ] {غافر:65}، وحذر –سبحانه– من دعاء غيره قائلا: [وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ] {يونس:106}، وحذر ثانية [وَأَنَّ المَسَاجِدَ للهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا] {الجنّ:18}، وقال في حق الأنبياء: [وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] {الأنعام:88}، فكيف عن سواهم من البشر؟!

وإذا أعدنا النظر في الآيات السابقة، يظهر بصورة جليّة كيف ربط الله بين الإخلاص والعبادة، والإخلاص والدعاء، ثم ربطهما بالله وحده، فحين قال "فادعوه" أي فاعبدوه مخلصين له الدين، وقد ذكر الله العبادة بعنوان الدعاء؛ لأن اللائق بالعبادة أن تكون خالصة لله وحده، تؤتى على وجه التضرع والانكسار والخضوع[1].

فالخلق كله، قائم من أجل تحقيق توحيد الألوهية، الذي هو إخلاص العبادة لله، وإبطال شرك الألوهية، والذي عرفه ابن تيمية بـــ "أن يدعو غيره دعاء عبادة أو دعاء مسألة"[2].

ولقد تمثل الأنبياء هذه الصفة، فكانت دعوتهم في دعاء العبادة والمسألة موجهة لله وحده، وإنّ أعظم ثمرة لإخلاصهم في الدعاء، هو قبول دعائهم واستجابته لهم، على وجه العموم.

ومن أدعية الأنبياء التي تمثّل الإخلاص في مضمونها وصَرْفها، إخلاصهم في دعاء العبادة، **فقد تجلت ملامح الإخلاص في دعائهم**، حباً لله، وخوفا من عقابه، رجاءً في رحمته، فقد أثبت الخليل –عليه السلام– ميزة الإخلاص في دعائه بأنه لا يبتغي بعمله إلا وجه الله، فدعاه مخلصا [رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ] {البقرة:127}، وقال أيضا: [رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ] {إبراهيم:40}.

وإننا نستطيع أن نستشف الإخلاص في دعاء إبراهيم–عليه السلام– من خلال شعور النبوّة بقيمة العقيدة في الوجود، فإن طلب قبول الأعمال هي غاية إبراهيم –عليه السلام– فهو

---

[1] انظر: الآلوسي: **روح المعاني**، 83/24.

[2] ابن تيمية: **اقتضاء الصراط**، ص:357.

عمل خالص لله، لذا اتجه به في قنوت وخشوع يرجو قبوله؛ لأن ربه سميع الدعاء بما وراءه من النية والشعور[1].

وممن دعا بأخلص الدعاء وأصفاه، ذو النون –عليه السلام– قال تعالى: [وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ] {الأنبياء:87}.

لقد كان يونس –عليه السلام– مخلص الدعاء وإن ثمّة دلالات للإخلاص في دعائه منها:

1. إعلانه التوحيد "لا إله إلا أنت" فإن فيه اعتراف بتوحيد الألوهية[2] الذي جاء به الرسل الكرام، والذي يقتضي أن لا يُعبد ولا يسأل إلا الله وحده، "فإن أنبياء الله، أول دعوتهم وأكبر هدفهم في كل زمان ومكان، وفي كل بيئة، هو تصحيح العقيدة... وتصحيح الصلة بين العبد وربه"[3].

2. اعترافه بالتوحيد مع التسبيح، كناية "عن انفراد الله تعالى بالتدبير وقدرته على كل شيء"[4].

3. اعترافه بظلم نفسه وقوله: [إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ] {الأنبياء:87}، ففي هذا اعتراف بحقيقة حاله[5].

وممن حقق الإخلاص في الدعاء زكريا –عليه السلام– [إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا(3) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا(4)] {مريم}، وإن دلالة إخلاصه:

1. أنه حقق الدعاء مناجاة، ونادى ربه بصوت خافت، لشدة إخلاصه، فلا يعلمه إلا الله، فإن "الإخفاء سنة الأنبياء والجهر به يُعد من الاعتداء"[6].

---

[1] انظر: المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها.

[2] انظر: ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، 243/10.

[3] الندوي، أبو الحسن علي الحسيني (ت:1420هـ): **النبوة والأنبياء في ضوء القرآن**، ط(5). دمشق، بيروت: دار القلم. 1400هـ–1980م، ص:51.

[4] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، 132/17.

[5] انظر: ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، 254/10.

[6] أبو حيّان: **البحر المحيط**، 163/6.

2. إن دعاء زكريا بصوت خافت، يستلزم إثبات صفات الله التي لا تنفك عنه، مثل السمع والبصر والقدرة والقيومية.

من كل ما سبق تبين لنا أن الإخلاص قد لازم دعاء الأنبياء في جميع المجالات، ما يخص عباداتهم وأعمالهم وأقوالهم الظاهرة والباطنة فاتصفت أقوالهم بتنزيه الله عن الشريك في كل شيء، وصرفوا العبادة كلها لله وتوجهوا بقلوبهم له وحده بالدعاء؛ تحقيقا لأمر الله.

و**أما في دعاء المسألة**، وتوحيدهم ربوبية الله، فإنّا نجده في أعظم الميادين التي أظهر الأنبياء الإخلاص في الدعاء، وهو **ميدان البلاء**، فلا عون إلا عون الله، ولا ملجأ ولا منجا منه إلا إليه، ولا ملاذ إلا به، لذا تجدهم في الشدة والرخاء قد استعاذوا بالله من كل شر، ودفعوا به كل أمر جلل، واحتموا بقدرته، وقد بيّن الله لنبيّه الطريق وأرشده إلى سواء السبيل فأمره بأن يستعيذ بالله، ويعتصم به، ويلتجئ إليه في كل أحواله، فقال: [قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ] {الفلق:1}، وقال: [قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ] {الناس:1}، وقال: [وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ] {المؤمنون:97}.

ومن يلجأ إلى الله، ويلوذ به ويعوذ، تراه مفتقرا إليه، مُقرّا بالعجز، متبرئاً من الحول والقوة إلا به، ومُسندا القوة المطْلقة، والإرادة والتصرف لله وحده، ومفوضا الأمر كله إلى علم الله المحيط، الذي أحاط بكل شيء علما، ومن ذلك ما كان من عيسى –عليه السلام– حين فوّض أمره كله لعلم الله قائلا: [إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ] {المائدة:116}[1].

ومن هذا القبيل، دعاء إبراهيم وإسماعيل –عليهما السلام– حيث طلبا "العون من ربهما في الهداية إلى الإسلام، [رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ {البقرة:128}، فقد شعرا أن قلبيهما "بين أصبعين من أصابع الرحمن، وأن الهدى هداه، وأنه لا حول لهما ولا قوة إلا بالله، فهما يتجهان ويرغبان والله المستعان"[2].

---

[1] انظر: الرازي: **مفاتيح الغيب**، 112/12.

[2] انظر: قطب: **في ظلال القرآن**، 156/1.

فكان فهمهم للتوحيد والإخلاص فهما عميقا، مما جعل الإخلاص راسخا في دعائهم بعد أن رسخ في عقيدتهم.

المبحث الثاني

دعاء الأنبياء مستجاب

أمر الله –سبحانه– عباده بدعائه ووعدهم بالاستجابة، وقد صدق الله وعده، لكل من استجاب للأمر والنداء، وخير من قام بأمر الله، هم الأنبياء، فقد قاموا بحق الدعاء، كما أمرهم خالقهم.

والسؤال الذي يمكن أن يطرح هنا هو: إن إجابة الأدعية لا تكون معجزة للنبوة؛ لأنه قد تجاب دعوة غير الأنبياء؟ وما الذي خصهم الله به في تحقيق الدعاء؟

مما لا شك فيه أن دعاء الأنبياء مستجاب على العموم، فالأنبياء قد حققوا شروط الدعاء، وتأدبوا بأدب ربهم، فدعوا الله كما يُحب، ووقتما يحب، فكيف لا يحقق لهم الإجابة؟

يقول الماوردي[1]: "إن أدعية الأنبياء مجابة على العموم، في جميعها، وأدعية غيرهم إن أجيبت، فعلى الخصوص في بعضها، لأن الأنبياء منطوقون بالحق، فإذا نطقت ألسنتهم بالدعاء، صادف ما أمُروا به فأُجيبوا إليه، وغيرهم قد ينطق بالحق، وبغيره فإن أجيبت أدعيتهم، فهو تفضّل، يقف على مشيئة الله"[2].

وإن إجابة الأنبياء هي بمثابة السلاح بأيديهم، استنادا لمهمتهم في إبلاغ أمر النبوة، فلا بد من إعانتهم والاستجابة لدعائهم، وحول هذا المعنى يقول الماوردي: "إن فضل الأنبياء على جميع خلقه، مما فوض إليهم من القيام بحقه، تميزوا بطلب المصلحة، فخصوا بإجابة الأدعية، ليكون عونا لهم على ما كلفهم، وآية على من أنكرهم فدخل هذا الامتياز أقْسُم الإعجاز"[3].

فالماوردي يعتبر إجابة دعاء الأنبياء، بمثابة معجزة لهم تؤيدهم في إبلاغ مهامّهم، وإلا فكيف نجّى الله يونس ونوحا وموسى وإبراهيم ولوطا –عليهم السلام– وغيرهم.

---

[1] هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البغدادي الشهير بالماوردي، مفكر إسلامي، كان من السياسيين البارزين في الدولة العباسية، له: أدب الدنيا والدين، أعلام النبوة، الأحكام السلطانية. // انظر: **الموسوعة العربية العالمية:** http://www.mawsoah.net

[2] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت:450هـ): **أعلام النبوة**، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي. ط(1). بيروت: دار الكتاب العربي. 1987م، ص:152.

[3] المرجع السابق نفسه، ص:142.

وأما ما خص به الله –سبحانه– الأنبياء من الدعاء، فقد وعد كل نبي باستجابة دعوة له كما جاء في حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: "لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا وَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي فِي الْآخِرَةِ "[1].

وبعد هذا البيان النبوي، يمكن لنا أن نستدل على أهم القضايا التي من شأنها أن تجعل دعاءهم مستجابا، من خلال ما نورده على سبيل الإيجاز:

1. نظرا لأهمية الدعاء في حياة الأنبياء، فإن ذلك يقتضي أن يكون دعاؤهم مجابا؛ تصديقا لهم وردءاً، فإن فيه إثبات التوحيد بأنواعه، الذي نادى به الأنبياء في دعوتهم.

2. الأنبياء وفّوا بحق العبودية لله، فقد استمروا بدعاء الله شدة ورخاءً، فلم يفتُروا عن الدعاء، لذا نجد أن الله تعالى قد نجّى يونس –عليه السلام– من كربه العظيم؛ لأنه كان دائم التسبيح [فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ(143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(144)] {الصَّافات}، فكانت الجائزة لهم، والمكافأة هي إجابة دعائهم، فالوفاء بحق العبودية، لا بد وأن يقابله وفاء بحق الألوهية والربوبية، لأن الوفاء بحق العبودية كان أرجى عند الله قبولاً وإجابة.

3. العقبات في طريق دعوة الأنبياء، جسيمة عظيمة، لا تستطيع قواهم البشرية المحدودة أن تصمد أمام طغيان أقوامهم، فلا بد من قاعدة صلبة رصينة يقفوا عليها ثابتة عليها أقدامهم، فإن مهمتهم تغيير واقع الكفر، وهذا لا يكون إلا بمعيّة الله لهم.

---

[1] سبق تخريجه، ص:85.

المبحث الثالث

بشرية الدعاء

اقتضت حكمة الله –تعالى– أن يكون أصفياؤه لحمل رسالته، من البشر، تجري عليهم الخصائص البشرية، يتصفون بطبيعة بشرية، بما حباهم الله من فضل النبوة والوحي، وفي هذا يقول –سبحانه وتعالى–: [قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا] {الكهف:110}.

فإذا كانت طبيعتهم بشرية، فإن الجانب الذي نبحث فيه –وهو دعاؤهم– لا بد أن يكون ذا سمة بشرية، سواءً من حيث الدافع، أو المضمون، أو الغاية، تعبدا كان أم مسألة، وعلى ذلك فإن بشرية الدعاء نعني بها: اتصاف الدعاء بالطبيعة البشرية، وتضمنه حيثياتها، من حيث الدافع والمضمون والغاية منه.

ويمكن لنا أن نجمل ما تناولته أدعية الأنبياء من جوانب بشرية، وما اتصفت به، من خلال أمرين اثنين هما:

المطلب الأول: ملامح البشرية في دعاء العبادة

فإن البشر جميعا، مطلوب منهم أن يتوجهوا إلى الله بالعبادة، وفي مقدمتهم الأنبياء الذين هم عباد لله، بل عبّاد له –سبحانه–.

ومن خلال تعبدهم لله، تجلت سمة البشرية في دعائهم، لذا فإننا نلمح في دعائهم، ونستشعر خوفهم من الله؛ رهبة من عذابه، ونستشعر رجاءهم رغبة في رحمته، وقت حصول الزلل، فيُعدّ في حقهم ذنبا، فنجد الاستغفار قد تصدّر دعاءهم.

فإننا نلمح في دعاء آدم وحواء –عليهما السلام– شعور الندم، حين نسيا وأكلا من الشجرة فخالفا أمر ربهما، وأحسّا بالخسران إن لم تدركهما رحمة ربهما ومغفرته، فدعوه تائبيْن: [رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ] {الأعراف:23}.

والذي يبدو أن خوف آدم –عليه السلام– من عذاب الله وسخطه، ألجأه للاعتراف بذنبه طالبا المغفرة وما ذاك إلا لنسيانه كونه بشرا! استدلالا من قوله تعالى: [وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا] {طه:115}.

وكذا، يونس –عليه السلام– نلمح بشرية دعائه، حين نمعن الفكر بدافعه، فنجد أن ما حصل له من الانكسار، كان بسبب التقصير في الطاعة، وخروجه مغاضبا دون إذن من الله: [وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ] {الأنبياء:87}.

فتحقيقا للعبودية، وتداركا لما فاته من الاصطبار على تكاليف الدعوة، دعا بما يتوجب على أيٍّ من البشر، من تسبيح واستغفار واعتراف بالذنب.

ومن هذا القبيل، استغفار موسى –عليه السلام– الذي كان نتيجة انفعاله وغضبه وتسرعه، أحسّ بالخطأ واستغفر قائلا: [رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ] {الأعراف:151}.

علما بأن "استغفاره لنفسه، كان بسبب فَعْلته مع أخيه وعجلته في إلقاء الألواح"[1].

وإن هذا الدعاء صدر بعد انفعال الغضب عند موسى –عليه السلام– الذي –هو انفعال بشري– رهبة من عذاب الله، مما دفعه للإسراع والرجوع تائبا.

أما عيسى –عليه السلام– فإن سمة البشرية تُلحظ في دعائه، حين رد على قومه، ونفى كونه إلها، متبرئا من الحول والطول، معتصما بالله وحده قائلا: [سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ] {المائدة:116}، فإن عيسى –عليه السلام– بهذا الدعاء أثبت الألوهية لله تعالى، ونفاها عن نفسه.

وفي دعاء نوح –عليه السلام– نحسّ بتحرّق نفسه على ولده الذي كان من المغرقين، وكان قد وعده الله بإنجاء المؤمنين من أهله، فدعا بدافع الأبوة الحانية [رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الحَقُّ] {هود:45}.

---

[1] أبو حيّان: **البحر المحيط**، 395/4.

فلمّا تبين لنوح –عليه السلام– أنه ليس من أهله الذين وعده الله بإنجائهم، استعاذ واستعصم بالله من الخطأ والزلل، وقال ملتجئا عائذا: [رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ] {هود:47}.

المطلب الثاني : ملامح البشرية في دعاء المسألة

إن دعاء الأنبياء لم يتوقف على الأمور الأخروية التعبدية، بل تجاوزها إلى أمور الدنيا، فقد كان دعاؤهم واقعيا يلامس حياة البشر، ويحكي همومهم، وقد سأل الأنبياء ربهم من أمور الدنيا ما يعينهم ويوصلهم إلى الآخرة، فالله تعالى يقول: [وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا] {القصص:77}.

إننا حين نقف أمام النصوص القرآنية، نجدها تعرض لنا شخصيات الأنبياء بصدق وواقعية.

لقد ظهرت ملامح بشرية دعاء الأنبياء من خلال ما اتصفوا به من صفات بشرية لا تنفك عنهم، شأنهم في ذلك شأن سائر البشر الذين تجد في أصل فطرتهم اهتمامات مادية وأخرى روحية، فأما الاهتمامات المادية من الطعام والشراب... ففي ذلك يقول الشيخ الأشقر: "كونهم جسدا يحتاجون لما يحتاج إليه البشر من الطعام والشراب... ومن ذلك أنهم ولدوا كما ولد البشر، ولهم آباء وأمهات... ويصيبهم ما يصيب البشر من أعراض"[1].

فيتعرضون للابتلاء كما يتعرض البشر، ويشتغلون بالأعمال التي يشتغل بها البشر، ويحتاجون لما يعينهم ويحتاجونه من وسائل لنشر دعوتهم.

ومن نماذج مسألتهم ودعائهم ما نراه قد ورد على لسان الخليل –عليه السلام– عندما طلب رؤية كيفية إحياء الموتى [رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي المَوْتَى] {البقرة:260}.

يعلق سيد قطب حول دعاء إبراهيم –عليه السلام– قائلا إنه "يكشف عمّا يختلج أحيانا من الشوق والتطلع، لرؤية أسرار الصنعة الإلهية، في قلوب أقرب المقربين... لا يتعلق بوجود الإيمان وثباته وكماله واستقراره... إنه أمر الشوق الروحي، إلى ملابسة السرّ الإلهي، في أثناء

---

[1] الأشقر: **الرسل والرسالات**، ص:74.

وقوعه العملي... لكنه أراد أن يرى يد القدرة وهي تعمل، ليحصل على مذاق هذه الملابسة فيستروح بها[1].

وبهذه الطبيعة البشرية التي سألت رؤية سرّ إلهيّ أثناء وقوعه، هي ذاتها وبظاهر المُلك –هذه المرة– سأل إبراهيم –عليه السلام– ربه أن تكون الإمامة في ذريته فقال: [وَمِنْ ذُرِّيَّتِي] {البقرة:124}.

لقد تملّك نفس إبراهيم –عليه السلام– فطرة البشر في الرغبة في الامتداد من طريق الذراري والأحفاد، إنه شعور فطري عميق في النفس الإنسانية، أودعه الله لتنمو الحياة وتتعاون الأجيال كلها، فطلب الخليل –عليه السلام– أن يجعل من ذريته أئمة[2].

وكما أنه اختلج إلى نفس الأنبياء نوازع الفطرة، من حبّ معرفة أسرار الألوهية وطلب الإمامة للذرية، فإننا نجد كذلك أنهم محكومون لقوانين اللذة والألم كالبشر، فتظهر متاعب الحياة نتيجة تعرضهم للبلاء، وذلك من خلال ما بثوه لخالقهم، وإن هذه الابتلاءات لتكشف الضعف الإنساني، وتدفع العاقل دفعا إلى الوقوف بباب الله، يطلب معافاته، ويرجو رحمته، فإذا عظم الخطب، اشتد إلى الله فزعه[3].

لذا وجدنا أيوب –عليه السلام– لما ذهب أهله وماله، واشتد الخطب عليه، دعا الله لكشف الألم ودفع الضرّ فقال: [أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ]{الأنبياء:83}، فإننا نلمح الشكاية، والتطلع إلى معافاة الله.

كما نلمح البشرية في دعاء الصدّيق، يوسف –عليه السلام– وهو يستنجد ربه، مختارا مرارة السجن، على أن يضعف في لحظة، أمام الإغراء المستمر، فقال: [قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ] {يوسف:33}، "وهي دعوة الإنسان العارف ببشريته، الذي لا يغتر بعصمته فيريد مزيدا من عناية الله وحياطته"[4].

---

[1] قطب: **في ظلال القرآن**، 441/1.

[2] انظر: قطب: سيد (ت:1385هـ): **البلاء والابتلاء في ظلال القرآن**، أعده: عكاشة عبد المنان الطيبي. بلا ط وسنة نشر. مكتبة التراث الإسلامي، ص:126.

[3] انظر: الغزالي، محمد (ت505هـ): **فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء**، بلا ط وسنة نشر. دار الاعتصام، ص:77.

[4] قطب: **في ظلال القرآن**، 718/4.

ومن ملامح بشرية الأنبياء في المســألة، حين يأتي مشهد تكليف موسى –عليه السلام– بالرسالة لأطغى طواغيت الأرض، وجد موسى –عليه السلام– أن المهمّة ضخمة، والتكليف عظيم، فشكا إلى ربه ما به من ضعف طالبا العون والمساعدة [قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ(12) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ(13)] {الشعراء}.

يقول سيد قطب في حكاية خوف موسى –عليه السلام–: "أنّ خوفه ليس من مجرد التكذيب، لكن من حصوله في وقت يضيق فيه صدره ولا ينطلق لسانه، فلا يملك أن يُبيّن، وأن يناقش هذا التكذيب ويفنّده، إذ كانت بلسانه حُبْسة، هي التي قال عنها في سورة طه [وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي*يَفْقَهُوا قَوْلِي]... فمن هنا خشي موسى أن تقع له هذه الحالة، وهو في موقف المواجهة بالرسالة لظالم جبار كفرعون، فشكا إلى ربه ضعفه... وطلب إليه أن يوحي إلى هارون... ويشركه معه في الرسالة؛ اتقاء للتقصير في أداء التكليف"[1].

هذه بعض الملامح والسمات البشرية، التي اتصفت بها أدعية ثلة من الأنبياء، وظهرت في ثناياها، وإنه ليصعب حصر هذه الخاصية بما ذكرناه، فما من دعاء توجه به نبي إلا والسمة البشرية ظاهرة في مدلوله ومكنونه.

ونلحظ من خلال ما استعرضناه من أدعية، أن الأدعية تتركز على التوبة وغفران الذنب والبعد عن الفتن والمعاصي، وطلب ما يُعين على أمور الآخرة.

وفي نهاية هذا المبحث، وبما أن من سمات وخصائص دعاء الأنبياء (البشرية)، فلا بُد لنا أن نتخذ هذه الأدعية وردا في حياتنا اليومية، وإنه لشرف لنا عظيم أن نمتثل أخلاق الأنبياء في تعبدهم، وأن نقتدي بالخيرة من البشر والمصطفين الأخيار.

---

[1] المرجع السابق، 6/198–199.

المبحث الرابع

تعدد الأساليب في الدعاء

من الخصائص البارزة في دعاء الأنبياء تعدد أساليبهم في اللجوء إلى الله، فإن الناظر فيها، يجد أنهم قد استجابوا لأمر الله، ولفطرتهم، بخضوعهم إلى الله، ورفع حاجاتهم إليه، وما ذاك إلا لمعرفتهم بأهمية التوجه إلى الله بكل الرغبة والرهبة، سالكين بذلك أساليب متعددة حسبما يقتضي المقام، مستمدين العون من الله، مستغيثين به.

فتارة يتوجهون إلى الله بلسان مقالهم، مفصحين عن حاجاتهم ومسألتهم، كما تجد أنهم تعبدوا إلى الله بهذا الدعاء، فظهروا بسلوك العبودية، ودعوه بلسان الحال فخضعت قلوبهم، وسكنت جوارحهم، متضرعين إليه، مظهرين افتقارهم الدائم إليه.

وإن تعددت الأساليب، واختلفت الصيغ فإنها تصب في نهاية المطاف في الوصول إلى غاية واحدة وهي رضا الله –عز وجل– وعلى ما تقدم، فقد قسمت هذا المبحث إلى مطلبين هما:

المطلب الأول: أسلوب لسان المقال

جميع الأدعية الطلبية، تُطلب بأسلوب المقال، فكل قول صدر عن الأنبياء، فيه إنشاء لطلبهم وحاجتهم، فهو أسلوب بلسان المقال.

وقد قال الزبيدي، إن ما وافق هذا النوع من الدعاء "له صيغ تخصه في الإيجاب افعل، وفي النفي لا تفعل وقد اجتمعا في قوله [رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا ...الآية] "[1].

وعلى أساس ما قاله الزبيدي فإنه يتضح أن كل مسألة تقدم بها الأنبياء كانت بأسلوب المقال تقسم إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: ما كان بصيغة افعل نحو ما قاله الأنبياء لجلب النفع كقول إبراهيم –عليه السلام– : [وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ] {الشعراء:84}.

---

[1] الزبيدي: **إتحاف السادة**، 27/5.// والآية هي: [رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ]{البقرة:286}.

وقول نوح –عليه السلام–: [رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ] {نوح:28}.

ونحو ما قالوه لدفع الشر، كقول لوط –عليه السلام–: [رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ] {الشعراء:169}.

ثانياً: ما كان بصيغة لا تفعل، أي: بطلب عدم الوقوع[1] نحو قول نوح –عليه السلام–: [رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّارًا] {نوح:26}.

ونحو قول زكريا –عليه السلام–: [رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الوَارِثِينَ] {الأنبياء:89}.

ثالثاً: ما كان بصيغة جمعت ما بين الصيغتين كما حصل من دعاء موسى –عليه السلام– حين دعا على فرعون وملئه، وسجل ذلك القرآن الكريم حيث قال تعالى: [رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ] {يونس:88}.

يتبين أن هذا الأسلوب دعا فيه الأنبياء طلبا باللسان.

المطلب الثاني: أسلوب لسان الحال

كما أن الدعاء يستدعي عبادة اللسان، باللهج والتمجيد، والتحميد والطلب والمسألة والابتهال إلى الله والتضرع، فإنه كذلك يستدعي عبادة البدن، والتي تكون بالانكسار لله، والاستكانة بين يديه، فيخضع القلب لله، وتسكن الجوارح، وإذا ما عاش الإنسان مع الدعاء بهذا الحال، فقد قام بحق عبوديته، وهو بذلك قد سلك مع الله طريق الدعاء بلسان الحال.

فالدعاء بلسان الحال، "دعاء سلوكي، ومظهر أخلاقي، وحال إيماني، يبدو فيه المسلم موحدا لله، بحيث تنطق أفعاله، أنه لا معبود بحق سوى الله"[2].

---

[1] انظر: العروسي: **الدعاء**، 146/1.

[2] الرضواني، محمود عبد الرازق: **أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة**، (5مج)، ط(1). دار الرضوان. 1426هـ–2005م، 9/5. www.asmaullah.com

هكذا ترجم الأنبياء دعاءهم لبيان حالهم أمام خالقهم، واصفين أنفسهم بغاية الفقر والافتقار مقابل غناه، وغاية العجز والاحتياج إلى غوثه وعونه، مقابل قدرته وتصرفه وقيوميته، معترفين بظلم أنفسهم؛ رجاء عفوه ورحمته التي لا يقدر عليها إلا هو.

لذا كان هذا الأسلوب يتضمن وصف حال الداعي، بمعنى أنه يأتي بصيغة الإخبار، وبحالات عدة.

فيقول ابن تيمية: إن ما جاء من الدعاء بصيغة الخبر، إما أن يوصف حاله، وإما أن يوصف حال المسؤول، وإما أن يوصف الحالين، وأن هذا الوصف هو وصف حاجة وافتقار، وهو أبلغ من جهة العلم والبيان وأكمل[1].

وعلى هذا القول فإن هذا الأسلوب تتكامل فيه أنواع ثلاثة:

أولاً: وصف حال السائل:

الناظر في أدعية الأنبياء بلسان الحال، يجد أنها تعكس افتقارهم إلى الله –سبحانه– مقابل غناه عنهم، كما ورد على لسان نوح –عليه السلام– [رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الخَاسِرِينَ] {هود:47}.

يقول ابن تيمية: إن نوحا أخبر عن الله أنه إن لم يغفر له ويرحمه خسر، وإن كان يتضمن سؤال المغفرة بطريق التضمين.

ومن ذلك قول موسى –عليه السلام–: [رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ] {القصص:24}.

فإن موسى –عليه السلام– قد وصف حاله بأنه فقير إلى ما أنزل الله إليه من الخير، وقوله هذا يتضمن سؤال الله إنزال الخير إليه[2].

وقول زكريا –عليه السلام–: [رَبِّ إِنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا] {مريم:4}، فقد أورد في دعائه أمورا، يستحق بها الرحمة، والشفقة، منها: ضعفه ظاهرا وباطنا، أما

---

[1] انظر: ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، 10/244–246.

[2] انظر: المرجع السابق نفسه، ص:244.

الضعف الباطن، فقد ظهر في العظام، ومتى وصل إليها الضعف، كان ما عداها أولى وأجدر، وأما أثر الضعف الثاني، فهو واضح باستيلاء الشيب على الرأس، واضطرامه في السواد[1].

ثانياً: وصف حال المسؤول:

في هذا الأسلوب يقدم خبرا يصف الله –جلّ جلاله– بموجب الشكر له، والثناء عليه، وبيان تفضل الله على عباده مع حاجتهم لإعانته، ومن ذلك قول يوسف –عليه السلام–: [رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ المُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ] {يوسف:101}، فقد بيّن يوسف –عليه السلام– فضل الله عليه، بأنه آتاه من المُلك، وعلمه من تعبير الرؤيا، ثم وصفه بخالق السماوات من غير مثال سابق، فهذا وصف لله أتى به قبل الشروع بالدعاء.

ثالثاً: وصف حال السائل وحال المسؤول:

إن الدعاء بهذه الحال، هو أكمل الحالات، حين يصف أحد الأنبياء نفسه بما يقتضي رحمته ومغفرة ذنبه واعترافه بالعجز، ويصف ربه أنه القادر المتصرف المتفرد بذلك.

ومن ذلك دعاء أيوب –عليه السلام– [أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ] {الأنبياء:83}.

يقول ابن تيمية أن أيوب –عليه السلام–: "وصف نفسه، ووصف ربه، بوصف يتضمن سؤال رحمته بكشف ضره، وهي صيغة خبر تضمنت السؤال، وهذا من باب حسن الأدب في السؤال والدعاء"[2].

ثم يضيف قائلا: إنه حين يصف العبد نفسه باقتضائه الحاجة إلى المغفرة، فإن فيه وصفا لله، بأنه لا يقدر على هذا المطلوب غير الله، كما أن فيه بيانا المقتضي للإجابة، وهو وصف الرب بالمغفرة وبالرحمة[3].

---

[1] انظر: المراغي: **تفسير المراغي**، 34/16.

[2] ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، 245/10.

[3] انظر: المرجع السابق نفسه، ص:247.

ومن ذلك قول يونس –عليه السلام–: [لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ] {الأنبياء:87}.

جميع الشواهد السابقة، تدل على دعاء الأنبياء بلسان حالهم، حيث إنهم وصفوا الله بما يستحق من صفات الجلال والكمال، ووصفوا أنفسهم باستحقاق الرحمة.

وإذا كان وصف الحاجة والافتقار أبلغ من جهة العلم والبيان، وفيه دعاء بلسان الحال، فإن أبلغ من هذا، أن يدعو الإنسان بلسان حاله دون التصريح بالقول، وإنّ خير من دعا بلسان الحال، هو سيد الخلق، فقد كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لسان حاله يفصح عن بيانه، فوصفه الله، بأقرب ما يكون العبد من ربه قائلا: [وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ] {الشعراء:219}. اجتهد العلماء في تفسير معنى هذه الآية على أكثر من قول منها ما قاله الكلبي "يراك حين تقوم وحين تسجد"[1]، وقال الشنقيطي: "أو تقلبك في أصلاب آبائك الساجدين، أي المؤمنين بالله كآدم ونوح وإبراهيم وإسماعيل"[2].

وعلى أيٍّ كان المعنى والوصف بالتقلب بالسجود، فإن الله تعالى، ذكر أنبياءه في أشرف حال، وأقرب ما يكون العبد لله.

قال ابن القيم: أن "الساجد أذلّ ما يكون لربه، وأخضع له، وذلك أشرف حالات العبد"[3].

فلهذا كان أقرب ما يكون العبد من ربه في هذه الحالة، حيث إن السجود هو سرّ العبودية.

كما أن نبي الله –صلى الله عليه وسلم– كان يكثر من ترديد وجهه في السماء؛ شوقا وانتظارا لنزول الوحي، ينظر ما يأتيه بشأن القبلة، ولم يكن من رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من الدعاء سوى "حبّ التحويل"، وتقليب النظر في السماء، فقد عَبَد الله بقلبه، وجوارحه، ووجهه، فكان الدعاء بهذه الحال موجبا للإجابة، بقوله سبحانه: [قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا] {البقرة:144}، وبذلك نرى أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– هو

---

[1] ابن جُزيّ: **التسهيل لعلوم التنزيل**، 91/3.

[2] الشنقيطي: **أضواء البيان**، 103/6.

[3] ابن القيم، **زاد المعاد**، 228/1.

أبلغ من توجه إلى خالقه بالدعاء، ولقد حاز على السبق في هذا الشرف العظيم، والدعاء بلسان الحال.

المبحث الخامس

الإجهاد في الدعاء والإلحاح فيه

الإجهاد من الجَهْد، وهي الطاقة، وقيل المشقة[1] وزاد السجستاني "المبالغة"[2]. أما بالضم أي "الجُهد"، فقيل: الجُهْد للإنسان... وقال تعالى: [وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ] {الأنعام:109}، أي حلفوا واجتهدوا في الحَلِفِ أن يأتوا به على أبلغ ما في وسعهم، والاجتهاد: أخذ النفس ببذل الطاقة وتحمل المشقة"[3].

أما الإلحاح: من لَحَحَ، يقال: "ألحّ على الشيء إذا لزمه وأصر عليه"[4]، ويقال: "ألحّ الرجل على شيء، إذا أقبل عليه مواظبا"[5].

يُفهم من التعريفات أن الإجهاد في الدعاء يأتي من خلال بذل وسع الإنسان وطاقته بإتيان الدعاء، والمبالغة فيه إما تفصيلا، أو تكرارا للفظ، أو مداومة على تحقيقه، ويؤخذ من تعريف الإلحاح، أنه يكون بالمداومة، والمواظبة، ولزوم الدعاء، والإصرار والاستمرار فيه رغبا ورهبا.

وإذا تدبرنا دعاء الأنبياء، نجد أنه ما خلا من الاستمرار في الدعاء والإجهاد فيه، تمشيا مع احتياجهم الدائم لله، والمستمر في مهمّة التبليغ، فقد أعطوْا كل مقام حقه في الدعاء، بحسب الحال، ويمكن أن نلمس هذه الصفة في الدعاء بصورة أظهر من خلال ما يأتي:

المطلب الأول: من خلال استغاثات الأنبياء بالله، ومن هذه المواقف الشريفة التي أجهد الأنبياء في دعاء الله، يوم بدر، فقد وصف الله نبيّه بمن يستجير ويطلب الغوث، أبلغ ما في

---

[1] ابن منظور: **لسان العرب**، 133/3.// وانظر: الأصفهاني: **المفردات**، ص:101. // السجستاني، أبو بكر محمد بن عزيز (ت:330هـ): **غريب القرآن المسمّى بنزهة القلوب**، تحقيق: لجنة من العلماء. ط(1382هـ-1963م). مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ص:70.

[2] السجستاني: **نزهة القلوب**، ص:70.

[3] الراغب: **المفردات**، ص:101.

[4] ابن الأثير: **النهاية**، 236/4.

[5] الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري (ت:770هـ): **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، (2مج)، بلا ط وسنة نشر. بيروت:المكتبة العلمية، 550/2.

وسعه وطاقته وذلك في قوله تعالى: [إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ] {الأنفال:9}، والاستغاثة: "طلب الغوث وهو التخليص من الشدة... والعون على الفكاك من الشدائد"[1].

ويقال: "استغاث بمعنى صاح"[2]، لقد كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يومئذ في مقام الخوف، وإن التعبير بلفظ الاستغاثة يوحي أن المستغيث أمام مهلكة، فيطلب الغوث وهو في أشد الكُرَب، فيستجير بالله؛ لأن قوة المسلمين حينئذ كانت ضئيلة، وكان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يخشى على أصحابه من الهلاك، فاستغاث ربه، وأجهد نفسه في الدعاء، كما أن لدعائه – صلى الله عليه وسلم– تقوية لمعنويات قلوب أصحابه، وهو ما يُعبّر عنه الآن "بالقوة المعنوية" والتي لا يختلف عليها اثنان أنها من أسباب النصر[3].

ومن أدعية الأنبياء التي أجهد فيها الأنبياء أنفسهم، تلك وهم يعتذرون إلى الله، ببيان فضله على أقوامهم، مع استمرار جحدهم ونكرانهم لفضل الله.

ونذكر مثالا واحدا مع صاحب أطول صبر عرفه التاريخ بل وأكرم صبر وهو نوح – عليه السلام– الذي وقف أنفاسه على الدعوة إلى الله ألف سنة إلا خمسين عاما[4].

فقال: [قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا(5) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا(6) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا(7) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا(8) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا(9) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا(10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا(11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا(12) مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا(13) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا(14)] {نوح}.

لقد فصّل نوح –عليه السلام– في شرح حاله إلى ربه، وأجهد نفسه، وهو يبين أساليب دعوته المتنوعة لقومه، مع تقديمه جملة من نعم الله عليهم، متلطفا معهم في الخطاب؛ لاستمالتهم على الإيمان، لكن لا يجد منهم إلا الصدّ والتنكر له ولدعوته، وبعد سنين طويلة على تلك الحال،

---

[1] الزبيدي: **تاج العروس**، 314/5.

[2] ابن منظور: **لسان العرب**، 174/2.

[3] انظر: رضا، محمد رشيد (ت:1354هـ): **تفسير القرآن الحكيم المسمّى تفسير المنار**، (12مج)، ط(2). دار المنـــار. 1366هـ–1947م، 607/9.

[4] انظر: العفاني، سيد بن حسين: **صلاح الأمة في علوّ الهمة**، (7مج). قدّم له: محمد صفوت نور الدين وآخرون. ط(2). بيروت: مؤسسة الرسالة. 1424هـ–2003م، 405/4.

أعلم الله –تعالى– نوحا –عليه السلام– أنه لن يؤمن لك إلا من قد آمن [وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ] {هود:36}، هنالك دعا نوح [رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّارًا] {نوح:26}.

المطلب الثاني: من خلال طلبهم المغفرة والتوبة من الذنوب:

ومن هذا القبيل دعاء آدم –عليه السلام– حين عصى ربه، فقد صوّره ربه صورة العبد المذنب: [فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ] {الأعراف:22}، وفي هذا "عتاب من الله وتوبيخ وتنبيه على الخطأ، حيث لم يتحذرا ما حذرهما الله، من عداوة إبليس"[1].

وحين توجه لدعاء الله، اعترف أولا بذنبه، وسمّاه ظلماً لنفسه، وذلك على عادة الأولياء والصالحين، في استعظامهم الصغير من السيئات، وقالا: [رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ] {الأعراف:23}[2].

وكان من الممكن أن يستغفر آدم مباشرة، دون الاعتراف بالذنب وطلب المغفرة ثم الرحمة، والإقرار بأن عمله يؤدي إلى الخسران إن لم يغفر له ويرحمه، لكنه اجتهد أن يأتي من الدعاء أبلغ ما في وسعه.

المطلب الثالث: من خلال تكرار لفظ الدعاء:

ونجد هذه الصفة في دعاء خليل الرحمن، حينما دعا لمكة بالأمن، فقد دعا قبل وجود البلد، ودعا له بعد أن كان مقرر الوجود، فقال: [رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا] {البقرة:126}، وقال: [رَبِّ اجْعَلْ هَذَا البَلَدَ آمِنًا] {إبراهيم:35}، وجاءت الإجابة باللفظ نفسه [مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا] {البقرة:125}.

---

[1] الزمخشري: **الكشاف**، 92/2.

[2] انظر: المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها.

وممن كان لهم مداومة وتكرار للدعاء لفظا، يعقوب –عليه السلام– فقد توجه بالدعاء بعد أن فقد ابنه يوسف –عليه السلام– حيث قال: [فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ المُسْتَعَانُ] {يوسف:18}، ويستمر ويداوم على الدعاء، صابراً صبراً جميلاً سالماً، لا شكوى فيه[1]، مستعينا بالله على ذلك، شاكيا بثه إلى ربه [إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ] {يوسف:86}، وتمتد دونه الأعوام، ثم يفاجأ بفقد ولده الثاني، فلا يدركه اليأس حتى من يوسف، وحتى لو يذهب بصره، فإننا نرقب في نفسه المؤمنة، بوارق الأمل، تحاول جاهدة أن تطرد اليأس من نفسه المطمئنة[2].

ويدعو بدعائه الذي لا شكوى فيه ثانية [فَصَبْرٌ جَمِيلٌ] {يوسف:83}، وهذا النبي لم يفقد الأمل، بل يستمر بالدعاء، مع أن كل الظروف لا توحي لأبنائه بأن هناك بوارق أمل، فيدعو هذا الشيخ [عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ] {يوسف:83}.

وقد كان لهذا الإلحاح والمداومة على الدعاء دون شكاية، أثر في استجابة الله له، وذلك حين [أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ] {يوسف:96}.

ومن الأدعية التي تكرر لفظها، هو **لفظ الاستعاذة** الذي ورد في دعاء النبي –صلى الله عليه وسلم– في المعوِّذتين، كما أرشد الله نبيّه أن يستعيذ بالله من الشياطين [وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ] {المؤمنون:97}.

كما ورد لفظ الاستعاذة مرتين على لسان يوسف –عليه السلام– وذلك بقوله تعالى: [مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ] {يوسف:23}، وقوله تعالى: [مَعَاذَ اللهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ] {يوسف:79}، وفي هذه الأدعية دلالة على أن هذه الأمور التي خصص ذكرها في الآيات، يتوجب على الإنسان، الاستعاذة منها لكثرة وقوع الأذى منهم، فطلب الله من نبيّه دفع أذاهم باستمرار الاستعاذة منهم[3].

---

[1] الرازي: **مفاتيح الغيب**، 83/18.

[2] انظر: البيومي، محمد رجب: **من القيم الإنسانية في الإسلام**، (مجلد واحد يحوي جزأين)، بلا معلومات نشر، 124/2-125.

[3] انظر: الهرري: **حدائق الروح والريحان**، 459/32.

المطلب الرابع: كون الدعاء منهجا سار عليه الأنبياء

نلحظ المداومة على الدعاء، كونه منهجا سار عليه الأنبياء، رجاء ما عند الله من الخير والفضل الكبير والعطاء غير المقطوع.

فهذا نبي الله زكريا –عليه السلام– يتخذ من الدعاء ديدنا ترومه نفسه، فتراه ملازما له، لا تملّ منه نفسه، وكيف تملّه وقد كسب محبة الله، وأثنى عليه وعلى ولده وأهله؛ لأنهم "كانوا يسارعون بالخيرات" وضمّوا إلى المسارعة وفعل الطاعات أمرين: أحدهما الفزع إلى الله –تعالى–؛ لمكان الرغبة في ثوابه، والرهبة من عقابه، وثانيهما الخشوع"[1]، فقال تعالى: [إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ] {الأنبياء:90}.

كما يُستدل على ملازمة زكريا –عليه السلام– الدعاء، وإجهاد نفسه فيه، مبالغته في وصف نفسه، وصفا دقيقاً معبّراً عن حاله وحال زوجه، كما أنه أضاف أمرا مستقرا لديه أمْرُه، ذلك أنه تعوّد من ربه إجابة مطلوبِه من قبل، وكأنه يتوسل إلى الله بما سلف معه من استجابات[2].

المطلب الخامس: تكرير ذِكر ربوبية الله[3]

فإنه لا أدلّ على مداومة الأنبياء ولزومهم الدعاء والإلحاح فيه أكثر من تكرير ربوبية الله، وتوفر هذا الكمّ غير القليل من الدعاء للأنبياء في القرآن الكريم.

وهكذا كانت ألسنة الأنبياء تلهج بذكر ربهم، وتستمر قلوبهم على الخضوع؛ لتقوى صلتها بالله، وتستديم على الطاعة والعبودية.

---

[1] الرزاي: **مفاتيح الغيب**، 189/22.

[2] انظر: البيضاوي: **أنوار التنزيل**، 33/2.

[3] انظر: المقدسي، أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد (ت:600هـ): **الترغيب في الدعاء**. تحقيق: فؤاد أحمد زمَرلي. ط(1). بيروت: دار ابن حزم. 1416هـ–1995م، ص:12.

المبحث السادس

علوّ الهمّة في الدعاء

لقد تعددت أساليب القرآن الكريم في الحديث عن الهمّة، فتارة تحثّ عليها بصيغ متعددة، وتارة تشير إلى الوسائل لترقيتها، ما يجعل حصرها غير ممكن في هذا المقام، غير أننا نشير إلى ذلك، على وجه الإيجاز:

فقد كان أنبياء الله ذوي همة عالية في الدعاء، بما يتوافق مع تأديتهم رسالة الله، وتحمل عبء تبليغها، فقد توجهوا إلى الله بجد وعزيمة، ورغبة إلى الله متخلقين أدب الدعاء، موقنين في الإجابة، متوكلين على الله، فقد أمرهم سبحانه أن يأخذوا هذا الدين بقوة، وعزيمة، وهمة عالية تروم بأمتهم نحو المعالي.

فقال الله تعالى لنبينا –صلى الله عليه وسلم– [فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ] {الزُّخرف:43}، وألزمه –سبحانه– بأن يلزم العمل بمقتضى هذا الكتاب فقال: [وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا] {الكهف:27}.

وفي بيان هذا النص القرآني يقول المراغي: أي "اتلُ الكتاب الذي أوحيَ إليك، والزم العمل به، واتبع ما فيه من أمر ونهي... فإن أنت لم تتبعه ولم تأتمّ به... فلن تجد موئلا من دونه، ولا ملجأ تلجأ إليه، إذ قدرة الله محيطة بك"[1].

ثم يبين –سبحانه– الصورة التي يجب أن يؤخذ بها كتابه، صورة القبض على الكتاب بجدّ وقوة وصرامة، أي بتحكيم هذا الكتاب؛ لإصلاح حياة الناس، مع إقامة شعائر العبادة؛ لإصلاح قلوبهم[2].

فقال تعالى: [وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ المُصْلِحِينَ] {الأعراف:170}.

وفي مقام المدح، وصف الله –سبحانه– قوة داود –عليه السلام– في دينه فقال: [وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ] {ص:17}.

---

[1] المراغي: **تفسير المراغي**، 141/15–142. // وانظر: الرازي: **مفاتيح الغيب**، 97/21.

[2] انظر: قطب: **في ظلال القرآن**، 664/3.

كما علل إحسانه للأنبياء–وقيل لزكريا وأهله– بأنهم كانوا يسارعون ويرغبون في أنواع الأعمال الحسنة، فقد كانوا ذوي همة، يدعون راغبين قبول الأعمال، راهبين من ردها[1]، فقال تعالى: [إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا] {الأنبياء:90}، وقد حثّ الله – تعالى– عباده لترقية هممهم فقال: [فَفِرُّوا إِلَى اللهِ] {الذاريات:50}، أي: "فافزعوا إلى الله سريعا"[2].

وللشهيد سيد قطب لفتة لطيفة لهذا التعبير القرآني: لفظ "الفرار" وهو "يوحي بالأثقال والقيود والأغلال والأوهاق[3]، التي تشدّ النفس البشرية إلى هذه الأرض وتثقلها عن الانطلاق... وبخاصة أوهاق الرزق، والحرص والانشغال بالأسباب الظاهرة... ومن ثم يجيء الهتاف قويا للانطلاق... والفرار إلى الله..." [4].

ثم أمر الله سبحانه عباده ملازمة أصحاب الهمم العالية فقال لنبيّه: [وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ] {الكهف:28}.

وما ذاك إلا لأنّ أصحاب الهمم العالية لا يرضون بالدون، فالهمة لا تقتصر على الدعاء، بل تتجاوزه لتصبح منهج حياة، يصعب الانسلاخ عنه.

وللهمة في دعاء الأنبياء مجالات يمكن أن نجملها بما يأتي:

المطلب الأول: من علو الهمّة في الدعاء الجزم بالمسألة

إذا توجه الأنبياء بالدعاء، فإنّ همتهم تأبى إلا أن يكون لله وحده، فيدعونه بجدّ وعزيمة، دون تعليق للمشيئة.

والمتدبر لأدعية الأنبياء، لا يجد فيها صيغة طلب غير جازمة، فما من دعاء إلا وأُنجز بجدّ وعزيمة.

---

[1] انظر: الآلوسي: **روح المعاني**، 87/17.

[2] الرزاي: **مفاتيح الغيب**، 195/28.

[3] مفردها وهق وهو الحبل، ويقال: مواهقة الإبل: أي مد أعناقها. // انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، 385/10.

[4] قطب: **في ظلال القرآن**، 588/7.

ومعنى الأمر بالعزم: "الجدّ فيه، أي بالدعاء، وأن يجزم بوقوع مطلوبه، ولا يعلق ذلك بمشيئة الله تعالى. وقيل: إن معنى العزم: أن يحسن الظن بالله في الإجابة، وقيل: ...أن يجتهد ويلحّ ولا يقل: "إن شئت"، كالمستثني ولكن دعاء البائس الفقير"[1].

وممن كانت لهم همّة الجزم في الدعاء، نوح –عليه السلام– حين دعا بالمغفرة: [رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا] {نوح:28}، فقد طلب بجدّ وعزيمة أن يغفر الله له ولوالديه، ولكل مؤمن دخل بيته، ثم دعا على الظالمين.

وممن كانت لهم همّة كذلك زكريا –عليه السلام– فقد جَدّ في طلبه مع علمه بحاله وحال زوجه من كبر السنّ وعدم الإنجاب، إلا أنه طلب [فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا] {مريم:5}، معللا سبب سؤاله الغريب، أن الله قد عوده إجابة طلبه، فلم تقصر همته عن طلب المزيد، بل هي في ترقٍّ مستمر، ولن يردّه ربه خائبا، بل سيعطيه ما طلب.

وتتمثل همّة زكريا –عليه السلام– كذلك في هذا الطلب، أنه راعى آداب الدعاء، فطلب بصوت خاشع، متذلل إلى الله، ولم يتعدّ في طلبه، كما أن نوع الطلب لم يكن كأي طلب، بل أرادها ذرية "صالحة"؛ لترثه في ميراث النبوة والعلم والعمل، وما ذاك إلا لعلمه أن هناك ذرية غير صالحة.

ومن أكثر صيغ الطلب التي تزيد المعنى قوة والمسألة جزماً، دعاء موسى –عليه السلام– على قوم فرعون، وإن القارئ ليحسّ بشدة وطئة الكلمة حين يقرؤها، وإذا علم معناها لا يسعه إلا أن يقول: "اللهم عافنا واعف عنا"، تلك الكلمة التي وردت في قول موسى –عليه السلام– [رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ] {يونس:88}، ومعنى كلمة "اطمس" أي "امحق وأزل آثار أموالهم وأهلكها"[2].

ولا يُعتقد أن كلمة غيرها يمكن لها أن تأتي بالمعنى الذي جاءت به هذه الكلمة، وتؤدي المعنى المراد منها.

---

[1] ابن حجر: **فتح الباري**، 158/11.

[2] الزحيلي، وهبة بن مصطفى: **التفسير الوسيط**، (3مج)، ط(1). دمشق: دار الفكر. 1422هـ، 1003/2.

المطلب الثاني: ومن علو الهمّة في الدعاء حصر التوكل على الله

كما كانت همّة الأنبياء عالية، فجدّوا بالمسألة، وأحسنوا الظنّ بالله في الإجابة، فإنهم كذلك علت همتهم فحصروا التوكل على الله وحده.

إننا نلمس علوّ الهمّة في توكل سيد الخلق محمد –صلى الله عليه وسلم– حيث أرشده ربه [فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ] {التوبة:129}، فالهمّة بأن يتوكل على الله وحده، لا على غيره، ويفوّض أمره إليه، لا إلى سواه؛ ليصل توكله –صلى الله عليه وسلم– إلى أعلى مقامات التوحيد[1].

وحين البلاء تجد الهمّة ترقى إلى نفس يعقوب –عليه السلام– الصابر، مستعينا بالله متوكلا عليه وحده، فلا جزع ولا ضجر ولا يأس، فتراه لا ترضى نفسُه إلا أعظم الصبر وأتمه، وأجمله وهو "الصبر الجميل" فيدعو بهمّة المؤمن الصابر، مستعينا به وحده قائلا: [فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ المُسْتَعَانُ] {يوسف:18}.

المطلب الثالث: ومن علو الهمّة في الدعاء اليقين في الإجابة

كان يقين الأنبياء في الإجابة لا شك فيه؛ لأن ثقتهم بالله عظيمة، وأنه لا يخذلهم، فينبغي للمرء أن يؤدي ما عليه من أسباب الدعاء، ويوقن أن الله –تعالى– يقبل دعاءه، وقد أمرنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بذلك، زاجرا لنا عن اليأس من إجابة الدعاء، فقال: "ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً من قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ"[2].

---

[1] انظر: رضا: **تفسير المنار**، 592/9.

[2] الترمذي، **سنن الترمذي**، كتاب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب66، الحديث:3479، 517/5، قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. // الحاكم: **المستدرك**، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذِكر، الحديث:1817، 670/1، قال: حديث مستقيم الإسناد، تفرّد به صالح المُري ولم يخرجاه.

قال المباركفوري: أي "كونوا عند الدعاء على حالة تستحقون بها الإجابة... حتى تكون الإجابة على قلوبكم أغلب من الردّ، أو أراد وأنتم معتقدون أن الله لا يخيبكم؛ لسعة كرمه، وكمال قدرته، وإحاطة علمه؛ لتحقق صدق الرجاء وخلوص الدعاء"[1].

وقال –صلى الله عليه وسلم– مبلغا عن ربه في الحديث القدسي: "يقول الله تَعَالَى أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي"[2].

أي أنه "قادر على أن أعمل به ما ظنّ أني عامل به"[3].

إن يقين الأنبياء بإجابة الدعاء، ينبع من ثقتهم بالخالق –سبحانه– وقد كانت ثِقة الأنبياء بربهم، تملأ قلوبهم رضى وطمأنينة؛ لأنهم على علم بأن الله معهم أينما كانوا، يؤيدهم ويمدهم إذا تخلى عنهم الناس، فهم على ثقة بقدرة الله على تحقيق دعائهم، ويدفع عنهم وهم أصحاب عقيدة، يملأ قلوبهم الاطمئنان والسكينة، "فاليقين بمثابة الروح من الجسد، وبه تفاضل العارفون، وفيه تنافس المتنافسون... روح أعمال القلوب، التي هي من أعمال الجوارح"[4].

والتوكل على الله هو ثمرة اليقين ونتيجته، لذا ضرب الأنبياء أمثلة عطرة في التوكل واليقين والثقة بالله، فهذا موسى –عليه السلام– بمثل هذه الثقة بالله، وبمثل هذا اليقين والتوكل، كان إيمانه بقدرة الله على إنجائه يقيناً، وذلك حين قال تعالى: [فَلَمَّا تَرَاءَى الجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ(61) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ(62)] {الشعراء}.

فالموقف مَهيب؛ فالبحر أمام موسى وأصحابه، والعدو من ورائهم، والوقت وقت كرب وشدة وجزع واضطراب، لكل من يقف بمثل هذا الموقف، وكان أصحاب موسى –عليه السلام– متشككين مضطربين، يُعبّر عن ذلك قولهم "إِنَّا لَمُدْرَكُونَ" لكن موسى –عليه السلام– بثقة العارف بربه وقد علل ردعهم عن ذلك بقوله "إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ" حيث أسند المعية إلى

---

[1] المباركفوري: **تحفة الأحوذي**، 316/9.

[2] البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: [وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ]، وقوله جل ذِكره: [تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ]، الحديث:6970، 2694/6. // مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الذِكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذِكر الله تعالى، الحديث:2675، 2061/4.

[3] ابن حجر: **فتح الباري**، 439/13.

[4] ابن القيم: **مدارج السالكين**، 397/2.

الرب... وذلك "على معنى مصاحبة لطف الله به وعنايته، بتقدير أسباب نجاته من عدوه، وذلك أن موسى واثق بأن الله مُنجّيه لقوله تعالى: [إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ]"[1].

إن موسى –عليه السلام– "لا يشك لحظة، وملء قلبه الثقة بربه، واليقين بعونه، والتأكد من النجاة، وإن كان لا يدري كيف تكون، لقد قالها بجزم وشدة وتوكيد [كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ] {الشعراء:62}... لن نكون مدركين"[2].

وهذا نبي الله –صلى الله عليه وسلم– إنه مثال يُحتذى، حينما يشتد به الكرب، ولا أشدّ من ساعة هجرته مخذولاً من قريش، لكن العناية الإلهية تلطفت به وبصاحبه، قال تعالى: [إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا] {التوبة:40}.

خرج رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وحيدا إلا من صاحبه الصدّيق، لا جيش ولا عدّة، وأعداؤه كُثُر، وقوتهم إلى قوته ظاهرة والصديق –رضي الله عنه– يجزع لا على نفسه، ولكن على صاحبه والرسول –صلى الله عليه وسلم– وقد أنزل الله سكينته على قلبه، يهدئ من روعه، فيقول مقولة الواثق بعناية الله، المستشعر بمعيته "إِنَّ اللهَ مَعَنَا"[3]، قادر على كل شيء [إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ] {يس:82}.

بهذا اليقين تحدى المشركين ثانية، وهو في لهجة الواثق المطمئن إلى السند الذي يركن إليه، ويحتمي به من كيدهم جميعا، وإنها كلمة صاحب الدعوة إلى الله ، بعد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– [إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ] {الأعراف:196}[4].

بهذا التحدي واجه المشركين ليقينه بأن الله يتولى حفظه ونصره ولن يقدروا على مضرّته.

ومن جانب آخر، نجد الأنبياء لشدة ثقتهم بالله –عز وجل– يعلمون علم اليقين بقدرة الله على الخلق والإحياء والإماتة والقدرة، لكن همّتهم ترتقي لحق اليقين.

---

(1) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، 135/19.

(2) انظر: العفاني: **صلاح الأمة**، 80/5.

(3) انظر: قطب: **في ظلال القرآن**، 225/4.

(4) انظر: العفاني: **صلاح الأمة**، 81/5.

فهذا الخليل –عليه السلام– كان يرتقي بهمّته، ومن ذلك همّته في اليقين، حين طلب من خالقه [رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي المَوْتَى] {البقرة:260}، فقد أراد إبراهيم –عليه السلام– أن يرتقي بهمّته من خلال طلبه، إذ إنه لم يكن شاكّاً في إحياء الموتى، إنما يريد أن يرى كيف تتم هذه الحكاية[1]، بدليل قوله للنمروذ: [رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ] {البقرة:258}، وقول الله له: [أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي] {البقرة:260}، لكن إبراهيم –عليه السلام– ارتأى أن يرتقي بهمّته من درجة عين اليقين إلى درجة حق اليقين[2]، والتي لا ينالها في هذا العالم وهذا المقام خاصة إلا الرسل، صلوات الله وسلامه عليهم[3].

المطلب الرابع: ومن علو الهمّة في الدعاء تعظيم المسألة

فإن همّة الأنبياء في الدعاء لا ينقضي ارتقاؤها بل هي في ارتقاء مستمر؛ لذا وجدنا أن الأنبياء قد طلبوا أمورا عظيمة ترتقي بهم، وبالفئة المؤمنة نحو المعالي.

فقد ارتقت همّتهم وطلبوا أمورا عظيمة، **ومن مظاهر عِظم المسألة:**

أولاً: طلبهم لأنفسهم المنازل المباركة والذِكر الحسن والدائم إلى يوم القيامة، وذلك نحو دعاء إبراهيم –عليه السلام– [رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ(83) وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ(84)] {الشعراء}.

ثانياً: همّة في طلب رؤية بعض أسرار الربوبية، في كيفية إحياء الموتى، نحو همّة إبراهيم –عليه السلام– في الطلب [رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي المَوْتَى] {البقرة:260}، وفي رؤية الله –عز وجل– نحو همّة موسى –عليه السلام– التي ارتقت وتشوقت إلى رؤية خالقه [رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ] {الأعراف:143}، كذلك همّة سليمان –عليه السلام– حين طلب أعظم أمر منحه الله لأحد من خلقه [رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي] {ص:35}، فقد كان عالي

---

[1] انظر: الشعراوي: **تفسير الشعراوي**، 1132/2.

[2] هو إسفار صُبح الكَشْف ثم الخلاص من كلفة اليقين، ثم الفناء في حق اليقين.// انظر لمزيد من الإيضاح: ابن القيم: **مدارج السالكين**، 404/2.

[3] انظر: ابن القيم: **مدارج السالكين**، 404/2.

الهمّة حين طلب أن يعطيه مُلكاً "ذا طبيعة معينة ليست مكررة، ولا معهودة في الملك الذي يعرفه الناس... فأعطاه فوق المُلك المعهود، مُلكا خاصا لا يتكرر"[1].

ثالثاً: طلب تغيير الواقع الكافر بواقع مؤمن، وذلك نحو دعاء نوح –عليه السلام– الذي تضمن في ثناياه إهلاك الكافرين، وتطهير الكون منهم ومن شرورهم، فقال: [رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّارًا(26) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا(27)] {نوح}، كما نجد الهمّة في الطلب بدعاء إبراهيم –عليه السلام– الذي جمع خيري الدنيا والآخرة، وهو طلب إرسال نبي لهذه الأمة؛ لتعليم الناس آيات الله والحكمة وتزكية نفوسهم وتطهيرها، بالدعاء الخالد: [رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ] {البقرة:129}.

---

[1] قطب: **في ظلال القرآن**، 100/6.

المبحث السابع

البلاغة في الدعاء

امتازت أدعية الأنبياء بالبلاغة والفصاحة واختيار أوجز الألفاظ وأغزر المعاني، وحتى يقال إن الكلام بليغ، لا بد أن يُجتهد في المعنى والمبنى، بحيث يؤدى الكلام دونما إطناب أو تطويل في الكلام مع مراعاة ما يتطلبه الحال أو الواقع.

والناظر في دعاء الأنبياء، يجد بعد التدبر، أن أدعيتهم تميزت بالبلاغة والفصاحة والنطق بالحكمة، سواء أكان من حيث المعنى أو المبنى مع مراعاتهم للأحوال، فيناسب مقالهم المقام، فقد تخيّروا لدعائهم ألطف المعاني وأرتبها، وأحسن الألفاظ وأنبلها، فأوجزوا بالدعاء ولم يطيلوا العبارة فيختلّ المعنى، فكل كلمة تناسقت مع صاحبتها؛ ليؤدى فيها المعنى المراد، كيف لا يكونوا كذلك، "والحكمة أيضاً جعلها الله صفة لأنبيائه جميعا، امتدحهم بها [وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ] {آل عمران:81}"[1].

ومصداقا لهذا النص القرآني، فإننا نلمس ومن خلال تدبر آيات دعاء الأنبياء البلاغة والبيان من خلال أمور ثلاثة: [2]

1. اختيار الكلمة في ذاتها.
2. اختيار الوظيفة التي تؤديها.
3. اختيار الموقع المناسب لها لتقوم فيه بأداء وظيفتها.

وانطلاقا من مقتضيات الحال، فإنه يصعب تفصيل وبيان جميع الدلالات البيانية في دعاء الأنبياء، لذا آثرت أن أذكر على سبيل المثال بعضا من أدعيتهم؛ لأكشف فيها وجوه البلاغة والفصاحة.

ومن هذه اللمسات البيانية التي سنبرزها:

---

[1] محجوب، عباس: **الحكمة والحوار علاقة تبادلية**، ط(1). عمان، إربد: جدارا للكتاب العالمي، عالم الكتب الحديث. 2006م، ص:15.

[2] انظر: عبد الحميد: **المناسبة في القرآن**، ص:30.

المطلب الأول: البلاغة في دعاء إبراهيم –عليه السلام– في سورة البقرة: [وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آَمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ] {البقرة:126}، ودعائه في سورة إبراهيم: [رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آَمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ] {إبراهيم:35}، فما سرّ هذا التنكير والتعريف للفظ "البلد"؟

إن دعوة إبراهيم الأولى "بلدا آمنا"، وقعت ولم يكن المكان قد جعل بلدا، بدليل قوله تعالى على لسان إبراهيم –عليه السلام– [رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ] {إبراهيم:37}. أما الدعوة الثانية، فقد وقعت بعد أن جعله الله بلدا وصيّره[1].

كما أن اسم الإشارة في سورة البقرة، إشارة إلى الواد المذكور في قوله (بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ)، قبل بناء الكعبة، وفي سورة إبراهيم، إشارة إلى البلد بعد الكعبة[2].

أما صاحب مفاتيح الغيب، فقد ذهب إلى أنّ تنكير لفظ "بلد" إنما هو للمبالغة، وقال إن "التنكير يدل على المبالغة، فقوله "رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آَمِنًا"، معناه: اجعله من البلدان الكاملة في الأمن"[3].

ويلمح تعبير بليغ ودقيق في وصف إبراهيم –عليه السلام– هذا المكان، بأنه "واد غير ذي زرع" ولم يقل "غير مزروع"، وبعد النظر نستنتج ما يأتي: [4]

1. أن العبارة الثانية تفيد نفي كون الواد مزروعا، أي نفيا للحال، غير أن التعبير القرآني، يفيد عدم إمكانية زرعه.

2. كما أن حرف الباء في قوله "بواد"، ولم يقل: "في واد"؛ فإن وجود حرف الباء إنما ليدل على التصاق هذه الذرية الكريمة، بهذا الوادي المبارك والله تعالى أعلم.

---

[1] انظر: أبو حيّان: **البحر المحيط**، 554/1. // وانظر: عبد الحميد: **المناسبة في القرآن**، ص:169.

[2] انظر: الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر (ت:505هـ): **أسرار التكرار في القرآن**، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا. ط(2). القاهرة: دار الاعتصام. 1396هـ، ص:35.

[3] الرازي: **مفاتيح الغيب**، 50/4.

[4] انظر: أبو عودة: **شواهد في الإعجاز**، ص:299.

3. وأما سرّ اختيار كلمة (زرع)، وعدم اختياره كلمة (ثمر) أو (غرس)، فإن لها دلالة عميقة؛ لما تحمل هذه الكلمة من معنى، فقد جاء في لسان العرب أن "الزرع يغلب عليه البُرّ والشعير... وقيل الزرع طرح البذور"[1] أما كلمة (الغرس)، فهي "الشجر الذي يغرس"[2].

وعلى ذلك، حين وصف إبراهيم –عليه السلام– الوادي أنه غير ذي زرع، إنما ليدل أن هذا الوادي لا يمكن أن يكون بيئة خصبة للزرع بمعنى البذور التي تدفن في الأرض، لأن الأرض الصوانية السوداء الجافة في المناطق الحارة، كجبال مكة، يستحيل أن يزرع فيها شيء من ذلك، ولأن الزرع يحتاج إلى تربة رطبة متماسكة تبذر فيها البذور، ثم تُسقى فتنبت، ولعلّ إبراهيم –عليه السلام– أحسّ بجفاف الوداي، فغلبته مشاعر الأب الحاني، وأن أبناءه سيعانون من قسوة العيش، فرفع يديه ضارعا؛ ليدعو بهذا الدعاء.

كما أننا نلاحظ أن إبراهيم –عليه السلام– حكيم في طلبه؛ حيث قدم طلب الأمن على غيره من الأمور؛ لأن الأمن هو أساس كل شيء، ولا يتم شيء من مصالح الدين والدنيا إلا به[3]. وليدل كذلك أن الأمان لا يكون إلا بالتوحيد فقال: [وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ] {إبراهيم:35}.

ومن أدعية إبراهيم –عليه السلام– التي تضمنت فيها البلاغة قوله –عليه السلام–: [رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ] {البقرة:129}.

كان للخليل –عليه السلام– حكمة في ترتيب هذا الدعاء، نلمسها من خلال المسائل الآتية:

أولاً: ذكر إبراهيم –عليه السلام– صفات الرسول أنه "منهم"، أي من أهل مكة، ليكون أشفق عليهم، ويكونوا أعزّ به، وأشرف وأقرب للإجابة[4].

---

[1] ابن منظور: **لسان العرب**، 141/8.

[2] المرجع السابق، 154/6.

[3] انظر: المسيري، منير محمود: **دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم**، بلا ط وسنة نشر. القاهرة: مكتبة وهبة، ص:446.

[4] انظر: الآلوسي: **روح المعاني**، 386/1.

ثانياً: رتب الدعاء، فقدم التلاوة على التعليم؛ لأنها من باب التمهيد، وكان أول كلمة أنزلت "اقرأ"، ثم التزكية لأنها بعده، وهي من قبيل التخلية المقدمة على التحلية[1].

ثالثاً: هذا الدعاء يفيد كمال حال ذريته من وجهين:[2]

"أحدهما: أن يكون فيهم رسول يكمل لهم الدين والشرع.

والثاني: أن يكون المبعوث منهم لا من غيرهم".

والحقيقة أنه إذا أردنا أن نلتمس الحكمة في هذا الدعاء، فلا أجد أعظم من حكمة إبراهيم –عليه السلام– في اختيار نوعية الطلب، فقد كان طلبه رحمة ليس لأمة محمد –صلى الله عليه وسلم– بل للعالمين، فلله الحمد على هذه المنّة.

المطلب الثاني: البلاغة في دعاء عيسى –عليه السلام–

وذلك حين دعا [اللهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيرُ الرَّازِقِينَ] {المائدة:114}.

تظهر الحكمة في دعاء عيسى –عليه السلام– من خلال ما استقرأه الشعراوي:[3]

1. ألزم نفسه بنداء الألوهية، معترفا بالعبودية ملتزما بالتكليف، ثم جاء بنداء الربوبية.
2. أخذ نداؤه زاوية القيم، ثم زاوية المادية وهي الرزق.
3. أوضح الرازي[4] أن ترتيب عيسى –عليه السلام– للدعاء، مقارنة بترتيب الحواريين في طلبهم أنهم كانوا على طرفي نقيض؛ ذلك لأنهم قدموا ذِكر الأكل، فقالوا: "نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا"، وأخّروا الأغراض الدينية الروحانية... لكن عيسى –عليه السلام– لمّا طلب المائدة... قدّم الأغراض الدينية الروحانية، وأخّر الأكل، حيث قال: "وَارْزُقْنَا".

ثم يلقي الرازي الضوء على البون الشاسع بين مراتب درجات الأرواح عند عيسى –عليه السلام– والحواريين، في كون بعضها روحانية، وبعضها جسمانية، ثم إن عيسى –عليه

---

[1] انظر: المرجع السابق نفسه، ص:387.

[2] ابن عادل الدمشقي: **اللباب**، 492/2. // الرازي: **مفاتيح الغيب**، 59/4.

[3] انظر: الشعراوي: **تفسير الشعراوي**، 3464/6.

[4] انظر: الرازي: **مفاتيح الغيب**، 109/12. // وانظر: المسيري: **دلالات التقديم والتأخير**، ص:329.

السلام- لما ذكر الرزق، لم يقف عليه، بل انتقل من الرزق إلى الرازق فقال: "وَأَنْتَ خَيرُ الرَّازِقِينَ".

4. حينما قال عيسى -عليه السلام-: "رَبَّنَا" ابتدأ بذكر الحق، وقوله: "أَنْزِلْ عَلَيْنَا"، فإن فيها انتقال من الذات -وذلك بذِكر أسمائه- إلى الصفات.

5. و"تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا": إشارة إلى ابتهاج الروح بالنعمة... من حيث أنها صادرة عن المُنعم.

6. "وَآيَةً مِنْكَ" أي دليل لأصحاب النظر والاستدلال.

7. "وَارْزُقْنَا" إشارة إلى حصة النفس.

بهذا الترتيب البياني قدم عيسى -عليه السلام- طلبه إلى ربه مثبتا العقيدة الخالصة من الشوْب، معلنا عبوديته لله وحده، مستعينا بالربوبية.

المطلب الثالث: البلاغة في دعاء يعقوب -عليه السلام-

أ- **قوله تعالى:** [إِنِ الحُكْمُ إِلَّا للهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُتَوَكِّلُونَ] {يوسف:67}.

تُحقق "الفاء" في قوله "فليتوكل" عدة أغراض وهي:[1]

1. تأكيد الاختصاص المدلول عليه، بتقديم المجرور، بإفصاحها عن شرط محذوف، فيكون في تأكيدها للتلازم بين الشرط والجواب، تأكيد للحصر.

2. دلت "عليه" بمعنى التعقيب فيها وهو المبادرة بإخلاص التوكل على الله.

3. دلالتها على الترتيب والتسبيب، فيكون ترتيب توكل المؤمنين على توكل المرسلين، مشعرا بضرورة الإقتداء والتأسي بهم في توكلهم، الذي يخصون به ربهم.

ب- قوله تعالى: [أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ] {يوسف:86}.

فقد عبّر يعقوب -عليه السلام- فقال: "بَثِّي وَحُزْنِي" والبثّ: "أشد الحزن الذي لا يصبر عليه صاحبه حتى يبثه، أي يشكوه، والحزن: أشد الهمّ"[2].

---

[1] انظر: الخضري: **من أسرار حروف العطف**، ص:134-135.

[2] السجستاني: **نزهة القلوب**، ص:43.

ولكي يصوّر يعقوب –عليه السلام– الحالة التي وصل إليها نتيجة فقده ابنه، عَطَفَ الحزن على البثّ؛ ليؤكد حزنه الشديد وليس بؤسه، فيعقوب –عليه السلام– لم يستخدم التعبير "بؤسي"؛ لأن النبي باعتباره بشرا يمكن له أن يحزن، لكن لا يمكن له أن ييأس، فاليأس لا يصل إلى قلوب الأنبياء، إنما كان حزن يعقوب –عليه السلام– أخف من درجة اليأس[1].

المطلب الرابع: البلاغة في دعاء نوح –عليه السلام–

[إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي] {هود:45}.

يمكن لنا أن نستدل على وجه تصدير الحكمة في هذا الدعاء بتساؤل لماذا لم يقل نوح –عليه السلام–: "ابني من أهلي" دون إيراد أداة التوكيد "إنّ"! مع العلم أن إيراد العبارة وفيها أداة توكيد واحدة، تُلقى للمخاطَبْ (بفتح الطاء) المتشكك.

والجواب والله –تعالى– أعلم: "أن نوحا تَنازعَهُ في هذا الموقف أمران: تحركت في نفسه النوازع البشرية... وعارضتها في الوقت نفسه طمأنينة الأنبياء، فكأن النوازع البشرية تساءلت: لماذا يُغرق الحق تعالى ابني وهو من أهلي... فردّ على هذه النوازع البشرية في نفس نوح طمأنينة الأنبياء، فكان الخبر "إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي" مؤكَّدا... إذن إن المتشكك ليس الحق تعالى، وإنما هو الجانب البشري في نفس نوح"[2].

المطلب الخامس: البلاغة في دعاء زكريا –عليه السلام–

[قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا] {مريم:4}.

من المعلوم أن الكلمة القرآنية لا يمكن أن يقوم مقامها أي لفظ آخر، بدعوى الترادف، والمتأمل لأدعية الأنبياء يجدها جميعها كذلك، فاللفظة القرآنية مقصودة لذاتها، لا يقوم مقامها أي تعبير آخر.

---

[1] انظر: القيسي: **الإعجاز اللغوي**، ص:89.

[2] المرجع السابق، ص:145–146.

فإن زكريا –عليه السلام– بهذا الدعاء، قد اتصل قلبه مباشرة بالله شوقا ومودة وإيمانا "رب..." كأنما ليس لدى زكريا وقت لنطق "يا" وإيمانه برحمته وقدرته... تجعله يهتف بأوجز الدعاء: "رب" إِنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي واختار من أسماء الله الحسنى كلمة "رب"، وهو الاسم الذي يدل على رعاية الله عز وجل.. ورحمته بخلقه وتدبيره...[1].

أما قوله: [إِنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي]، فما سر هذا التركيب؟

من المعروف أن "إنّ" تفيد التوكيد... وإذا أضيفت إلى ياء المتكلم تدل على حرص المتكلم على تأكيد كلامه... واختيار كلمة "العظم" بهذه الصيغة... يدل على الحديث عن الجنس، لا على عظم معين في الإنسان... فإذا أشد ما بني من الجسد وآخر ما يبلى منه قد أصابه الوهن، فقد أصبح الجسد كله واهنا[2].

وقوله [وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا] فإن هذه اللفظة في أعلى مرتبة من الفصاحة، والاشتعال في الأصل: "من اشتعال النار"[3].

يقول الشوكاني عن وجه البلاغة في الاشتعال حيث "شبه به انتشار بياض شعر الرأس، في سواده، بجامع: "البياض والإنارة"، ثم أخرجه مخرج الاستعارة[4] بالكناية[5]، بأن حذف المشبه به وأداة التشبيه، وهذه الاستعارة من أبدع الاستعارات وأحسنها"[6].

المطلب السادس: البلاغة في دعاء أيوب –عليه السلام–

[أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ] {الأنبياء:83}

لقد دعا أيوب –عليه السلام– متخيرا لمناجاة ربه ألطف الكلمات، فذكر "مسني" والمسّ

---

(1) انظر: أبو عودة: **شواهد في الإعجاز**، ص:376.

(2) انظر: المرجع السابق نفسه، ص:377–378.

(3) ابن منظور: **لسان العرب**، 354/11.

(4) الاستعارة هي ادعاء معنى الحقيقة في الشيء؛ للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البين. // انظر: المناوي: **التعاريف**، ص:58.

(5) الكناية هي أن تتكلم بشيء وتريد غيره. // انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، 233/15.

(6) الشوكاني: **فتح القدير**، 321/3.

هو "جس الشيء باليد"[1] مع أن نبي الله أيوب –عليه السلام– ضُرب به المثل، لصبره على البلاء، إلا أنه حين دعا جاء بتعبير دقيق وبليغ، لا يصلح أن يكون مكانه أي لفظ آخر، فعبّر وكأن المرض لم يهدّه، إنما مسّه دون ترك لأي أثر للأذى.

ثم ذكر كلمة الضُرّ "بالضم"، والتي تشير إلى الضرَرْ في النفس من مرض وهزال، ولم يذكر الضَّر "بالفتح"، وهو الضرر في كل شيء، فذكر من نفسه ما يوجب الرحمة، وذكر ربه بغاية الرحمة[2].

في نهاية هذا المبحث، وبعد أن وقفنا على بعض المعاني المقصودة في أدعية الأنبياء، تبين لنا صلابة الأدعية في معناها ومبناها، وأنها خصت بجوامع الكلم، وبدائع الحكم، وخلت من الخطأ مما يوحي لنا بضرورة اتخاذهم قدوة، في اختيار جوامع الكلم في دعائنا، وتخيّر أكمل الكلام وأتمه في الدعاء.

---

[1] ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة**، 271/5.

[2] انظر: الزمخشري: **الكشاف**، 131/3.

المبحث الثامن

التوسل بأسماء الله الحسنى

إن من صفات دعاء الأنبياء، التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى. والتوسل من "وسل فلان إلى الله وسيلة، إذا عمل عملا تقرب به إليه... والواسل الراغب إلى الله"[1].

وأما الوسيلة فهي "القربة إلى الله –تعالى–"[2] قال تعالى: [أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ] {الإسراء:57}.

وقد أمر الله –عز وجل– عباده بالتوجه إليه، ودعائه بأسمائه الحسنى، فقال: [وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا] {الأعراف:180}.

وعلى ذلك، فقد امتثل الأنبياء لهذا الأمر، وتوسلوا وتقربوا إليه بأسمائه وصفاته؛ لذا نجد أنهم إذا توجهوا لحاجة أو مسألة، قدّموا أسماءه الحسنى وصفاته، وإذا خضعت قلوبهم وتعبدوا إلى الله، قدموا كذلك أسماءه الحسنى، وما ذلك إلا لأنهم فهموا معانيها ومدلولاتها وآثارها على حياتهم، فتعبدوا الله بها، فهم متصرفون بين أسماء الله وصفاته، دائرون بين متعلقاتها، "فكل مخلوق مهما دقّ حجمه أو عظم شأنه، وجوده له علة مرتبطة بأسماء رب العزة والجلال، وما دلت عليه من أوصاف الكمال... وأعلى هذه الغايات أن يُعبد ويُعرف بأسمائه وصفاته وأفعاله وآياته، وأن يُحبّ ويُدعى ويُشكر ويُذكر، فالله له الكمال في أسمائه وأوصافه وأفعاله"[3].

وقد بيّن ابن القيم، أن الدعاء بأسماء الله الحسنى يأتي على مرتبتين هما "دعاء ثناء وعبادة، ودعاء طلب ومسألة، فلا يُثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى، وصفاته العُلى، وكذلك لا يُسأل إلا بها"[4].

ومن تأمل أدعية الأنبياء يجد أنهم دعوا الله بأسمائه الحسنى قبل العطاء وبعده، وتوسلوا إليه بها.

---

[1] ابن منظور: **لسان العرب**، 724/11.

[2] الزمخشري: **الكشاف**، 629/2.// وانظر: الجرجاني: **التعريفات**، ص:326.

[3] الرضواني: **أسماء الله الحسنى**، 12/5.

[4] ابن القيم: **بدائع الفوائد**، 171/1–172.

لذا فإننا نجدهم في **دعاء العبادة** يوحدون الله بباعث العظمة والخشية، ونجدهم حين علموا أن الله الرحمن الرحيم العفو الحليم، لم يقنطوا من رحمة الله أبداً، فسألوه المغفرة، كحال آدم حين أخرجه إبليس من الجنة، فكان الفرج والمخرج في أسمائه الحسنى التي تناسب حاله، فعلّمه ربه كلمات، هي أسماء وصفات لله، بأن يدعو باسمه التواب الرحيم، [فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ] {البقرة:37}، وقد تعلّمها ودعا الله بها [رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ] {الأعراف:23}.

وحين عرف الأنبياء أن الله عزيز جبار قهّار، اهتزت قلوبهم خوفا، واستعاذوا بالله واستغاثوا به من إقدامهم على العصيان، فقد استعاذ يوسف –عليه السلام–: [قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي] {يوسف:23}، واستغاث موسى –عليه السلام–: [قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الغَافِرِينَ] {الأعراف:155}.

وهكذا كان لكل اسم وصفة لله معنىً وأثراً في حياتهم وتعبدهم[1].

وأما **دعاء المسألة** فإن له حظا من أسماء الله الحسنى؛ لذا لازمت هذه الصفة مسألة الأنبياء وحاجتهم.

إن مدح الخالق قبل سؤاله بذكر أسمائه وصفاته وأفعاله، يُعد أساسا متينا في دعاء المسألة، والمادح هو المستفيد من ثنائه ومدحه، أما رب العزة والجلال، فهو غني عن مدح العالمين[2].

لذا كان لكل اسم من أسماء الله الحسنى مذاق خاص في مسألة الأنبياء وطلبهم من خالقهم، لأنهم بفحوّى هذه الأسماء آمنت قلوبهم أن الله هو الغني الذي لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية وأن رحمته وسعت كل شيء وأن الأمر جميعه يرد إليه.

عاش الأنبياء مع أسماء الله الحسنى في كل جوانب حياتهم، فظهرت آثارها على دعائهم لذا نجدهم حين سألوا الله تعلقت مسألتهم بأسمائه سبحانه.

---

[1] انظر: الرضواني: **أسماء الله الحسنى**، 5/4-5.

[2] انظر: المرجع السابق، 19/4.

ومن ذلك ما جاء في دعاء زكريا –عليه السلام– [قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ] {آل عمران:38}، فهو يسمع دعاءه الخفي.

وما جاء من دعاء موسى –عليه السلام– [كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا(33) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا(34) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا(35)] {طه}.

ووجدنا نوحا –عليه السلام– يدعو باسم الله الفتاح وذلك بوصف الفعل [رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ(117) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(118)] {الشعراء}.

وكان لأسماء الله –عز وجل– حظ بدعاء الأنبياء، حتى بعد أن استجاب الله لهم وأعطاهم ما رجوه، نحو ما قاله إبراهيم –عليه السلام– [الْحَمْدُ للهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ] {إبراهيم:39}.

وقول يوسف –عليه السلام–: [رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ] {يوسف:101}.

من كل ما سبق نستخلص أن دعاء الأنبياء الذي يشمل حياتهم بجميع جوانبها لا يكون إلا بمقتضى الأسماء والصفات، التي ترتبط بها أحوالهم، ولأن الأمر والخلق إنما يصدران عن مقتضى أسمائه وصفاته سبحانه.

الفصل الرابع

آداب دعاء الأنبياء

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: "أدب الكلام" في الدعاء

المبحث الثاني: التضرع والخشوع في الدعاء والرغبة والرهبة

المبحث الثالث: إظهار الافتقار إلى الله

المبحث الرابع: الإسراع بالتوبة والإقرار بالذنب

المبحث الخامس: الاستمرار في الدعاء وعدم اليأس

المبحث السادس: الدعاء للمؤمنين في ظهر الغيب والاستغفار لهم

المبحث السابع: تخير الأوقات والأحوال والأماكن الفاضلة للدعاء

إن أخلاق الأنبياء أفضل الأخلاق، وإن آدابهم أفضل الآداب، فهم أهل السَمْت والمروءة، والأخلاق النبيلة، والصفات الشريفة.

ولما كان الدعاء هوالصلة بين الأنبياء وربهم، واتصف بما ذكرنا من صفات قائمة بذاته، لا تنفك عنه، كذلك كان للأنبياء أدب للمثول أمام الجبار وكان لهم فيه منهج لإصابة مواقع الخطاب مع الله عز وجل، وتحسين ألفاظه، لأنهم على علم يقيني بمن يدعون، لذا نجد الكثير من المستحسنات في دعاء الأنبياء باختلاف المواقف.

وقد تعددت هذه الآداب، وذكر العلماء كثيرا منها، وسأورد في هذا الفصل بعضا منها، رجاء أن أقف على بعض الآداب التي تأدب بها أنبياء الله حين توجهوا لله بالدعاء.

وقد قسمت هذا الفصل إلى سبعة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول

"أدب الكلام" في الدعاء

أما في اللغة فالأدب هو "الظُرف[1] وحسن التناول"[2]، وهو ما "يتأدب به الأديب من الناس، وسمي أدبا لأنه يأدب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح، وأصل الأدب الدعاء"[3].

أما الأدب في الاصطلاح فقد قال ابن القيم: إنه "اجتماع خصال الخير في العبد"[4].

والأدب عند الجرجاني "معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ"[5].

وقد سلك الأنبياء طريق الأدب مع خالقهم، حين ناجوه وسألوه، فنراهم عبدوه عبادة لا تشوبها نقيصة، ولم تلتفت قلوبهم إلا لله وحده، كما أن إرادتهم لم تتعلق إلا بما عنده سبحانه من كل خير.

يقول ابن القيم: "إن الأدب مع الله على ثلاثة أنواع:

---

[1] تعني: اجتماع عامة الفضائل النفسية والبدنية والخارجية. // انظر: السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين (ت:911هـ): **معجم مقاليد العلوم**، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة. ط(1). القاهرة: مكتبة الآداب. 1424هـ-2004م، 208/1.

[2] ابن منظور: **لسان العرب**، 206/1.

[3] المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها.

[4] ابن القيم: **مدارج السالكين**، 375/2.

[5] الجرجاني: **التعريفات**، ص:29.

أحدها: صيانة معاملته أن يشوبها بنقيصة.

الثاني: صيانة قلبه أن يلتفت إلى غيره.

الثالث: صيانة إرادته أن تتعلق بما يمقتك عليه"[1].

وخير من تأدب مع الله سيد ولد آدم –عليه السلام– رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقد وصف الله أدبه قائلا [مَا زَاغَ البَصَرُ وَمَا طَغَى] {النَّجم:17}.

قال الشوكاني: "وفي هذا وصف أدب النبي –صلى الله عليه وسلم– في ذلك المقام، حيث لم يلتفت، ولم يُمل بصره، ولم يمده إلى غير ما رأى، وقيل ما جاوز ما أُمر به"[2].

ثم يعرض –سبحانه– أدب نبينا –صلى الله عليه وسلم– في كلامه [فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ] {آل عمران:159}، "والفظّ: الغليظ، والمراد به ههنا غليظ الكلام"[3] وكذلك كان الأنبياء أكمل الناس أدبا في كل مجالات حياتهم، كما كانوا في الدعاء أيضا، لأنه أساس الصلة بينهم وبين الله، وكثيرا ما نجد توجيهات ربانية توصي بضرورة الأدب أثناء الكلام، قال تعالى: [وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا] {البقرة:83}، فينبغي أن نتأدب مع الله عند مناجاته، من باب أولى.

"والقرآن الكريم أفضل دستور، يُعلّم كل راغب أو طالب، أصول الأدب في الحديث والخطاب، فهو يرشد إلى التباعد عن لغو القول... ويأمر بطيب القول، ويجعله تابعا للأمر بتقوى الله، قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا] {الأحزاب:70}"[4].

وقد التزم الأنبياء حسن الأدب في مواقف الطلب والسؤال، ومن يتأمل أحوالهم مع الله، يجدها قائمة بالأدب.

ومن مظاهر أدب الكلام في دعاء الأنبياء ما يأتي:

---

[1] ابن القيم: **مدارج السالكين**، 376/2.

[2] الشوكاني: **فتح القدير**، 107/5.

[3] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، 421/1.

[4] الشرباصي، أحمد: **الموسوعة الشرباصية في الخطب المنبرية**، (5 مج)، ط(1416هـ–1995م). بيروت: دار الجيل، ج84/4.

المطلب الأول: نسبة الخير لله والشرّ للنفس

ومنه أدب الخليل –عليه السلام– حين **نسب الخير لله والشر لنفسه**، فقال متأدبا مع ربه مثنيا عليه: [الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ(78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ(79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ(80) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ(81) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (82)] {الشعراء}.

لقد اقتضى علوّ أدب إبراهيم –عليه السلام– مع ربه، قبل أن يدعوه بالمغفرة وموهبته الحكمة وإلحاقه بالصالحين، أن "ينسب المرض الذي هو نقمة إلى نفسه، والشفاء الذي هو نعمة إلى الله –جل شأنه– لمراعاة حسن الأدب مع الله"[1] حيث قال –عليه السلام–: [وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ] دون أن يقول "أمرضني" لأن كثيرا من أسباب المرض يحدث بتفريط من الإنسان في مطاعمه ومشاربه، مع أنه قال في الآيات التي قبلها [الَّذِي خَلَقَنِي] [وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي] فلما وصل للمرض، تأدب مع الله ونسب المرض لنفسه، ثم وصف ما يندر منه من بعض الصغائر بـــ "خَطِيئَتِي"[2]، أي بالخطيئة والتي هي بالحقيقة تؤدي إلى التكفير، وما ذاك إلا تواضعا منه – عليه السلام– وهو أدب آخر للخليل –عليه السلام–.

المطلب الثاني: الدعاء بالتلميح دون التصريح

نحو ما كان من موسى –عليه السلام– حين عبّر عن حاجته للطعام، بألطف ما يُسأل به، فقال بتلميح دقيق متأدبا بأدب الكلام والنبوة: [رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ] {القصص:24}، فلم يقل أطعمني أو إني جائع، بل سلك بأدبه إلى لطيف التعريض ودقيق التلميح.

كما أنا نلمس أدب الكلام في الدعاء، –بالتعريض لا بالتصريح– في دعاء أيوب –عليه السلام– [أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ] {الأنبياء:83}، "فكان في ذلك من حسن التلطف ما ليس في التصريح بالطلب"[3].

---

[1] الآلوسي: **روح المعاني**، 96/19.

[2] انظر: الزمخشري: **الكشاف**، 324/3–325.

[3] ابن جُزيّ: **التسهيل لعلوم التنزيل**، 31/3.

المطلب الثالث: تصدير الدعاء بـــ "اللهم"، "ربنا"، "ربِّ" دون أداة النداء

إذا أنعمنا النظر في أدعيتهم جميعا، وباختلاف صيغها، نجدها مصدّرة بقولهم: "اللهم، رب، ربنا"، **ونجد أنها لم تسبق بـــ"يا" والتي هي للتنبيه**، إلا في موضعين، وهما في مقام الشكوى، حيث شكا نبينا الكريم قومه لربه في اليوم الآخر [وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا] {الفرقان:30}. وكذلك شكواه لربه تخلف قومه عن الإيمان بقوله: [وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ] {الزُّخرف:88}[1]. "يعبّر عن ألمه من عناد الكفار ويأسه من إيمانهم"[2].

ولا إخالُ حذف الياء إلا للإشعار بالقرب من الله، وللإيحاء أنْ لا واسطة بين الله والأنبياء –وكل من يحذو حذوهم–.

ولئن أرجعنا البصر كرّة أخرى في كتاب الله، نجد أن الله –تعالى– يعلّم نبيه أدبا ربانيا؛ ليسلكه حين يدعوه ويتوجه إليه، مصدّرا دعاءه بصيغة "اللهم"، فهي تتضمن وافر الأدب، وهي دعاء أهل الجنة [دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ] {يونس:10}. لذا أمره قائلا: [قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ] {آل عمران:26}، وقال أيضا: [قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ] {الزُّمر:46}، ثم يعرض لنا القرآن أن هذه الصيغة قد تأدب بها عيسى –عليه السلام– قائلا: [اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ] {المائدة:114}.

المطلب الرابع: تقديم طلب الدين على الدنيا، والاستغفار على الاستيهاب

ومن أدب الكلام عند الأنبياء حين توجهوا بالدعاء **تقديم طلب الدين على الدنيا، والاستغفار على الاستيهاب.**

---

[1] انظر: ابن الجوزي: **زاد المسير**، 334/7.

[2] درزوة: **التفسير الحديث**، 234/5.

ومنه دعاء سليمان –عليه السلام– حين دعا [رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ] {ص:35}، فقد قدم سليمان –عليه السلام– طلب المغفرة من الله قبل أن يطلب المُلك.

قال أبو السعود: "وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بأمر الدين جريا على سنن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام"[1].

ومن هذا القبيل دعاء عيسى –عليه السلام– ردا على طلب الحواريين بإنزال المائدة قال تعالى: [قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيرُ الرَّازِقِينَ] {المائدة:114}.

والأنبياء يقتدون بسنّة بعضهم بعضا؛ لأن دينهم ودعوتهم ورسالتهم واحدة، وتربيتهم الربانية واحدة، كما أن أدبهم في الكلام واحد، فحين طلب عيسى إنزال المائدة خالف ترتيبه للغرض من إنزال المائدة، ترتيب الحواريين.

ويعرض الرازي ترتيب عيسى –عليه السلام– لنتأمله فيقول: "إن الحواريين لما سألوا المائدة، ذكروا في طلبها أغراضا، فقدموا ذكر الأكل فقالوا: [نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا] {المائدة:113}، وأخرّوا الأغراض الدينية الروحانية، فأما عيسى فإنه لما طلب المائدة وذكر أغراضه فيها، قدّم الأغراض الدينية، وأخّر غرض الأكل، حيث قال "وَارْزُقْنَا"... ولمّا ذكر الرزق... لم يقف عليه، بل انتقل إلى الرزاق فقال "وَأَنْتَ خَيرُ الرَّازِقِينَ"[2].

وكما أن عيسى –عليه السلام– قدّم أمر الدين، فقد كان عارفا بالله تمام المعرفة، "فناداه بالاسم الكريم الدال على الألوهية والقدرة والحكمة... ثم باسم الرب الجامع لمعنى المُلك، من التدبير والتربية والإنعام"[3].

فمن الأدب مع الله، معرفة ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وهكذا كان عيسى –عليه السلام– فقوله " "ربنا" ابتداء منه بذكر الحق –سبحانه وتعالى– وقوله "أَنْزِلْ عَلَيْنَا" انتقل

---

[1] أبو السعود: **إرشاد العقل السليم**، 227/7.

[2] الرازي: **مفاتيح الغيب**، 109/12.

[3] المراغي: **تفسير المراغي**، 59/7.

من الذات إلى الصفات... وقوله "تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا" يشير إلى ابتهاج الروح بالنعمة، لا من حيث إنها نعمة، بل من حيث إنها صادرة عن المنعم"[1].

يقول المراغي: إن "من محاسن هذا الدعاء أنه أخّر ذكر الفائدة المادية للمائدة عن ذكر فائدتها الدينية الروحية، بعكس ما فعله الحواريون، إذ قدّموا الأكل على غيره من الفوائد الأخرى"[2].

المطلب الخامس: تقديم الثناء على الله قبل الشروع في الدعاء[3]

من أدب الأنبياء في الكلام تقديم الثناء على الله قبل الشروع بالدعاء.

فالثناء كلام جميل وذكر بالخير، للإشعار بتعظيم المخاطب، وقد يكون مقابل شيء فيُشكر، أو لا يكون، فيُحمد، ويُمدح بذكر صفاته –سبحانه–.

إن القرآن بمنهجه المنير، بيّن لنا أن الثناء على الله –تعالى– وتسبيحه وتمجيده، نهج الأنبياء وديدنهم وطريقتهم في الدعاء.

وإن الدعاء المقرون بالثناء خير من الدعاء الذي يخلو منه، لذا لم يخلُ دعاء أي نبي إلا وقدّم لدعائه، متأدبا بآداب المثول.

والناظر في دعاء الأنبياء يرى **مقامات عدة للحمد والثناء:**

أ- دعاء الله بأسمائه الحسنى:

لقد قصّ لنا القرآن الكريم على ألسنة الأنبياء الدعاء بأسمائه الحسنى، ومن ذلك ما قاله عن عيسى –عليه السلام– حين ختم دعاءه بأسمائه الحسنى قائلاً: [إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ] {المائدة:118}.

---

[1] الرازي: **مفاتيح الغيب**، 109/12.

[2] المراغي: **تفسير المراغي**، 59/7.

[3] ذكره الخطّابي: **شأن الدعاء**، ص:13. // الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت:505هـ): **إحياء علوم الدين**، (5مج)، (وبذيله: المغني عن حمل الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار للعلامة زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت:806هـ)، ط(1998م). مكتبة مصر، 365/1. // والغزالي، محمد بن محمد (ت:505هـ): **الدعوات المستجابة ومفاتيح الفرج**، (بلا معلومات نشر)، ص:69.

يُلحظ أن عيسى –عليه السلام– ذكر اسم الله "العَزِيزُ الحَكِيمُ" في مقام غفران الذنوب، وعدل عن قول "غفور رحيم"؛ وذلك لأن المقام، مقام غضب الرحمن –سبحانه– فلا يليق أن يذكر المغفرة لمن يكفر.

كما أن "الغفور الرحيم"، يوجب المغفرة والرحمة لكل محتاج، ولو قال "فإنك أنت الغفور الرحيم" لأشعر ذلك بكونه شفيعا لهم، فلما قال "فَإِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ" دلّ أن غرضه تسليم الأمر إلى مراد الله[1].

وأضاف ابن جُزيّ: "إن الحكمة تقتضي التسليم له، والعزة تقتضي التعظيم"[2].

ب– تقديم التوحيد والتسبيح قبل الدعاء:

ومن مقامات ثناء الأنبياء على الله –عز وجل– تقديم التوحيد والتسبيح نحو قوله –تعالى– آمرا نبيه: [سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى] {الأعلى:1}.

ذكر الماوردي وجوها حول معنى سبّح، منها "عظِّم ربك الأعلى... أو نزِّه اسم ربك عن أن يسمى به أحد سواه"[3].

وقال الله عن يونس –عليه السلام– حين دعاه: [لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ] {الأنبياء:87}، فقد قدم الوحدانية قبل الدعاء التي تشتمل على كل صفة كمال، وبكلمة التوحيد أمر نبيه –صلى الله عليه وسلم– فقال: [فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ] {التوبة:129}.

وقال عن عيسى –عليه السلام– حين رد قول النصارى من اتخاذه وأمه إلهين: [قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ] {المائدة:116}.

يقول السمعاني: "اشتغل أولا بالثناء عليه، والتنزيه، ونسبه إلى القدس والطهارة"[4].

---

[1] انظر: السمعاني: **تفسير القرآن**، 83/2. // وانظر: الرازي: **مفاتيح الغيب**، 114/12.

[2] ابن جُزيّ: **التسهيل لعلوم التنزيل**، 195/1.

[3] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت:450هـ): **النكت والعيون**، (6مج). تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم. بلا ط وسنة نشر. بيروت: دار الكتب العلمية، 251/6.

[4] السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار(ت:562هـ): **تفسير القرآن**، (6مج). تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. ط(1). الرياض: دار الوطن. 1418هـ–1997م، 82/2.

وقد ذكر الماوردي سببين في تقديم عيسى –عليه السلام– تسبيح الله وتنزيهه، قبل الدعاء وجوابه –عليه السلام– بـــ"سبحانك"، والسببين: [1]

أحدهما: "تنزيه الله عما أضيف إليه.

الثاني: خضوعا لعزته؛ خوفا من سطوته".

ج– تقديم الثناء عليه بذِكر صفاته سبحانه: كان الأنبياء يقدمون لدعائهم جميل أوصافه –سبحانه– ويذكرون من الصفات التي تدل على جلال عظمته وتفرده بالتصرف والتدبير والخلق والإماتة.

وقد أخبرنا القرآن قاصّا دعاء يوسف –عليه السلام– [رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ المُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ] {يوسف:101}، فهذا ثناء على الله بما هو أهله، من صفات التفرد، وإن يوسف – عليه السلام– حين دعا بهذا الدعاء بدأ فيه بإسناد العطاء إلى الله، ونسب الفضل إليه في أهم نعمتين: نعمة المنصب والسلطان، ونعمة العلم والمعرفة... ثم أثنى عليه بأنه خالق السماوات والأرض من غير مثال سابق، وأكد اعتماده عليه، فهو وليّه وناصره.

وبعد هذا الثناء والأدب، ابتهل إليه ودعاه أن يحفظ له إسلامه، حتى يتوفاه الله، وأن يلحقه بالصالحين[2].

كذلك قال حاكيا عن شعيب –عليه السلام– [وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الفَاتِحِينَ] {الأعراف:89}، وعن إبراهيم –عليه السلام– [رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ] {إبراهيم:38}.

د– تقديم الحمد والشكر على النعم والعطاء:

ومن ثناء الأنبياء على ربهم تقديم الحمد والشكر على النعم والعطاء، فهذا أبو الأنبياء –عليه السلام– يدعو ربه ليمنّ عليه بالذرية الصالحة، ويقدّم لدعائه حمداً وثناء لله –جل شأنه–

---

[1] الماوردي: **النكت والعيون**، 88/2.

[2] انظر: الخالدي، صلاح: **القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث**، (4مج)، ط(1). دمشق، بيـــروت: دار القلـــم. 1419هـــ–1998م، 244/2–245.

شأن العبد الصالح يذكر فيشكر[1]، فيقول: [الحَمْدُ للهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ] {إبراهيم:39}.

ونحو ذلك أدب سليمان –عليه السلام– حيث قال: [رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ] {النمل:19}.

كما أن الحق سبحانه حث نبيه بتقديم الحمد قبل الدعاء قائلا له: [وَقُلِ الحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا] {الإسراء:111}، وقوله: [قُلِ الحَمْدُ للهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى] {النمل:59}.

هـ– تقديم التوبة والإقبال على الله بكُنه الهمّة:

أما آخر ما نبينّه من الآداب في كلام الأنبياء –في معرض الثناء على الله– هو ما سمّاه العلماء[2]: الأدب الباطن، والأصل الأصيل في الإجابة، وهو التوبة والإقبال على الله بكُنْه الهمة.

إن تقديم التوبة أمام الدعاء هو أدب نبوي كريم، قال تعالى حاكيا عن آدم –عليه السلام– [رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ] {الأعراف:23}، وعن موسى –عليه السلام–: [رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ] {الأعراف:151}، وعن سليمان –عليه السلام– [رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا] {ص:35}.

إن من الآداب المهمّة وأسباب القبول العظيمة، أن يسبق الدعاء توبة من الذنوب، حيث يقرّ العبد بذنبه، ويعترف بتقصيره، ويندم على تفريطه، وقد كان الأنبياء يرغبون أممهم ويحثونهم على التوبة، ويبينون لهم أن ذلك سبب من أسباب إجابة الدعاء فقال تعالى حاكيا عن نوح –عليه السلام–: [فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا] {نوح:10}[3].

وقد قدم الأنبياء توباتهم أمام دعائهم تقربا لله وثناء عليه، وذكرا حسنا لله، تقديسا وتنزيها له عن الشريك، حمدا وشكرا لنعمه وعطائه، متأدبين بأدب الكلام في دعائه سبحانه، وإنه

---

[1] انظر: قطب: **في ظلال القرآن**، 173/5.

[2] انظر: الغزالي: **الإحياء**، 398/1.// وانظر: الزبيدي: **إتحاف السادة**، 41/5. // الحليمي: **المنهاج**، 530/1.

[3] انظر: البدر: **فقه الأدعية**، ص:161–162.

يتوجب علينا أن نعكف على هذه الآداب الربانية، نستمد منها نهج دعائنا وأدبه؛ لنكون بذلك ممن اهتدى بهدي الأنبياء؛ لما في الثناء من فضل وذلك أنه من أسباب الإجابة[1].

ومن الآيات الشاهدة على هذا الكلام قوله –سبحانه– في تعليل نجاة يونس من بطن الحوت: [فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ(143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(144)] {الصَّافات}.

فعلى كل داع إلى الله أن يثني عليه –سبحانه– بما هو أهله، فإنه حريّ بأن يستجاب له بإذن الله تعالى.

المطلب السادس: خفض الصوت عند الدعاء:[2]

ومن أدب الكلام عند الأنبياء خفض الصوت عند الدعاء والإسرار به دون الجهر.

وبالنظر في آيات الدعاء، نجد الاهتمام بهذا الأدب، فقد حث عليه سبحانه بقوله: [ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً] {الأعراف:55}، وقوله: [وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الجَهْرِ مِنَ القَوْلِ بِالغُدُوِّ وَالآصَالِ] {الأعراف:205}.

قال الماوردي: الدعاء خفية: "إخلاص القلب"[3].

إن إخفاء الدعاء عند الأنبياء جاء تحقيقا لأمر الله في قوله تعالى: [ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً] {الأعراف:55}، وهذا الأمر "يتناول نوعي الدعاء، لكنه ظاهر في دعاء المسألة متضمن دعاء العبادة ولهذا أمر بإخفائه وإسراره"[4].

وقد راعى الأنبياء هذه السنة، مع أن الجهر والإخفاء عند الله سيّان، إلا أن الإخفاء أولى، لأنه أبعد عن الرياء وأدخل في الإخلاص[5].

حيث إن المقام، مقام حاجة وافتقار، وطلب مسألة وذلّة، ولا يناسبه أن يكون مستعليا معتزا.

---

(1) انظر: ابن القيم: **الوابل الصيب**، 121/1.

(2) انظر: الغزالي: **الإحياء**، 393/1. // وانظر: ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، 15/15. // ابن القيم: **بدائع الفوائد**، 517/3.

(3) الماوردي: **النكت والعيون**، 231/2.

(4) ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، 15/15. // وانظر: ابن القيم: **بدائع الفوائد**، 517/3.

(5) انظر: الرازي: **مفاتيح الغيب**، 153/21.

وقد أثنى الحقُ –جل وعلا– على عبده زكريا –عليه السلام– وامتدح طريقته بالدعاء إذ كان قلبه خاشعا، متيقنا بوحدانية الله وربوبيته، لا جهارا ولا مراءاة، فقال: [ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا(2) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا(3)] {مريم}.

وقد ظهرت عناية ومحبة الله لزكريا–عليه السلام– إذ أمر النبي –صلى الله عليه وسلم– أن يذكره، ثم ذكر الله زكريا –عليه السلام– بأشرف الأسماء بقوله "عبده"، فوصفه بالعبودية تشريفا له، وإعلاما له بتخصيصه وتقريبه، فنسبه إلى نفسه، وهو أشرف النسب[1].

ثم جاء بصفة الدعاء كما أمر الله بها "خفيا" وهي "صفة مبالغة من خفي أي أنه بالغ في إخفاء دعائه فلا يعلمه قومه"[2].

ومن العلماء[3] من ذهب إلى أن لإخفاء الدعاء فوائد عظيمة، فإن إخفاءه أعظم إيمانا وأدبا وتعظيما، فلا تُرفع الأصوات بحضرة ملك الملوك، إذ إن الحق –تبارك وتعالى– يسمع الدعاء الخفيّ، فلا يليق بالأدب بين يديه إلا خفض الصوت.

كما أن خفض الصوت أبلغ في التضرع والخشوع وفي جمعية القلب على الذلة في الدعاء، لأن رفع الصوت يشتّتُه ويُفرقه، فكلما خفض صوته كان أبلغ في تجريد همته وقصده لله، وأدل على قرب صاحبه من خالقه، لا نداء البعيد للبعيد.

---

[1] انظر: ابن جُزيّ: **التسهيل لعلوم التنزيل**، 2/3.

[2] أبو زهرة: **زهرة التفاسير**، 4609/9.

[3] انظر على سبيل المثال لا الحصر: ابن عطية: **المحرر الوجيز**، 4/4. // وانظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 153/21.// ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، 15/15–16.// ابن القيم: **بدائع الفوائد**، 517/3–518.

المبحث الثاني

التضرع والخشوع في الدعاء والرغبة والرهبة[1]

لم يزل ديدن الأنبياء أن يتضرعوا ويخشعوا بدعائهم، يرغبون به إلى الله ويرهبون منه سبحانه [وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا] {الأنبياء:90}، وقال تعالى في شاهد آخر: [ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً] {الأعراف:55}.

قال القرطبي: "هذا أمر بالدعاء، وتعبد به، ثم قرن جلّ وعزّ بالأمر صفات تحسن معه، وهي الخشوع والاستكانة والتضرع"[2].

وقال الرازي: إن المقصود من ذكر التضرع، الحالة الأصلية المطلوبة من الدعاء. فالتضرع عنده إظهار ذلّ النفس في معرض السؤال[3].

كما ذكر الأصفهاني أن "استعمال الخشوع فيما يوجد على الجوارح"[4].

وذلك خلاف ما ذكرته عائشة بنت الشاطئ[5] أنه "من أفعال القلوب، وأنه إذا خشع الصوت أو خشع الوجه، أو البصر، فإنما يكون ذلك من خشوع القلب"[6].

أما الأصفهاني فقد عدّ "الضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب، ولذلك قيل فيما رُوي إذا ضرع القلب، خشعت الجوارح"[7].

---

[1] ذكره: الخطّابي: **شأن الدعاء**، ص:13. // وانظر: الغزالي: **الإحياء**، 397/1.// المقدسي: **الترغيب في الدعاء**، ص:12.

[2] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، 223/7.

[3] انظر: الرازي: **مفاتيح الغيب**، 106/14.

[4] الأصفهاني: **المفردات**، ص:148. // وانظر: ابن الجوزي: **نزهة الأعين**، 277/1.

[5] هي عائشة عبد الرحمن، باحثة مفكرة وكاتبة، ولدت سنة1913م، ابنة لعالم أزهري، وحفيدة لأجداد من علماء الأزهر، تدرجت في المناصب الأكاديمية إلى أن أصبحت أستاذا للتفسير والدراسات العليا، تركت وراءها ما يربو على الأربعين كتابا، منها: التفسير البياني للقرآن، توفيت سنة1999م. // انظر: القصة السورية: www.syrianstory.com/b.alchty.html

[6] بنت الشاطئ، عائشة بنت عبد الرحمن (ت:1999م): **الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق**، ط(3). القاهرة: دار المعارف. بلا سنة نشر، ص:227.

[7] الأصفهاني: **المفردات**، ص:148.

يتبين لنا من خلال ما سبق أن هذا الأدب فيه إظهار للفقر والحاجة لله، وذلّ للنفس في معرض السؤال والطلب، سواء أكان محله القلب أم الجوارح، وأن ثمرته: خضوع وحضور في القلب، وخشوع وسكون في الجوارح.

لقد كان من منهج القرآن الحكيم ترسيخ هذا المبدأ، بعد أن حثّ على التأدب به، وحذّر من عدم التضرع، وعدّه اعتداء.

كما بيّن في شواهد أخرى ذمّ الله للكافرين، إذ لم يردّهم الابتلاء بالمصائب والشدائد عمّا كانوا فيه من الكفر والمخالفة، بل استمروا على غيّهم وضلالهم، وما خشعوا، فقال تعالى [وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ] {المؤمنون:76}[1].

وفي المقابل من هذا التحذير، فقد بيّن الله تعالى مظاهر هذا الأدب الرباني في شواهد عديدة في سياق الثناء على الخاشعين، منها ما بينه –سبحانه– من أن الخاشعين هم من وجلت قلوبهم، فأسدى لهم البشرى قائلا: [وَبَشِّرِ المُخْبِتِينَ(34) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ (35)] {الحج}، وأنهم من اقشعرت جلودهم، فقال: [اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ] {الزُّمر:23}، وأنهم من فاضت أعينهم بالدمع [وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا] {الإسراء:109}، وقد امتدح الله أنبياءه أنهم يبكون من خشيته، فقال: [إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا] {مريم:58}، وأنهم من لانت قلوبهم وجلودهم وتزودوا ببرد اليقين فقال: [ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ] {الزُّمر:23}. وأنهم من سكنت قلوبهم، عند اضطرابها من شدة المخاوف، فخشعت جوارحهم[2].

يقول السيد العفاني: إن الدعاء يظهر فيه "الذلّ والخضوع لله –عز وجل– فمما يظهر فيه من الذل... افتقار القلب في الدعاء وانكساره لله –عز وجل– واستشعاره شدة الفاقة إليه والحاجة لديه... ومن ذلك إظهار الذل باللسان في نفس السؤال والدعاء والإلحاح فيه"[3].

وقد سلك الأنبياء سبيل التضرع والخشوع في الدعاء، وأظهروا الفاقة والافتقار إلى الله، وسألوه بعزّ ربوبيته، وذل عبوديتهم فمن هذه الأدعية الخاشعة ما توجه بها موسى –عليه

---

[1] انظر: ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، 252/3.

[2] انظر: العفاني: **صلاح الأمة**، 602/5–604.

[3] المرجع السابق نفسه، ص:601.

السلام- ضارعا لربه، صادقا في رغبته، خائفا عذابه وسخطه، حين أهلك الله السبعين من قومه حيث قال مستعطفا ربه: [رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الغَافِرِينَ] {الأعراف:155}، وقال ضارعا من قبل [رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ] {القصص:24}.

ومنها ما كانت من دعوة تُلمح فيها الضراعة، وذلّ النفس، وإظهار الفاقة، والتي خشع بها لسان أيوب -عليه السلام- وجوارحه، وخضع بها قلبه قائلا: [أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ] {الأنبياء:83}، وقول يعقوب -عليه السلام- حين ابتلي بفقد أبنائه إذ قال: [فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا] {يوسف:83}، ودعوة ذي النون -عليه السلام- إذ دعا بـــ: [لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ] {الأنبياء:87}.

إن ما سبق، يدعونا أن نتخلق بهذا الأدب، وأن نكسب حظا منه؛ ليورثنا وجلا في القلب، وطمأنينة وسكينة، ومغفرة لذنوبنا، وإجابة لدعائنا.

المبحث الثالث

إظهار الافتقار إلى الله

إن من أبرز العبادات التي يظهر معها الافتقار إلى الله، هي عبادة الدعاء، وإن من أعظم الآداب التي تصاحب الدعاء إظهار العبد افتقاره واحتياجه لله، مع يقينه أن الله مستغنٍ عن العباد، وقد قيل: "إذا صح الافتقار إلى الله –تعالى– صح الاستغناء به، وإذا صح الاستغناء به، صح الافتقار إليه"[1]، وهذا يشير إلى أن الافتقار إلى الله هو مقابل الاستغناء، فهما شيء واحد، فمن يفتقر إلى الله فهو مستغن به، حيث إن الفقر "فقدُ ما هو محتاج إليه"[2].

وعليه فقد بين الحق –سبحانه– أن الناس محتاجون إليه بكل سكناتهم وحركاتهم وجميع حياتهم دلّ على ذلك قوله –تعالى– في سورة فاطر: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ] {فاطر:15}، وفي هذا ترسيخ لقاعدة مهمّة في التعبد، وهي دوام الافتقار إلى الله، وقد بيّن العلماء جوانب هذا الافتقار فهماً من سياق هذه الآية، فقال القرطبي في بيان ذلك، أي: "المحتاجون إليه في بقائكم وكل أحوالكم"[3].

ويقول سعيد حوّى: "هم محتاجون إليه في كل نفس وخطرة ولحظة"[4]، وأعمق من هذا المعنى ما ذكره الزمخشري من "أنهم لشدة افتقارهم إليه هم جنس الفقراء"[5].

والناس في افتقارهم إلى الله على درجات متفاوتة، تتبع قوة إيمانهم، وإن أتمّ الخلق إيمانا وأكملهم هم الأنبياء؛ لذا نجد أنهم أشد افتقارا لله من غيرهم، لتمام معرفتهم بربهم، وقد أظهر الأنبياء افتقارهم في تعبدهم وتوكلهم واستعانتهم بالله، بل وفي كل سكناتهم وحركاتهم، فكانت ثمرته أن زادهم الله رفعة، ومكانة وعزة.

والمتأمل في الأدعية النبوية، يجدها تنطق بالافتقار والحاجة إلى الله، والتجرد إليه والتبرّي من الحول والقوة إلا به.

---

[1] ابن القيم: **طريق الهجرتين**، 84/1.

[2] المناوي: **التعاريف**، ص:562.// وانظر: الجرجاني: **التعريفات**، ص:216.

[3] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، 337/14.

[4] حوّى: **الأساس في التفسير**، 4585/8.

[5] الزمخشري: **الكشاف**، 615/3.

ومن مواطن الاستدلال على أدب الافتقار في حياة الأنبياء، ما أظهره موسى –عليه السلام– في دعائه حين توجه إلى الله بالدعاء، بدأ بشرح حاله إلى مولاه، بذلّ العبودية، مظهراً فقره لربه، معترفا بغناه، فإن نبي الله موسى –عليه السلام– "حينما خرج خائفا يترقب، فلما ورد ماء مدين وسقى للمرأتين، تولى إلى الظلّ الظليل... لم يُنسهِ ذلك الظلّ ظلاً أعظم... ورعاية أكمل، فلبس ثوب الفقر... وأعلن حالة المسكنة... [رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ] {القصص:24}، فقير إلى كرمك... فقير إلى حسن عطائك في الدنيا والآخرة، لقد لجأ الفقير إلى الغني الحميد... فسُمعتْ الدعوة... وأُغدقَ العطاء في طرفة عين... [فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ] {القصص:25}"[1].

كما أن موسى –عليه السلام– تجرد من قوته، وطلب القوة من الله، حين دعاه وأخوه هارون [رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى] {طه:45}، فإن شعور موسى –عليه السلام– بقوته لم يُنسهِ أن يستمد القوة من الله.

ومن أدب الأنبياء في إظهار الافتقار، ما ورد في شأن يوسف –عليه السلام– من تعرضه للفتنة، وثباته أمام المعصية [قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الجَاهِلِينَ] {يوسف:33}.

إن وجه دلالة إظهار افتقار يوسف –عليه السلام– ما يأتي:

إن يوسف –عليه السلام– ذو شخصية قوية بدلالة قول امرأة العزيز [وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ] {يوسف:32}، وهذا يدل على مبالغته بالاستعصام.

يقول الزمخشري: "والاستعصام بناء مبالغة، يدل على الامتناع البليغ، والتحفظ الشديد، كأنه في عصمة، وهو يجتهد في الاستزادة منها"[2].

ورغم شعور يوسف –عليه السلام– بعصمته، وملكه لنفسه، وقدرته على مجانبة المعصية، إلا أنه فزع إلى الله، وبيّن أن الله، هو الذي يصرف عنه كيد النسوة فقال: "وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ"، يقول راتب النابلسي إن يوسف –عليه السلام– "في أعلى درجات العفّة،

---

[1] الزهراني: **الله أهل الثناء والمجد**، ص:130.

[2] الزمخشري: **الكشاف**، 440/2. // وانظر: أبو حيّان: **البحر المحيط**، 305/5.

في أعلى درجات العزيمة والإرادة، ومع ذلك ما رأى عفته ذاتية، رأى عفته من الله عز وجل"[1].

ومن أدب الافتقار عند الأنبياء ما جاء في شأن إبراهيم –عليه السلام– الذي أثنى عليه القرآن باعتباره أباً للأنبياء، وأكرم الكرماء، وهو الذي ابتلاه الله فوصفه [وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى] {النَّجم:37} واختاره الله خليلا، وهو صاحب الثناء الحسن إلا أنه حين دعا الله أظهر افتقاره قائلا: [وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ(87) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ(88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ(89)] {الشعراء}، إن الخليل –عليه السلام– يخشى أن يعذبه الله ويخزيه يوم القيامة.

يقول الآلوسي في تأويل افتقاره لربه: أي لا تخزني "بتعذيب أبي... أو بمعاتبتي على ما فرطت، أو بنقص رتبتي عن بعض الورّاث، أو بتعذيبي"[2].

ويظهر افتقار الأنبياء، عند شرح حالهم لربهم، يدعونه بلسان الاضطرار، ومنه شكاية نوح –عليه السلام– قومه [قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا] {نوح:21}، وكذلك دعاء لوط –عليه السلام– : [رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى القَوْمِ المُفْسِدِينَ] {العنكبوت:30}، ومنه أيضا دعاء شعيب –عليه السلام– [رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الفَاتِحِينَ] {الأعراف:89}، فهذه حال من يتأدب بإظهار الذلّ والافتقار إلى الله، فإنه يدخل في عزّ الربوبية، وليس لأحد أن يستغني عن الافتقار إلى الله، فجميع الخلق محتاجون مفتقرون إليه –سبحانه– ولو كان ذاك لأحد، لكان للأنبياء من باب أولى، نسأل الله أن يغنينا بالافتقار إليه –سبحانه– إنه سميع مجيب.

---

[1] النابلسي، محمد راتب، درس "مدارج السالكين: الفقر، تفريغ: محمد وسام عودة، مراجعة: عفاف الجزائري، تنقيح: غسان السراقبي/ بتاريخ 1992/5/25/ -www.nabulsi.com/text/07 tarabia/2 madary/madar031 .040/madar04.doc

[2] الآلوسي: روح المعاني، 100/19.

المبحث الرابع

الإسراع بالتوبة والإقرار بالذنب

مهما عظمت ذنوب الإنسان فإن رحمة الله بعباده أوسع، تسع خطاياهم وتتجاوز عنها قال تعالى [إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ المَغْفِرَةِ] {النَّجم:32}.

إن أصل التوبة، الندم[1]، وفي الحديث النبوي "النّدَمُ تَوْبَةٌ"[2]، ويقصد فيها: "الرجوع من الذنب"[3].

وهي "الرجوع إلى الله بحل عقدة الإصرار عن القلب، ثم القيام بكل حقوق الرب"[4]، بل إن التوب أبلغ بكثير من مجرد الرجوع، لذا قال الراغب إن التوبة: "ترك الذنب على أجمل الوجوه وهو أبلغ وجوه الاعتذار"[5].

إن الناظر في كتاب الله –عز وجل– يدرك أهمية التوبة في حياة العباد، من خلال منهجه –سبحانه– في الترغيب فيها والحث عليها، وقد أوجبها الله –تعالى– على الفور فقال: [وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا] {النور:31}، ثم حثّ عليها وقرنها مع الاستغفار في مواضع مختلفة من كتابه منها قوله تعالى [وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ] {هود:90}.

ووعد بقبولها فقال: [وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ] {الشُّورى:25}.

وزاد بأن مدح من لم يصرّ على الذنب فقال –تعالى–: [وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا] {آل عمران:135}، فالتوبة واجبة على جميع البشر مهما بلغ من الاستقامة والتقوى.

---

[1] انظر: ابن سيده: **المخصص**، مج4، 95/13.

[2] الحاكم: **المستدرك**، كتاب التوبة والندم، الحديث:7613، 217/4، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه اللفظة. // وقال الألباني: صحيح لغيره. انظر: الألباني، محمد ناصر الدين (ت:1420هـ): **صحيح الترغيب والترهيب**، (3مج)، ط(5). الرياض: مكتبة المعارف. بلا سنة نشر، كتاب التوبة والزهد، 1–الترغيب في التوبة والمبادرة بها وإتباع السيئة الحسنة، الحديث:3147، 123/3.

[3] ابن منظور: **لسان العرب**، 233/1.

[4] الجرجاني: **التعريفات**، ص:95.

[5] الأصفهاني: **المفردات**، ص:76.

ويشير الدكتور فضل عباس[1] إلى أن لذكر هذه الصفة حكمة وبيانا، وهي أنه قد "يظن بعض الناس أن التقي معصوم عن أن يقع منه خطأ، وأن تكون منه زلّة، ولكن العصمة للأنبياء... والمُتقي، قد يزلّ، ولكنه بمجرد زلته، يذكر جلال الله وعظمته، ويذكر عفوه ومغفرته فيستغفر"[2].

وقال الغزالي "أن أهل الطاعة محتاجون إلى التوبة كما يحتاج إليها أهل الذنوب"[3]، فجميع البشر محتاجون إلى التوبة بمن فيهم أنبياء الله، وهي جهد لا بد أن يقوم به كل إنسان.

وأول من قام به هم الأنبياء تأدبا مع خالقهم، فما من زلة وقعت من الأنبياء، إلا وسارعوا إلى التوبة إلى الله بالحال؛ لأنهم عرفوا الحق، كما عرفوا ضرر الذنوب. فلم يصروا على ذنب، بل آبوا ورجعوا لله، مقدمين بتوباتهم أبلغ وأصدق صور الرجوع إلى الله.

وقد يقول قائل: كيف تقع الذنوب من الأنبياء، وعصمتهم[4] من مقتضيات نبوتهم؟ سأورد الإجابة على هذا القول على وجه الإيجاز، إذ ليس المقام مقام بحث في العصمة، إنما نقول ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية، من أن قول أكثر علماء الإسلام، وجميع الطوائف أن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر مع عدم الإصرار عليها[5].

وقد أوضح اللكنوي أن هذه الصغائر التي عُصم عنها الأنبياء هي الخسيسة منها، أما غير الخسيسة فهم عنها غير معصومين، مع الاتفاق على تجوزها بلا إصرار، سهوا أو غلطا أو

---

[1] فضل حسن أحمد عباس ولد عام 1350هـ في صفورية بفلسطين، درس في المدرسة الأحمدية في جامع الجزار في عكا، أكمل دراسته الجامعية في مصر، حفظ كتاب الله وهو دون العاشرة، يُعد حالياً من أحد العلماء المعدودين في علوم التفسير وعلوم اللغة، حرم أستاذنا نعمة البصر، فعوضه الله عنها نفاذ البصيرة وعمق الفكرة وحضور الذهن، وهو يعمل حاليا في جامعة اليرموك. http://tafseir.net/vb/showthread.php?t=2254

[2] عباس، فضل حسن: **خماسيات مختارة في تهذيب النفس الأمارة**، ط(2). إربد: دار الفرقان. 1418هـ-1997م، ص:42.

[3] الغزالي، محمد: **الجانب العاطفي من الإسلام**، بلا ط وسنة نشر. القاهرة: مطبعة حسان. ص:189.

[4] العصمة: مَلَكة إلهية تمنع من فعل المعصية، والميل إليها مع القدرة عليها. // انظر: مصطفى: **المعجم الوسيط**، 605/2.

[5] انظر: ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، 319/4. // وانظر: 289/10.

خطأ في الاجتهاد[1] أو وقعت قبل النبوة[2] وقد سارع الأنبياء بالتوبة والندم بأبلغ ما يقدم من اعتذار.

وذكر لنا القرآن الكريم "توبات أنبيائه مما وقعوا فيه من زلات سارعوا بالندم عليها، والتوبة والاستغفار منها، عسى الله أن يغفر لهم ويتقبل توبتهم"[3].

وقدوة التائبين، هو أبو البشر آدم –عليه السلام– بل وإن أدبه مع الله جعله يسرع في التوبة بمجرد أن بدت لهما سوءاتهما فقال تعالى: [فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ(22) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ(23)] {الأعراف}، إن آدم –عليه السلام– نسي وأخطأ... لكنه أدرك خطأه، وعرف زلته، فندم، وطلب العون من ربه والمغفرة، معترفا بخطئه وظلمه لنفسه[4].

وذكر لنا القرآن توبة نوح –عليه السلام– حين عاتبه ربه بطلبه إنجاء ابنه الكافر من الغرق، فما أن قال الله –تعالى– لنوح –عليه السلام–: [إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ] {هود:46}، حتى بادر بالتوبة عما قال وعزم على ألا يرجع لمثل هذا أبداً.

ويُستدل على توبة نوح –عليه السلام– الصادقة من خلال استعاذته: [إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ] {هود:47}، فإن هذا القول يقتضي إخباراً عما في المستقبل، أي كأنه قال لا أعود إلى هذا العمل، وهذا بحدّ ذاته عزم على الترك، ثم اشتغل بالاعتذار عما مضى، فقال: [وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الخَاسِرِينَ] {هود:47}، وهذا ندم على ما مضى[5].

كما ذكر القرآن توبة موسى –عليه السلام– في أكثر من موضع، وقد وقع منه ذنب قبل الرسالة، حين وكز رجلا من قوم فرعون فقضى عليه، حينها أسرع تائبا معترفا أنه من عمل

---

[1] انظر: اللكنوي، عبد العلي محمد بن نظام الدين محمد السهالوي الأنصاري (ت:1225هـ): **فواتح الرحموت بشرح مسلّم الثبوت لمحب الله بن عبد الشكور البهاريّ** (ت:1119هـ): (2مج). ضبطه: عبد الله محمود محمد عمر. ط(1). بيروت: دار الكتب العلمية. 1423هـ–2002م، 120/2.

[2] الميداني، حبنّكة: **العقيدة الإسلامية وأسسها**، ط(2). دمشق: دار القلم. 1399هـ–1979م، ص:385.

[3] القرضاوي، يوسف: **التوبة إلى الله**، ط(2). القاهرة: مكتبة وهبة. 1421هـ–2000م، ص:26.

[4] انظر: قطب: **في ظلال القرآن**، 483/3.

[5] انظر: الرازي: **مفاتيح الغيب**، 4/18–5.

الشيطان [قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ(16) قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ(17)] {القصص}.

ووقع منه هفوة بعد الرسالة حين [قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ] {الأعراف:143}، [فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ المُؤْمِنِينَ] {الأعراف:143}.

ولما رجع موسى –عليه السلام– وجد قومه قد عبدوا العجل، فغضب غضبا شديداً، وألقى الألواح التي فيها كلام الله، وهي حركة تدل على شدة الانفعال، وهو لا يلقيها إلا وقد أفقده الغضب زمام نفسه، وكذلك أخذ برأس أخيه... عندئذ تهدأ ثائرة موسى –عليه السلام– أمام بيان أخيه، وهنا يتوجه إلى ربه، ويحس أنه –وإن كان غضبه لله– فقد جاء بما لا يناسب مقامه ومكانته فتوجه لربه ضارعا خاشعا [قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ] {الأعراف:151}[1].

وذكر كذلك لنا القرآن عن بعض الأنبياء ممن وصفهم بكثرة التوبة، بل وسماهم أوّابين، وهم الذين يرجعون إلى التوبة والطاعة، أو الذين يذكرون ذنوبهم فيستغفرون الله منها[2].

فذكر القرآن لنا منهم داود –عليه السلام– الذي وصفه الله بأنه أواب، فقال: [وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ] {ص:17}، وكانت زلّة داود –عليه السلام– أنه تسرّع في الحكم، ولم يتثبت، واستجاب لداعي الانفعال، بمجرد أن سمع كلام أحد الخصمين، وظن داود –عليه السلام– أنها كانت فتنة له، حينها آب إلى الله [فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ] {ص:24}[3].

إن الأنبياء سارعوا إلى الاستغفار وكان ديدنهم، وما ذاك إلا من أجل "نيل أعلى الدرجات وأن يصير الدعاء سنة لمن بعدهم"[4].

---

[1] انظر: قطب: **في ظلال القرآن**، 643/3. // وانظر: القرضاوي: **التوبة إلى الله**، ص:27.

[2] انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، 219/1.

[3] انظر: القرضاوي: **التوبة إلى الله**، ص:29.

[4] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، 324/15.

وهكذا فإن "الأنبياء لا يُقرّون على الذنب، ولا يؤخرون في التوبة، فالله عصمهم من ذلك، وهم بعد التوبة أكمل منهم قبلها"[1].

[1] الأشقر: **الرسل والرسالات**، ص:111.

المبحث الخامس

الاستمرار في الدعاء وعدم اليأس

بالرغم من حالات الضيق الشديد، التي مر بها الأنبياء، لم تتوقف عجلة دعائهم، بل استمروا في الدعاء، ولم يغفلوا عنه في أي فترة من فترات دعوتهم، بل إنهم في كل لحظة وكل حركة، لجأوا إلى الله، فالعوائق عظيمة في طريقهم، لا منجى من تلك العوائق إلا باللجوء للواحد القهار.

وبما أن طريق دعوات الأنبياء كان طويلاً شاقاً حافلاً بالعقبات والأشواك، ومعاندة الظالمين، كان لا بد لهذه الطريق من صبر وجلد وسند يلتجئون إليه، وركن شديد يأوون إليه، لذا صاحبَ الدعاءُ والرجاءُ دعوة الأنبياء بمراحلها جميعا، فلم يقنطوا في دعائهم، ولم يقطعوا رجاءهم بالله، بل دعوه رجاء كما دعوه خوفا.

ومن هنا، فإن اليأس لم يجد طريقا إلى قلوب الأنبياء أبداً؛ لأن حاجتهم إلى الله لا تزال قائمة.

وإننا نستدل على هذا القول، من خلال تدبر آيات دعاء الأنبياء، وإنها بتعددها لتوحي أن الأنبياء لم يمسكوا عن الدعاء قطّ، ولم يستشعروا اليأس من رحمة الله، أو قطع رجائهم منه، فالله يقول على لسان يعقوب –عليه السلام– في سورة يوسف: [إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا القَوْمُ الكَافِرُونَ] {يوسف:87}.

وقد يقول قائل: كيف تتوافق هذه الآية مع قوله تعالى: [حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ القَوْمِ المُجْرِمِينَ] {يوسف:110}؟

نقول: إن الفهم الدقيق لمعنى كلمة "استيأس" يوضح أنه لا يأس عند الأنبياء.

ويقول الشيخ الشعراوي: "هناك فرق بين "يئسَ" و"استيأس"، فـ"يئس" تعني قطع الأمل من الشيء، و"استيأس" تعني أنه يلحّ على قطع الأمل.

أي: أن الأمل لم ينقطع بعد، ومَنْ قطع الأمل هو مَنْ ليس له منفذ إلى الرجاء، ولا ينقطع أمل إنسان إلا إن كان مؤمناً بأسبابه، المعزولة عن مسبِّبه الأعلى.

لكن إذا كان الله قد أعطى له الأسباب، ثم انتهت الأسباب، لم تَصِلْ به إلى نتيجة، فالمؤمن بالله هو من يقول: أنا لا تهمنّي الأسباب؛ لأن معي المسبِّب، ولذلك يقول الحق -سبحانه-: [وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا القَوْمُ الكَافِرُونَ] {يوسف:87}"[1].

نعم، قد تطول فترات الابتلاء، ومع هذا لا يجد اليأس طريقا إلى قلوب الأنبياء أو قطعا لرجائهم بالله، أو صلتهم الدائمة مع خالقهم.

فهناك الكثير من الأدعية التي تدلّ على بزوغ الأمل في ظلمات اليأس، نحو ما كان من نوح -عليه السلام- والذي لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وما يئس من رحمة الله، وهو يقارع أعداء الله، حتى أخبره الحق أنه لن يؤمن له إلا من قد آمن [وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ] {هود:36}.

وإن الناظر في قصة نوح -عليه السلام- يجد أدب الاستمرار في الدعاء، ويحسّ برجائه الذي لم ينقطع طوال هذه السنين.

ومن أمثلة أدب الاستمرار وعدم اليأس في دعاء الأنبياء، **الأمل** الذي نستشعره حين نقرأ سورة يوسف -عليه السلام- لنتعلم الأمل منهجا للحياة، أمل يعقوب -عليه السلام- في لقاء ولديه، فقد تعلق يعقوب -عليه السلام- بحبل الله المتين، وطمع في رحمته، حين طرد اليأس من قلبه، وذلك حين تعرض لفقد ولده الثاني قائلا غير يائس: [إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ] {يوسف:86}، بل إن عزيمته ويقينه بالله في اللقاء، والسكينة المفعمة بالأمل يملأ قلبه، ما دفعه إلى أن يبثّ الأمل في نفوس أبنائه قائلا: [وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا القَوْمُ الكَافِرُونَ] {يوسف:87}.

ومن الأمثلة الشاهدة على أدب الاستمرار وعدم الإمساك عنه، أدب موسى -عليه السلام- فإن مراحل حياته الدعوية، شاهدة تثبت استمراره بالدعاء، فقد كان من أهم عناصر

---

[1] الشعراوي: **تفسير الشعراوي**، 12/7136-7137.

التثبيت في طريقه الشائك مع فرعون "دوام اللجوء إلى الله –عز وجل– وسؤاله الثبات، والدخول عليه من باب الفقر والذل والانكسار والإكثار من الدعاء"[1].

وإننا في نهاية هذا الأدب نستخلص بعضا من الأمور التي تدل على الاستمرار في الدعاء وعدم يأس الأنبياء:

1. أن جميع الأنبياء لهم دعوات خاشعات موصولات بالله في مراحل مختلفة من مراحل دعوتهم، مما يدل أن الدعاء لا بد له من أن يكون السلاح المتين، الذي يستند إليه الأنبياء.

2. أن ما يُجلي استمرارهم في الدعاء وعدم اليأس، ما ورد في القرآن من أدعية تشغل مساحة لا بأس بها، إذ كل دعاء يمثل جانبا من جوانب الدعوة، بل إنه يمثل أهم جوانب حياة الأنبياء.

3. ثناء الله على كثير من الأنبياء، ثم بيان أنهم كانوا يسارعون في الخيرات؛ ليثبت أنهم لم ينقطعوا عن دعاء الله تعالى، قال الله تعالى: [إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ] {الأنبياء:90}.

4. إن اليأس من الدعاء، وعدم الاستمرار فيه هو في الحقيقة والنتيجة يلغي فضيلة الصبر على البأساء والضراء، التي هي من المرتكزات الأساسية في حياة الأنبياء.

5. نستوحي من استمرار الأنبياء في الدعاء وعدم اليأس منه، استغراق دعائهم جميع أحوالهم في اليسر والعسر، والرخاء والشدة، والغنى والفقر، والصحة والمرض.

---

[1] الهلالي، مجدي: **من ركائز الدعوة**، بلا ط وسنة نشر. دار البشير، ص:213.

المبحث السادس

الدعاء للمؤمنين في ظهر الغيب والاستغفار لهم

من الآداب التي نلحظها في دعاء الأنبياء أنهم حرصوا على الدعاء للمؤمنين بادئين بأنفسهم ثم والديهم. فإن الدعاء لهم من مقتضيات الأخوّة. وقد أثنى الله على المؤمنين الذي يدعون لمن قبلهم [وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آَمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ] {الحشر:10}.

يقول عبد الكريم الخطيب إن في هذه الآية "إشارة إلى تلك الوسيلة التي يتوسل بها المؤمنون اللاحقون، إلى أن ينتظموا في سلك المؤمنين من المهاجرين والأنصار، ذلك أنه إذ لم تكن هناك هجرة بعد فتح... فإنه بهذه المشاعر التي يرتبط بها المسلم بالمسلمين جميعا، وبهذا الدعاء يكون قد بذل من ذاته شيئا وقدم لإخوانه خيرا، واقتسم معهم ما يدعو الله به من رحمة ومغفرة، وبهذا... يكون أشبه بالأنصار، الذين آووا المهاجرين واقتسموا معهم أموالهم وديارهم"[1].

ويضيف السعدي أن هذا الدعاء "شامل لجميع المؤمنين... وهذا من فضائل الإيمان أن المؤمنين ينتفع بعضهم ببعض ويدعو بعضهم لبعض؛ بسبب المشاركة في الإيمان المقتضي لعقد الأخوة بين المؤمنين، التي من فروعها أن يدعو بعضهم لبعض... ولهذا ذكر الله في هذا الدعاء نفي الغل عن القلب... الذي إذا انتفى ثبت ضده، وهو المحبة بين المؤمنين والموالاة والنصح"[2].

إن ما يدل على أهمية الدعاء بظهر الغيب والاستغفار للمؤمنين والمؤمنات، حث الله على ذلك آمرا نبيه –صلى الله عليه وسلم– أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات فقال: [وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ] {محمد:19}.

والناظر في هذه الآية، يجد أن الله –تعالى– أمر نبيه –صلى الله عليه وسلم– أن يبدأ بنفسه أولا، ثم يستغفر بعدها لغيره، مما يدل أن هذه سنّة أرادها الله فأمر بها نبيه.

---

[1] الخطيب: **التفسير القرآني للقرآن**، 14/864-865.

[2] السعدي: **تيسير الكريم الرحمن**، 1/852.

ومن هنا ندرك أنه من حق المؤمن على أخيه المؤمن أن يدعو له ويستغفر له، بدافع رباط الأخوة.

كان هذا دأب الأنبياء، بل أدبهم؛ لأن الله –تعالى– هو الذي أدبهم به، لذا نجد أن نوحاً –عليه السلام– يستغفر فيبدأ بنفسه ثم يخص والديه، وقد كانا مسلمين ولمن دخل بيته فقال [رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا] {نوح:28}.

إن دعاء نوح –عليه السلام– يظهر أدبا من أجمل ما يتخلق به الأنبياء، وهو برّهم لوالديهم، ومع عِظم المسؤولية الملقاة على عاتق نوح –عليه السلام– في الدعوة، إلا أنه حرص على برّ والديه، فدعا لهما بالمغفرة ليُسطّر خُلقاً نبوياً وليكون قدوة لغيره.

يقول ابن عاشور: "جعل الدعاء لنفسه ووالديه خاتمة مناجاته، فابتدأ بنفسه ثم بأقرب الناس به وهما والداه، ثم عمم أهله وذويه المؤمنين، فدخل أولاده وبنوهم والمؤمنات من أزواجهم، وعبر عنهم بمن "دخل بيته"، كناية عن سكناهم معه، فالمراد بقوله "دخل بيتي": دخول مخصوص وهو الدخول المتكرر الملازِم... ثم عمّم المؤمنين والمؤمنات"[1].

وممن سنّ سنّة الدعاء في ظهر الغيب، فدعا للمؤمنين، الخليل –عليه السلام– فقد شمل دعاءه المؤمنين وامتد ليمد الأرض بإحلال الأمن فيها مخترقا السنين ليصل أثر دعائه المؤمنين إلى يوم القيامة، وذلك بأن يبعث إليهم النور الذي تهتدي به البشرية جمعاء، فدعا أولاً وقت أن نزل ذاك الواد القفر[2]، حيث لا مقومات للحياة فيه، فدعا أن يصبح بلدا آمنا قائلا [رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا أَمِنًا] {البقرة:126}، بحيث يجد مَنْ يقيم فيه، حاجاته ومتطلباته، وتكون وسائل الرزق فيه ميسرة.

كما أن دعاءه شمل طلب الأمن، بمعنى ألا يوجد في هذا البلد ما يهدد طمأنينة الناس على يومهم العادي، ووسائل رزقهم، وبعد أن صار المكان بلدا، جاء بدعوته لأمن خاص، للإنسان وللنبات وحتى الحيوان لا يُصاد فيه، كذلك لا تقطع شجرة حيث قال: [رَبِّ اجْعَلْ هَذَا

---

[1] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، 215/29.

[2] القفر: الخلاء من الأرض وجمعه قفار... وقيل القفر مفازه لا نبات بها ولا ماء.. وقد أقفرت الأرض من الكلأ والناس. // انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، 110/5.

البَلَدَ أَمِنًا] {إبراهيم:35}، فكان البلد كما طلب تماما بل وزيادة حيث قال الله: [وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ أَمِنًا] {آل عمران:97}.

ومن هنا كان دعاء إبراهيم –عليه السلام– الأول عاما، والثاني أكثر خصوصية[1].

كما أنه –عليه السلام– دعا بدعوته الخالدِ أثرها؛ ليعمّ ذريته، وينشر رحمته على عباده المؤمنين إلى يوم القيامة، وذلك بأن يبعث لهم رسولا يبلغهم منهج السماء فقال: [رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ] {البقرة:129}.

من خلال هذا الأدب نلحظ أن الأنبياء:

1. ابتدءوا الدعاء لأنفسهم قبل الدعاء لغيرهم، وهذا عين ما ورد عن نبينا الكريم –صلى الله عليه وسلم– فقد روى أبي بن كعب أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– "كان إذا ذَكَرَ أَحَدًا فَدَعَا له، بَدَأَ بِنَفْسِهِ"[2].

وإن هذا لهو دليل أن دعوة الأنبياء واحدة ومنهجهم كذلك.

2. لا يصحّ الدعاء للمشركين، بدليل منعه للأنبياء؛ ليثبت بالدليل أن الرابطة الحقيقية، هي رابطة العقيدة لا النسب، فلا أبوّة ولا بنوّة بدون إيمان.

3. أبرز الأنبياء بهذا الأدب خلقا يغفل عنه كثير من الناس عند الدعاء للغير، وهو الابتداء بالنفس، وذلك لأن النفس أحوج للدعاء والثواب.

4. حرص الأنبياء على هداية ذريتهم أو ذويهم وإنقاذهم من النار، وعدم التردد في التبرؤ منهم حين تظهر عداوتهم لله.

---

[1] انظر: الشعراوي: **تفسير الشعراوي**، 12/7563–7564.

[2] الترمذي: **سنن الترمذي**، كتاب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء أن الداعي يبدأ بنفسه، الحديث:3385، 5/463، وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح. // وقال الألباني: حديث صحيح. انظر: الألباني: **صحيح سنن الترمذي**، كتاب الدعوات، باب ما جاء أن الداعي يبدأ بنفسه، الحديث:3385، 3/390.

المبحث السابع

تخير الأوقات والأحوال والأماكن الفاضلة للدعاء

المطلب الأول: تخير الأوقات الفاضلة للدعاء

حين نتدبر آيات الدعاء فإننا نجد أن الله تعالى في منهجه الحكيم قد خص ذكر بعض الأوقات مقرونة بالدعاء أو بأحد أنواعه، وإن دل ذلك على شيء إنما يدل على أهمية تلك الأوقات، بأنها مظنة الإجابة.

وقد أمر الله أنبياءه بالذِّكر والتسبيح في تلك الأوقات، ومدح استغفارهم في بعضٍ أُخر، ومن هذه الأوقات الفاضلة، **الذِّكر والتسبيح بالعشيّ والإبكار**، فقد حث الله –تعالى–على الذِّكر والتسبيح بالعشيّ والإبكار، فقال آمرا زكريا –عليه السلام–: [وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ] {آل عمران:41}.

وبعد النظر في هذا الشاهد القرآني، نجد أن الله –تعالى– خص العشيّ والإبكار بالذكر الكثير والتسبيح.

ويقول الرازي في تحديد وقت الإبكار: أنه "عبارة عن أول النهار إلى النصف، والعشيّ عبارة عن النصف إلى آخر النهار، فيدخل فيه كل الأوقات"[1].

في حين ذكر الآلوسي أنه "عبّر بالطرفين وأريد بجميع الأوقات"[2].

ومنها ما أمر الله –تعالى– به نبيه –صلى الله عليه وسلم– فقال: [وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى] {طه:130}، وقوله: [وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ] {غافر:55}.

إن هذه دعوة من الله لنبيه الكريم "أن يجعل تسبيحه وذكره وحمده وشكره، غذاءه الذي يتغذى به في أوقات مختلفة من الليل والنهار"[3].

---

[1] الرازي: **مفاتيح الغيب**، 68/27.

[2] الآلوسي: **روح المعاني**، 77/24.

[3] الخطيب: **التفسير القرآني للقرآن**، 840/8.

وهكذا يظهر من الأدلة السابقة، أنه ينبغي الإكثار من التسبيح والذكر في هذين الوقتين، كناية عن دوام الذكر والدعاء في جميع الأوقات، وهذا ما أشار إليه الرازي في تفسيره أن "المراد منه المواظبة على ذكر الله، وأن لا يفتر اللسان عنه وأن لا يغفل القلب"[1].

ولقد بيّن الله من خلال الشواهد السابقة، الحكمة من الذكر في هذه الأوقات، ذلك بأنها تؤدي إلى طمأنينة القلب وراحة البال ويدلل على ذلك قوله تعالى لنبيه [وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى] {طه:130}.

يشير الرازي إلى أن المراد بالرضى هو على وجوه:[2]

أولها: "ويكون المراد إني أوصلك إلى درجة عالية في النعمة وهو إشارة إلى قوله [وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى] {الضُّحى:5}.

وثانيها: لعلك ترضى ما تنال من الثواب.

وثالثها: لعلك ترضى ما تنال من الشفاعة".

على أيٍّ كان المعنى الصواب، فإن أقله حصول الثواب والجزاء من الله والمرتبة العالية، وإن دل ذلك على شيء، فإنما يدل على عظم هذه الطاعات من التسبيح والثناء على الله في تلك الأوقات.

المطلب الثاني: تخير الأحوال الفاضلة للدعاء

تمر على الإنسان حالات يكون فيها أكثر إخلاصا في التوجه لله في الدعاء من غيرها، وقد ذكرنا سابقا، أن شرف الأوقات، يرجع لشرف الحالات، ومن الحالات التي ذكرها القرآن، ودعا بها الأنبياء، والتي هي مظنّة الإجابة، **حال الاضطرار والشدة**، فقد بيّن لنا القرآن الكريم في سورة الأنفال أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قد استغاث بالله عند التقاء الصفوف، وحين اشتد القتال، فوصفه ربه [إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ المَلَائِكَةِ

---

[1] الرازي: **مفاتيح الغيب**، 68/27.

[2] المرجع السابق، 116/22.

مُرْدِفِينَ(9) وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(10)] {الأنفال}.

كما صور القرآن الكريم الضيق الذي مر به يونس –عليه السلام– وهو في بطن الحوت، ولا إخال حالا أصعب من حال يونس آنذاك، وقد ذكره الله تعالى في معرض المدح، أنه في تلك الحال دعا بدعاء كان سببا في استجابة دعائه، حيث قال تعالى: [فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ(143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(144)] {الصَّافات}، إن الدعاء وقت الشدائد والكروب مجاب، حتى لمن هو خارج دائرة الإيمان، والله –تعالى– يجيب اضطرارهم، وفاء بحق ربوبيته، قال تعالى: [أَمَّنْ يُجِيبُ المُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ] {النمل:62}.

المطلب الثالث: تخير الأماكن الفاضلة للدعاء

إن هذا الأدب يؤخذ من ملاحظة ذكر دعاء زكريا –عليه السلام– في المحراب، حيث فسر العلماء أن المحراب هو المسجد[1].

في حين ذكر ابن جُزيّ أن المحراب هو "أشرف المجالس... وقيل المحراب موضع العبادة"[2].

ولا اختلاف في المعنى، فما مواضع العبادة، إلا ذات المساجد.

ومما يستدل به على أن دعاء زكريا –عليه السلام– كان في محراب الصلاة، أنه لما تحقق عليه السلام هذه البشارة، أخذ يتعجب وسأل ربه بعدما أسدى إليه بالبشارة قائلا: [قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ] {آل عمران:40}، ثم طلب علامة وآية يستدل بها على وجود الولد فقال: [قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا(10) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ المِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا(11)] {مريم}، أي خرج عليهم من موضع صلاته، وأمرهم بما أمره الله به من الذكر والتسبيح بالعشي والإبكار، وبذلك يكون زكريا –عليه السلام– قد تخير لدعائه مكانا فاضلا وهو موضع عبادته المحراب.

---

[1] انظر: أبو السعود: **إرشاد العقل السليم**، 31/2.

[2] ابن جُزيّ: **التسهيل لعلوم التنزيل**، 105/1.

بعد الانتهاء من هذا الفصل "**آداب دعاء الأنبياء**"، نلاحظ أن هذه الآداب منها ما يسبق الدعاء، ولا بد من أن تتقدمه، كتخير الأوقات والأحوال والأماكن الفاضلة للدعاء، وتقديم الثناء على الله قبل الشروع بالدعاء، في حين أننا نجد، من الآداب التي ذكرناها، أنها مصاحبة للدعاء، ونجد أنها تربّي قلوب الأنبياء وأرواحهم، على الخشوع لله –تعالى– فتظهر ثمرتها على جوارحهم، بحسن تأدبهم مع خالقهم، وذلك نحو أدب الكلام، من خفض للصوت، أو إظهار للافتقار أثناء الدعاء، إلى غير ذلك من الآداب المذكورة[1].

[1] انظر الفكرة: حمدان، خالد حسين عبد الرحيم: **الدعاء المشروع آدابه وآثاره وعلاقته بالقضاء والقــدر**، ص:10–13، رسالة علمية أجيزت بـــ(2006م).

الفصل الخامس

أبرز الآثار المترتبة على دعاء الأنبياء

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: آثار عقدية.

المبحث الثاني: آثار نفسية.

المبحث الثالث: آثار اجتماعية.

حين توجه الأنبياء إلى الله بالدعاء، مظهرين الافتقار بين يدي العلي القدير، ملتزمين في دعائهم الأدب الرباني، محققين شروطه كانت الإجابة مُحقَّقة لدعائهم، وقد تعددت وجوه الاستجابات فكان لكل دعاء استجابة، على اختلاف أنواعها، وحين ننعم النظر في تلك الاستجابات، ونمعن الفكر فيها، تتجلى لنا الآثار المترتبة على دعاء الأنبياء.

ولنجد آثاره باقية في جميع مجالات الحياة، تبعاً لنوع الدعاء، وبما أنّ الدعاء لازَمَ حياة الأنبياء من جميع جوانبها، كانت الآثار المترتبة على دعائهم شاملة، فهي أخروية ودنيوية، آجلة وعاجلة، كما أنها كانت آثاراً معنوية، نجد ثمارها طيبة على القلب والنفس المفعمة بالإيمان.

كذلك نجد ثمارها مادية تَلمِس حياة الأنبياء والفئة المؤمنة، والكافرة على حد سواء، كل حسب ما يستحق، وهذا ما سأبيّنه في هذا الفصل، وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول
آثار عقدية

المطلب الأول: ترسيخ مبدأ الوحدانية لله

يقول الله تعالى: [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ] {الأنبياء:25}.

إن الهدف الأعظم من إرسال الرسل، هو تصحيح مسار العقيدة، وترسيخ مبادئها القائمة على أصل التوحيد بأنواعه الثلاثة: توحيد الربوبية، والألوهية، وتوحيد أسمائه وصفاته، وقد ظهر هذا الأصل جليّا في دعاء الأنبياء، وترتب عليه آثارٌ، ونتائج طيبة، ترسّخت معها معالم العقيدة الجديدة.

فإن أول ما ينقدح بالذهن، عند إمعان الفكر فيما يترتب على التوجه بالدعاء لله، هو أن هناك إلهاً "**موجوداً**"، وأن هذا الشعور يولّد إحساساً بالحاجة الدائمة إليه، ولهفة دائمة لمعونته وإمداده، وإن الأنبياء حينما توجهوا إلى الله، وسألوه بربوبيته وألوهيته، وتوسلوا بأسمائه وصفاته، فقد جسّدوا تلك المعاني ومقتضياتها في حنايا النفوس، وأثبتوا بذلك للسابقين واللاحقين **قدرة الله وحده على التصرف في الكون**، حيث استجاب الله لأنبيائه فأهلك الكافرين ونصر الفئة

المؤمنة، وأجرى على أيدي أنبيائه المعجزات، وحينئذ فهو وحده من يستحق بأن يُفرد بالعبادة والدعاء، وكل صفات التنزيه والتقديس.

وكذلك فقد جسد الأنبياء بدعائهم مبدأ الوحدانية، من خلال **إفراد الله في الدعاء**، وأن هذا النهج قد **أبطل التوجه بالدعاء لغير الله، وعدّه من الشرك**، وقد كشف الله –تعالى– في كتابه المبين، عن عِلْم الكافرين بقدرة الله، وتفرده بإجابة دعائهم، وإغاثة اضطرارهم، وذلك من خلال إخلاصهم الدعاء له عند الشدة، فقال تعالى: [وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي البَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ] {الإسراء:67}.

قال ابن عطية: "كل واحد منهم بالفطرة، يعلم علما ولا يقدر على مدافعته، أن الأصنام لا فعل لها في الشدائد العظام"[1].

إن فطرة المشركين لتعترف بداهة، من غير برهان ولا دليل على قدرة الله في كشف ما حل بهم، لأنه لم يخطر ببالهم ما كانوا يعبدون ليسألوهم، بل إنهم توجهوا لله وحده؛ ليقينهم بأن الأمر له –سبحانه–.

ومن هنا فإنه يستقر في الذهن حقيقة بأنه "**لا نافع إلا الله ولا كاشف للضرّ إلا هو**"، فهو وحده من يجلب الخير، وهو وحده من يكشف الضرّ، وقد بيّن الحق –سبحانه– هذه الحقيقة من خلال إجابته لكل من دعاه مخلصاً، وإن كان خارج دائرة الإيمان، ومن ذلك ما بيّنه الله في قوله: [أَمَّنْ يُجِيبُ المُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَءِلَهٌ مَعَ اللهِ] {النمل:62}.

وبناء على ما كشف عنه القرآن، جاء الأنبياء بدعائهم، ليرسخوا إفراد الله بالدعاء ويرسخوا ألوهيته، ليس فقط وقت الشدة، بل في الأحوال كلها.

أما ما يلاحظ من آثار مترتبة على دعاء الأنبياء، انطلاقا من فهمهم **لمعاني أسمائه –سبحانه– ومعرفتهم بصفاته ومقتضياتها**، فإنهم حين دعوا الله بها، فقد أثبتوا لله تلك الصفات وجسّدوا معانيها، فما خلا أي دعاء من اسم لله أو صفة له سبحانه سألوه بمقتضاها فأجيبوا.

---

[1] ابن عطية: **المحرر الوجيز**، 471/3.

فعلى سبيل المثال: حين خرج يونس –عليه السلام– مغاضبا دون إذن من ربه ولم يصبر، اعترف بذنبه، واحتاج إلى التوبة، وسأل ربه المغفرة، فغفر له، فقد أثبت بذلك لله –تعالى– اسم الغفور، والغفار، والعفو، والتوّاب.

وكذلك عيسى –عليه السلام– سأل الله الرزق باسم الله الرزاق فقال: [وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيرُ الرَّازِقِينَ] {المائدة:114}، فأثبت أن لا رازق إلا الله ولا معطي إلا هو.

وشعيب –عليه السلام– توجه إلى الله يدعو [رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الفَاتِحِينَ] {الأعراف:89}، حيث إنه سأل الله الفتح باسمه الفتاح فاستجاب الله لدعائه، فأنزل حكمه العادل وأهلك الكافرين.

المطلب الثاني: إثبات صدق النبوة بإقامة الحجّة

أيّد الله الأنبياء بالمعجزات الدالّة على صدقهم لإقامة الحجّة على مَنْ عاندهم في دعوتهم، قال تعالى: [لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ وَالمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالقِسْطِ] {الحديد:25}.

إن هذه المعجزات تزيد المؤمن إيماناً ويقيناً بالله، ويرى فيها الكافر نور الحق المبين فيأفلُ الشرك، فلا بد من إقامة تلك الحجج والبراهين والدلائل على صدق الرسل، فتقوم على الناس الحجّة، ولا يبقى لهم عذر للكفر، قال تعالى: [لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ] {النساء:165}.

وقد كان لدعاء الأنبياء أكبر الأثر في إحداث هذه الدلائل والبراهين؛ لأنه ما من حجّة، طلبها قوم من نبيّهم، إلا ودعا الله –عز وجل– أن يؤيده، ويُعضد دعوته، فتدلّ على صدق نبوّته.

فهذا خليل الله، حين حاور النمروذ في الإحياء والإماتة، وهي ظاهرة تتكرر كل لحظة، حينها سأل إبراهيم –عليه السلام– ربه أن يريه هذا السرّ العجيب: [رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي المَوْتَى] {البقرة:260}.

وقد ذكر الطبري "أن سبب مسألته ربه ذلك، المناظرة والمحاجّة التي جرت بينه وبين نمروذ"[1].

وبعدما استجاب الله دعاء إبراهيم –عليه السلام– حجّ خصمَه، وبان صدقه –عليه السلام– فيما حاججه.

ومن الدلائل التي جرت تصديقا للأنبياء بعد سؤال الله: محاجّة الحواريين عيسى –عليه السلام– حول قدرة الله، واستطاعته –سبحانه– إنزال مائدة من السماء، حيث قالوا: [هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً] {المائدة:112}، وكانوا قد طلبوها إثباتا لصدقه فقالوا: [وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا] {المائدة:113}.

وقد حجّ عيسى –عليه السلام– قومه، بأن استجاب الله دعاءه، وأنزل المائدة، وقد كانت على الحال التي طلبها قومه، حيث كانت عيداً لأولهم وآخرهم.

ومن هذه الدلائل تحويل القبلة نحو الكعبة، وقد بيّنا أن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان يقلّب النظر إلى السماء، منتظراً من ربه أن يحوله، فجاءت الاستجابة [فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا] {البقرة:144}، وكان الأمر بالتحول شطر المسجد الحرام.

بَيْدَ أن علماء اليهود، وأحبار النصارى، عاندوها وكذبوها، فيخبرنا الحق عن قولهم [مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا] {البقرة:142}.

ويبيّن الحق –تبارك وتعالى– ما كتمه أهل الكتاب، من أنهم يعلمون أن قبلة الأنبياء جميعاً هي "الكعبة" وأنهم يجدونها في كتبهم، ولكنهم يكتمونها، قال تعالى: [الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ] {البقرة:146}، "والهاء" في يعرفونه، ترجع إلى البيت الحرام –في أحد الأقوال– وفي ذلك قال الطبري: "يعرف هؤلاء الأحبار من اليهود والعلماء من النصارى أن البيت الحرام قبلتهم، وقبلة إبراهيم، وقبلة الأنبياء، كما يعرفون أبناءهم"[2].

---

[1] الطبري: **جامع البيان**، 48/3.

[2] الطبري: **جامع البيان**، 25/2. // ابن جُزيّ في أحد أقواله في **التسهيل لعلوم التنزيل**، 63/1.

وقال ابن جُزيّ: "إن الصلاة إلى الكعبة تدفع حجّة المعترضين من الناس، فإن أريد اليهود، فحجّتهم أنهم يجدون في كتبهم أن النبي –صلى الله عليه وسلم– يتحول إلى الكعبة، فلما صلّى إليها لم تبقَ لهم حجة على المسلمين، وإن أريد قريش فحجتهم أنهم قالوا قبلة آبائه أولى به"[1].

ووافقه أبو السعود في تفسيره قال: "يعرفونه كونه مسطورا في الكتاب منعوتا فيه بالنعوت التي من جملتها أنه –عليه السلام– يصلي إلى القبلتين"[2]. وبهذا كانت استجابة الله لدعاء نبيّه بتحويل القبلة دليل صدق نبوته –صلى الله عليه وسلم– عند من عارضوه وكذبوه في أمرها.

المطلب الثالث: زيادة الإيمان

من ثمار الدعاء المرتبطة بالعقيدة ارتباطا وثيقا ومباشرا، أنها تعمل على تجديد إيمان الداعي؛ لأن الخطايا والذنوب تنال من درجة إيمان العبد، فبقدر الذنب ينقص الإيمان، وكما أن لها تأثيرا سلبيا على الإيمان، قد ينتهي بصاحبها إلى الكفر والعياذ بالله[3].

وفي المقابل، فإن الطاعات من الأمور التي تزيد الإيمان وتكسب محبة الرحمن، والدعاء يُعدّ من الطاعات، بل هو العبادة كما وصفه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وبالتالي فهو مما يزيد به الإيمان، حيث يصدر عن معرفة تامة بالله، قال تعالى: [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا] {الأنفال:2}.

كما أن الإيمان ليتجدد في نفوسنا، حينما نستحضر حقيقة الدعاء، فنجد أنه استسلام تام لله، وافتقار دائم إليه، وشعور بالحاجة لعونه، ورغبة فيما عنده، كما أنه خضوع وتذلل.

وحين يستديم العبد استحضار هذه المعاني في نفسه، فإنها تثمر له مراقبة دائمة لله، وحضورا في قلبه، فيبتعد عمّا يغضب الله مجتنبا المعاصي؛ ليقينه أن الله مطّلع عليه، وبأن علْم الله محيط به، وهو التقوى الذي يزيد به إيمان العبد.

---

[1] ابن جُزيّ: **التسهيل لعلوم التنزيل**، 63/1.

[2] أبو السعود: **إرشاد العقل السليم**، 176/1.

[3] انظر: القرضاوي: **التوبة إلى الله**، ص:219–220.

إن الأنبياء حين توجهوا إلى الله بالدعاء انطلقوا من تلك المعاني، فهذا خليل الله –عليه السلام– "على درجات قربه، وفرط إخباته، ومراقبته لربه، ليزداد شعورا بأنه محتاج لرعاية الله، فقير إلى غفرانه، مضطر إلى دعائه، فهو يقول ويحكي عنه القرآن [رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ(83) وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ(84) وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ(85)]{الشعراء}"[1]، فإن إبراهيم –عليه السلام– يطلب أن يكون مرافقا للصالحين، قريبا منهم، وقد كان، ثم طلب من ربه قائلا: [رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ] {إبراهيم:40}، فهو يطلب المداومة على الصلاة، وقبول الدعاء، وهذه كلها طريق لزيادة الإيمان، وكذلك دعاؤه حين طلب رؤية كيفية إحياء الموتي: [رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي] {البقرة:260}، فقد كان إبراهيم –عليه السلام– يعلم بطريقة الاستدلال العقلي على قدرة الله على الإحياء، لكنه طلب الطمأنينة، وسأل ربه أن يكشف عنه غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكّنا، فإن مقام الطمأنينة في الإيمان يزيد على ما دونه من الإيمان قوة وكمالاً[2].

ومما يدل على أن لدعاء الأنبياء أثرا في زيادة الإيمان، إدراكهم لمعاني أسماء الله الحسنى، ومعرفتهم التامة بصفاته، كالسمع والبصر والقدرة والعلم والإحاطة وغيرها من الصفات، لذا شعر الأنبياء بعجزهم مقابل قدرة الله، وأن الله يراهم، وإن هذا الشعور هو ما دعا يوسف –عليه السلام– أن يرفض المعصية، مستعيذا بالله [مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ] {يوسف:23}.

ولعلم الأنبياء التام بصفاته سبحانه، أيقنوا أن الله يسمع دعاءهم وإن كان نجيّا، لذا نادى زكريا ربه نداء خفيا [إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا] {مريم:3}، وبمعنى آخر رجع الأنبياء في كل شيء إلى قدرته تعالى، متوكلين عليه سبحانه، فلم يَعظُم عليهم طلب، بل هان في نفوسهم كل أمر،

---

[1] الجُديلي، محمد عبد الرحمن: **دراسات إسلامية في حكم التشريع**، ط(1). بلا بلد نشر. 1962م، ص:140.

[2] انظر: رضا: **تفسير المنار**، 591/9. // وانظر: عمير، أبو طه محمد محمود مصطفى: **المؤمنون كما وصفهم الله في القرآن الكريم**، بلا معلومات نشر، ص:44.

لأنه ينظرون إلى قدرة قادر عظيم، يستمدون منها العون والتوفيق، ويعتمدون عليها في تحقيق ما يرجونه من خير وقوة وسعادة[1].

ولقد ظهر في دعاء الأنبياء معرفتهم بالله معرفة تامة مُذْ توسلوا إليه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، ودعوه بما تقتضيه تلك الصفات، لذا وجدنا الأنبياء أتم خلق الله إيمانا ويقينا بالله.

المطلب الرابع: العقيدة أساس العلاقات بين العباد

لدعاء الأنبياء أثر في حياتهم وحياة أممهم، وللأجيال من بعدهم، وكما كان لدعائهم المستجاب أثر، كذلك كان لدعائهم غير المستجاب أكبر الأثر، في ترسيخ "العقيدة" التي يرتضيها الله لعباده، والتي هي الأساس في تحديد الصلة والعلاقة بين المؤمنين والكافرين، وإرساء قاعدة الولاء لله، والبراء من الكفر والشرك، وإن كانوا ذوي قربى، كدعاء نوح –عليه السلام– لولده، واستغفار إبراهيم –عليه السلام– لأبيه واستغفار النبي –صلى الله عليه وسلم– لعمه وللمنافقين.

وإذا فهمنا هذه القاعدة، فإنه يتبيّن لنا، أن عدم إجابة الله لبعض دعاء أنبيائه، لم يكن انتقاصا من قدرهم أو مكانتهم، إنما لحكمة إلهية، إنها سنّة الله.

ولقد حدد القرآن الكريم بمنهجه الحكيم، عقيدة الولاء والبراء، وبيّن أن أساس العلاقة، ووشيجة الارتباط بين الناس تقوم على "**وحدة العقيدة**" لا صلة القرابة والنسب.

وقد بيّن الحق –تبارك وتعالى– هذه القاعدة في قوله: [لَا يَتَّخِذِ المُؤْمِنُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ المُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ المَصِيرُ] {آل عمران:28}.

إن هذه الآية صريحة، تحدد معالم الولاء بين المؤمنين وغيرهم في جميع العصور.

يقول الطبري: "هذا نهي من الله –عز وجل– المؤمنين أن يتخذوا الكفار أعوانا وأنصارا وظهورا...فإنه من يفعل ذلك فليس من الله في شيء، فقد برئ من الله، وبرئ الله منه"[2].

---

[1] انظر: الميداني: **العقيدة الإسلامية**، ص:165.

[2] الطبري: **جامع البيان**، 228/3.

ثم بيّن –سبحانه– بعد هذا النهي حكم من يتولاهم فقال في سورة المائدة: [وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ] {المائدة:51}.

إن هذا المبدأ ثابت في القرآن الكريم، يستدل عليه من دعاء نوح –عليه السلام– حين دعا ربه لينجز وعده إياه، بإنجاء ولده، لكن الله –تعالى– بيّن لنوح –عليه السلام– أن لا صلة بينهما فقال: [يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ] {هود:46}.

يقول سيد قطب: "وجاءه الرد بالحقيقة التي غفل عنها، فالأهل –عند الله وفي دينه وميزانه– ليسوا قرابة الدم، إنما هم قرابة العقيدة، وهذا الولد لم يكن مؤمنا، فليس إذن من أهله وهو النبي المؤمن... إنها الحقيقة الكبرى في هذا الدين، حقيقة العروة التي ترجع إليها الخيوط جميعا، عروة العقيدة التي تربط بين الأفراد ما لا يربطه النسب والقرابة"[1].

نفهم من سياق القرآن أن لا عذر لأحد بعد هذا البيان من موالاة الكافرين، وإننا نستدل عليه من خلال نهي النبي –صلى الله عليه وسلم– عن استغفاره للمنافقين قائلا: [اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ] {التوبة:80}، أو استغفار إبراهيم –عليه السلام– لأبيه في قوله: [سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي] {مريم:47}، وإن كان المستَغفَر له ذا صلة قرابة.

ثم أوضح الحق –سبحانه– أن استغفار إبراهيم –عليه السلام– لأبيه ما كان إلا عن موعدة وعدها إياه قبل أن يعرف عداوته وبراءته من الدين، [فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ للهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ] {التوبة:114}.

وتباعا لهذه القاعدة في أساس العلاقة، التي ترتبت أثرا على دعاء الأنبياء، فإنه يفهم من قوله تعالى: [لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ] {البقرة:124}، أن لا نصرة، ولا ولاية، ولا سلطان لكافر على مؤمن، ولا ينال عهد الله ظالم.

يقول الزمخشري: "لا يناله استخلافي، وعهدي إليه بالإمامة، إنما ينال من كان عادلا، بريئاً من الظلم"[2].

---

[1] قطب: **في ظلال القرآن**، 4/550-551.

[2] الزمخشري: **الكشاف**، 1/211.

المطلب الخامس: إبراز بعض السنن الكونية

عند الوقوف على النصوص القرآنية واستقرائها، نجد أن الحق تبارك وتعالى "يبين للناس أن مشيئة الله تعالى في خلقه إنما تنفذ على سنن حكيمة وطرائق قويمة، فمن سار على سنته في الحرب مثلاً ظفر بمشيئة الله، وإن كان ملحدا أو وثنيا، ومن تنكّبها خسر، وإن كان صديقا أو نبيا"[1].

وبناء على ما سبق فإن هذه الحياة تجري وفق سنن قدرها الله –تعالى– ثابتة لا يحابي بها أحدا، ولا تتخلف لأحد، فهي منهج ثابت، لا يتحول ولا يتبدل في معاملته الأمم السابقة واللاحقة، بما يختص بطاعة الله، وأمره ونهيه، فيقول الحق –سبحانه–: [فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلًا] {فاطر:43}.

ومن هنا تأتي أهمية ربط أدعية الأنبياء، التي تتعلق بموقف من أرسلوا إليهم من دين الله، –سواء أكانوا ممن رضي بمنهج الله وأطاع الأنبياء فيما أمروا ونهوا، أم ممن عاندوا وكذبوا وعصوا الأنبياء– فإن لهم دعوات طلبوا فيها النصر على معاندي أقوامهم، ودعوات أُخَر طلبوا فيها النجاة من الكافرين، والتمكين في الأرض، ترتب على أثرها سنن ثابتة.

وعلى ذلك فإني قسمت هذا المطلب إلى مسألتين:

أولاً: سُنّة إهلاك الأمم المعاندة:

ظهرت هذه السنّة في القرآن الكريم من خلال تناول قصص الأنبياء مع أقوامهم –وتحديدا– بعد دعاء الأنبياء على أقوامهم بإيقاع العذاب فيهم، وإن الناظر إلى دعوة الأنبياء يجد أن محاورتهم لمخالفيهم شغلت مساحة واسعة في كتاب الله، فما من نبي إلا وعارضه قومه وخالفوه، وأظهروا له العداء، بكل الوسائل الممكنة لديهم، حتى إذا اشتد الخطب، وأيقن الأنبياء من عدم استجابة المخالفين لنداء الإيمان، عندها لجأ الأنبياء إلى الله، يستنجزونه وعْدَه بإهلاك المتجبرين، فكان إهلاكهم أثرا مترتبا على كفرهم، أبرزه دعاءُ الأنبياء، حيث كان الدعاء هو

---

[1] المرجع السابق نفسه، ص:141.

آخر وسيلة لتتحقق سنة الله بعد ذلك، هذه هي [سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا] {الأحزاب:62}.

إن إهلاك المعاندين سنّة ربانية، ونتيجة طبيعية، لا تتبدل ولا تتحول على مدى العصور.

يقول الرازي: "هذا ليس بدعا بكم، بل هو سنّة جارية، وعادة مستمرة"[1].

وقد عرض لنا القرآن الكريم هذه النهايات، ففي نهاية قوم نوح –عليه السلام– يقول الله تعالى: [وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ] {المؤمنون:27}.

وفي عاد قوم هود –عليه السلام– يقول: [وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ] {الأعراف:72}.

وفي قوم لوط –عليه السلام– يقول: [وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ] {الأعراف:84}.

وفي قوم شعيب –عليه السلام– يقول: [فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ] {الأعراف:91}.

وفي فرعون وملئه يقول: [وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ] {الأعراف:137}.

إن الهدف من عرض هذه النهايات قد بينها الله –تعالى– في كتابه، لأجل أخذ العبرة، ولتبقى هذه السنن حاضرة في أذهاننا.

ويذكّرنا الحق –سبحانه– بعد آيات العذاب أن هناك آية وعبرة في إهلاكهم، فنجده يلفت نظرنا، بعد إهلاك عاد إلى العبرة من إهلاكهم بقوله: [إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً] {الشعراء:139}، ثم قالها في السورة نفسها: [إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً] {الشعراء:174} بعد إهلاك قوم لوط –عليه السلام–.

وقال فيهم كذلك: [فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ] {الأعراف:84}، وقال في فرعون: [فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً] {يونس:92}.

---

[1] الرازي: **مفاتيح الغيب**، 199/25.

يقول الرازي تعقيبا على هذه الآية: "فإن المقصود من ذكر هذه القصص، حصول الاعتبار كما قال تعالى: [لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَلْبَابِ] {يوسف:111}"[1].

وقد تحققت العبرة في هذه الأقوام، فلا يزال بعض آثارهم باقية شاهدة على كفرهم ونهايتهم، كقوم عاد وثمود، ويصدق ذلك قوله: [ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ القُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ] {هود:100}، ومعنى قائم وحصيد أي "باق وداثر"[2].

إن هذه السنن الربانية، هي مصير كل متجبر عبر الزمان، وعلينا نحن أن نفيد منها، ونأخذ العبرة، وأن نستبشر خيرا في هذا الوقت العصيب، الذي تمر به أمتنا، فما نراه من ظلم للأبرياء، وملاحقة للشرفاء، ومعاداة للعلماء، والتشهير بهم، وانحراف عن دين الله، إلا جولة للباطل، لتأتي بعدها دولة الحق [وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ(140) وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَيَمْحَقَ الكَافِرِينَ(141)]{آل عمران}.

ثانياً: سنة النّصر والتمكين للفئة المؤمنة:

هذه السنّة لها علاقة واضحة بسنّة إهلاك الكافرين، فإن الأخيرة سبيل إلى سنّة النصر والتمكين، ولا يمكن للثانية أن تتحقق دون الأولى.

لقد سأل الأنبياء ربهم النصر والظفر على أعدائهم، وترتب على أثر دعائهم الفتح المبين، والتمكين للفئة المؤمنة، بعد انتظار وبذل جهد، هذه السنة الربانية، التي نجدها آثرا مترتبا عقب كل دعاء للأنبياء في أوضاع مخصوصة وأوقات معينة، إلا أننا من الصعب الجزم أنها ترتبت بمجرد الدعاء، لكننا ندرك أن الدعاء ينتج في كثير من الأحيان عن ابتلاء، فيكون هذا الابتلاء طريقا للنصر، خاصة إذا كان الابتلاء صراعا بين الحق والباطل، أي صراعَ عقيدة.

---

[1] الرازي: **مفاتيح الغيب**، 126/17.

[2] ابن جُزيّ: **التسهيل لعلوم التنزيل**، 112/2.

وإن الناظر في هذه السنّة "سنّة النصر والتمكين"، التي جاءت بعد دعاء الأنبياء كأثر لدعائهم، يجد أنها لم تأت هزلا ولم تكن ميسرة، إنما سبقها كربٌ عظيم، وشدّة بلغت مداها من الأنبياء والفئة المؤمنة، طهّرت فيها نفوس المؤمنين، فلا تشوبها شائبة، ليصان بذلك دين الله.

وقد صوّر لنا الحق مدى الضيق الذي لحق بالأنبياء وأتباعهم قبل مجيء النصر، في قوله سبحانه: [حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا] {يوسف:110}، وقوله: [وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ] {البقرة:214}.

هذه الآيات تصوّر لنا حال الأنبياء والمؤمنين من انتظار نصر الله، وإنما قالوا ذلك "لتناهي الشدة واستطالة المدة، بحيث تقطعت حبال الصبر"[1].

وحين يصف الحق حالهم بأنهم زلزلوا، فإن هذا كناية عن شدة الخطب.

يقول ابن عطية: "والزلزلة: شدة التحريك، تكون في الأشخاص وفي الأحوال"[2].

هذه حال النبي –صلى الله عليه وسلم– وحال المؤمنين، كرب عظيم وضيق، يواجهون فيه قوى الكفر المتجبرة بقوتهم الضعيفة، وفي تلك اللحظات يجيء النصر، تحقيقا لقول الله تعالى: [وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ] {الرُّوم:47}.

يقول سيد قطب: "تلك سنّة الله في الدعوات، ولا بد من الشدائد، ولا بد من الكروب، حتى لا تبقى بقية من جهد، ولا بقية من طاقة، ثم يجيء النصر بعد اليأس من كل أسبابه الظاهرة، فينجو الذين يستحقون النجاة... ذلك كي لا يكون النصر رخيصا، فتكون الدعوات هزلا، فلو كان النصر رخيصا، لقام في كل يوم دعيّ بدعوة لا تكلفه شيئا... ودعوات الحق، لا يجوز أن تكون عبثا ولا لعبا، فإنما هي قواعد الحياة البشرية، ومناهج ينبغي صيانتها وحراستها من الأدعياء، والأدعياء لا يحتملون تكاليف الدعوة.. فإذا ادعوها عجزوا عن حملها وطرحوها"[3].

---

[1] البيضاوي: **أنوار التنزيل**، 148/1.

[2] ابن عطية: **المحرر الوجيز**، 287/1.

[3] قطب: **في ظلال القرآن**، 59/5. // وانظر: قطب: **البلاء والابتلاء**، ص:123.

هكذا كان منهج الأنبياء في صراعهم مع الباطل قبل التمكين بالنصر، يتعرضون للابتلاء، بل لأشده، ويمرون بمراحل صعبة، حتى يصلوا إلى قمة الانتصار، ولقد نصر الله أنبياءه، وجعل الغلبة لهم، بعد أن نجّاهم من أعدائهم، ودعوا الله، فاستجاب لهم بالنصر المبين.

ولو تتبعنا مجريات هذه السنّة في دعاء الأنبياء، نجد أنها في الأغلب تتحقق ضمن مرحلتين، تتمثل **الأولى** بإنجاء الأنبياء والذين آمنوا معهم من العذاب، وتخليصهم من الذين كفروا [ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ المُؤْمِنِينَ] {يونس:103}، وذلك تمهيدا للمرحلة **الثانية** وهي النصر والغلبة والتمكين للفئة المؤمنة ولدين الله، كما حصل مع الأنبياء: نوح وهود ولوط وشعيب وموسى –عليهم السلام– فقد نصرهم الله بعد أن نجّاهم من عدوهم، فالنجاة مرحلة سابقة للنصر والتمكين، ويصدق ذلك قول الحق –سبحانه– في شأن نوح –عليه السلام– ذاكرا الأمرين معا في قوله: [وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ(76) وَنَصَرْنَاهُ مِنَ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا (77)] {الأنبياء}.

وفي شأن موسى وهارون –عليهما السلام– [وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ(115) وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الغَالِبِينَ(116)] {الصَّافات}.

في الآيات السابقة دلالة واضحة على أن النجاة والنصر متغايران، إذ إن النجاة من "النجاء: الخلاص من الشيء"[1]، بيْد أن النصر "إعانة المظلوم، نصره على عدوه"[2]، لذا عبّر القرآن الكريم باللفظين، دليل التغاير بينهما، كما يتبين لنا ومن خلال استقراء الآيات، أن نجاة الأنبياء والذين آمنوا كانت بفضل رحمة الله –عز وجل– فقال تعالى: [وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ] {هود:58}، وقال في السورة نفسها: [وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا] {هود:94}.

يقول الرازي إن حكمة الله تستوجب أن ينجي الله المؤمن من العذاب، ولا يقع عليه، ولولا ذلك لما عرف كونه عذاب.

---

[1] ابن منظور: **لسان العرب**، 304/15.

[2] المرجع السابق، 210/5.

وأما كون هذه النجاة رحمة فقد فسرها بعدة وجوه، أحدها أن الله رحم المؤمنين في ذلك الوقت وميزهم عن الكافرين[1].

ثم بعد النجاة تكون مرحلة النصر والتمكين، فقد مكّن الله لأنبيائه بعد أن نجاهم من عذاب أقوامهم وانتصر لهم؛ فانتصر نوح –عليه السلام– والفئة القليلة المؤمنة بعد أن دعا ربه بأنه مغلوب، فمكن لهم وأنزلهم ربهم منزلا مباركا [قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ] {هود:48}.

وانتصر هود –عليه السلام– والذين آمنوا معه [وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ] {هود:58}، وأما من كذبه [فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالحَقِّ] {المؤمنون:41}.

وانتصر لوط –عليه السلام– والفئة المؤمنة، بعد أن وقع العذاب الذي تستحقه تلك القرى الظالمة [فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ] {هود:82}.

وانتصر شعيب –عليه السلام– بعد أن طال نصحه لقومه، ولم يجد إلا الصدّ، فدعا ربه ليحكم بينه وبين قومه [فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ] {الأعراف:91}.

ولقد انتصر موسى –عليه السلام– على فرعون وملئه، وأغرق آل فرعون [وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الغَالِبِينَ] {الصَّافات:116}.

ومكّن الله لنبيه –صلى الله عليه وسلم– وللفئة المؤمنة ورضي لهم الإسلام دينا.

من كل ما سبق يتبين لنا أن النجاة سابقة للنصر، والنصر يأتي بعده التمكين.

إن هذه السنّة قد تحققت للأنبياء وأتباعهم، كما أنها ستتحقق لكل من يقوم بمهمّة الأنبياء يؤدّي حق الله، ويدافع عن دينه، حينها يستحق النصر والتمكين.

المطلب السادس: الدعاء سبيل غفران الذنوب

إن الذنوب من أكثر ما يثقل كاهل العبد، لأن الضعف فطري في الإنسان فيخطئ، لكن رحمة الله –عز وجل– تضع عنه هذا الوزر، لطفا به إذا استغفر لذنبه.

---

[1] انظر: الرازي: **مفاتيح الغيب**، 13/18.

فكان من لطف الله بالعباد، أن وصف نفسه بأنه غافر، وأنه غفور، بل وأنه غفار يظهر الجميل، ويستر القبيح.

والذنوب هي: "القبائح التي يسترها في الدنيا والآخرة ويتجاوز عن عقوبتها في الآخرة"[1].

وقد حثنا الحق –سبحانه– على الاستغفار لما فيه من "محو الذنب وإزالة أثره ووقاية شره"[2]، فأمر نبيه بالاستغفار [وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ] {غافر:55}، ووعد بالمغفرة فقال: [وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا] {النساء:110}.

يبين الحق –سبحانه– أن "المذنب إذا تاب عن الذنب صار حاله كحال من لم يذنب قط في استحقاق المنزلة والكرامة عند الله"[3].

فلا بد من طلب المغفرة من الله؛ لأن الله –تعالى– وحده من يغفر الذنوب، فهو يغفرها جميعا، ومن يغفر الذنوب إلا الله؟

وهذا نوح –عليه السلام– يذكّر قومه أنهم إذا طلبوا مغفرة ذنوبهم من الله، فإن الله تعالى يغفرها، وقد جاء لقومه بصيغة مبالغة؛ للدلالة على تحقيق المغفرة، فقال مخاطبا قومه: [فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا] {نوح:10}.

لكن الحق –سبحانه– يبيّن في كتابه أن هذه المغفرة لها شروط، فلا بد للعبد أن يحققها، فإن حققها، حصلت المغفرة للذنوب، وقبول التوبة، فقال تعالى: [وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا] {طه:82}، فجعل للقبول ثلاثة شروط، وهي تحقيق التوبة، والإيمان، والعمل الصالح، وإن أي ذنب ما خلا الإشراك بالله، فلا بد وأن يقبله الله ويغفره، فقال: [إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ] {النساء:48}.

فمهما عظمت ذنوب العبد ثم دعا الله أن يغفر له، فإن الله يغفرها [إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ المَغْفِرَةِ] {النَّجم:32}، فما على العبد إلا أن يطلب المغفرة؛ لأن الله لا يعذب مستغفراً غير مصرّ

---

[1] الغزالي، محمد بن محمد (ت:505هـ): **المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى**، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي. ط(1). قبرص: الجفان والجابي. 1407هـ–1987م، ص:80.

[2] ابن القيم: **مدارج السالكين**، 307/1.

[3] الرازي: **مفاتيح الغيب**، 9/9.

على ذنبه، قال تعالى مخاطبا نبيه: [وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ] {الأنفال:33}.

المبحث الثاني
آثار نفسية

إن من أهداف الرسالات السماوية، تزكية النفوس وتنميتها بالخير، لأنها اللبنة الأساس في بناء مجتمع الإيمان، فقد بعث الله الرسل وكانت من أجلّ مهماتهم، حتى أننا نجد لها حظاً في دعائهم، لمن يأتي بعدهم، قال تعالى: [رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ] {البقرة:129}، فكان لتلك الدعوات أطيب الأثر في تزكية النفوس، متمثلة في قوله: [كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ] {البقرة:151}، فكان أعظم ما جاء به نبينا –صلى الله عليه وسلم– تزكية النفوس وتطهيرها.

وقد وعد الله –سبحانه– بالفوز لمن زكّى نفسه، وأنماها وأعلاها بالتقوى، وتوعد بالخسران لمن أضلها وأغواها[1].

وفي ذلك يقول الحق –سبحانه–: [قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا(9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا(10)] {الشمس}.

لقد جعل الله –سبحانه– في هذا الشاهد الكريم، تزكية النفوس ضابطا للفلاح والخسران.

وأما مدار هذه التزكية ومحورها فهو "القلب"، محل نظر الله إلى عباده، حيث يقول النبي–صلى الله عليه وسلم– "إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ"[2].

وسأبيّن في هذا المطلب، أنه حين أدى الأنبياء دعاءهم على كماله تحقق بالقلب معان لطيفة[3] ظهرت آثارها في تعامل الأنبياء مع الله –عز وجل– ومع الخلق، وذلك على النحو الآتي:

---

[1] انظر: الشوكاني: **فتح القدير**، 449/5.

[2] مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، (الحديث:2564)، 1986/4.

[3] انظر هذه المعاني: حوّى، سعيد (ت:1409هـ): **المستخلص في تزكية الأنفس**، بلا ط وسنة نشر. بيروت، عمان: دار عمار، ص:10.

المطلب الأول: إصلاح القلوب

إن الدعاء رافد عظيم مغذ للقلوب يصلحها ويلينها، يقول الحق –تبارك وتعالى–: [فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] {الأنعام:43}.

يقول الرازي في تفسيره لهذه الآية إن الحق –سبحانه– يخبر نبيّه أن قبله أقواما أُخذوا بالشدة في الأنفس والأموال، لكي يتضرعوا، لكنهم لم يتضرعوا إلى الله ولم يتوجهوا إليه بالدعاء[1].

وعليه فلو أنهم تضرعوا، واتجهوا إلى الله، للانت قلوبهم، وزالت كروبهم.

يتضح لنا من هذا الكلام أن للدعاء أعظم الأثر في إصلاح وحضور القلب ولينه، وذلك لصلة القلب الدائمة بالله، فإنْ توجه العبد إلى الله بالدعاء في كل ما أهمّه أو احتاجه، فإن هذه الصلة تورثه حياة دائمة لقلبه، وتخلصه من غفلته بكثرة الذكر والدعاء، لذا ما فتئ الأنبياء عن الاستمرار بالدعاء، ودعوة أقوامهم للاستدامة عليه، كما أن إفراد الله وحده بالدعاء، من الأمور التي تبقي القلب حياً حاضراً غير غافل، فيخلي قلبه من كل ما سوى الله –عز وجل– ويملؤه بالرجاء، وبمحبة الله، وعظمته، ومهابته، والتوكل عليه، وقد كانت من أجل مهمات الأنبياء، إثبات توحيد الله في العبادة والدعاء.

يقول ابن تيمية: "فإذا خرج القلب عن الحال الفطرية التي يولد عليها كل مولود وهي أن يكون مقرا لربه، مريدا له، فيكون هو منتهى قصده وإرادته... فمتى لم تكن حركة القلب ووجهته وإرادته لله –تعالى– كان فاسدا، إما بأن يكون مُعرضاً عن الله وعن ذكره... أو بأن يكون له ذكر وشعور، ولكن قصده وإرادته غيره؛ لكون الذكر ضعيفا لم يجتذب القلب إلى إرادة الله ومحبته وعبادته"[2].

لقد عدّ شيخ الإسلام، الإعراض عن الذكر والغفلة عنه، من مفسدات القلوب؛ لأن الغفلة عن الذكر يُعد خروجا عن الفطرة التي فُطرنا عليها، متمثلة بمعرفة الله والتوجه إليه بالدعاء.

---

[1] انظر: الرزاي: **مفاتيح الغيب**، 185/12.

[2] ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، 164/18.

المطلب الثاني: الثقة بالله وحسن الظنّ به

الثقة بالله –تعالى– من أهم قضايا عقيدتنا؛ لأنها تقوم على معرفتنا التامة به –سبحانه– فحين نقرأ قوله تعالى: [ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ] {غافر:60}، فإنه يتيقن لدينا أن الله لن يخلف وعده، وأنه قادر على إجابة الدعاء.

ومن هنا، فإن كثرة التوجه إلى الله بالدعاء، دليل على حسن الظنّ بالله عند العبد، فإذا اقترف ذنبا واستغفر، أيقن أن ربه غفار لمن تاب، وإذا عمل عملا صالحا، فهو على يقين أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا، فيعيش العبد بين الخوف والرجاء، يخاف من عقاب الله، لكنه لا يقنط من رحمة ربه، فرحمة الله وسعت كل شيء، يقول الله في ذلك: [يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ] {الزُّمر:53}.

كما أن النبي الكريم يعزّز فينا حسن الظنّ بالله، ويوصينا أن نحسنه فيقول: "لَا يَمُوتَنَّ أحدكم إلا وهو يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عز وجل"[1].

قال النووي في معنى حسن الظن بالله: "أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه، في حالة الصحة، يكون خائفا راجيا... فإذا دنت أمارات الموت، غلب الرجاء"[2].

لذا وجدنا أنبياء الله خير من حسن ظنهم بربهم، واعتمدت قلوبهم عليه، وأسندوا الأمر كله لله مستسلمين إليه بكل شؤونهم، فكان لهذا الأمر أثر على نفوسهم، ترجم بصورة عملية، كما ظهرت ملامحه على دعائهم، ومن ذلك يعقوب –عليه السلام– الذي أحسن ظنه بربه، ووثق به ثقة لا تتزعزع في توكله، حين قال: [إِنِ الحُكْمُ إِلَّا للهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُتَوَكِّلُونَ] {يوسف:67} وحين فقد ابنه الثاني فقال: [فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ] {يوسف:83}.

فإن لاختيار يعقوب –عليه السلام– لاسم الله "العليم الحكيم"، دلالة واضحة على استقرار معاني الثقة بالله، وحسن الظن به، والتوكل عليه في قلبه، وبأن الله يعلم دقائق الأشياء،

---

[1] مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، (الحديث:2877)، 2206/4.

[2] النووي: **صحيح مسلم بشرح النووي**، 210/17.

ومكنوناتها، وأسرارها، ويعلم كذلك مصير أبنائه، فهو مطمئن إلى علمه سبحانه، واثق بحكمته في وضع الأمور في نصابها، يدبرها تدبيرا لا يعتريه خلل، وإننا نلمح ذلك من دعائه [فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ] {يوسف:64}.

بعد هذا البيان من الحق، فإنه لا يليق بمن عرف ربه، وعلم ضرورة التوجه إليه بكل أموره، أن يسيء الظنّ بخالقه؛ لأنه "على قدر حسن ظنك بربك، ورجائك له، يكون توكلك عليه... وإن حُسن الظنّ به، يدعوه إلى التوكل عليه، إذ لا يُتصور التوكل على من ساء ظنك به، ولا توكل على من لا ترجوه"[1].

وإذا ما اعتمد القلب على ربه وتوكل عليه فإن الله حسبه وكافيه [وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ] {الطَّلاق:3}، أي "من وثق بالله فيما نابه، كفاه ما أهمه"[2]، و [أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ] {الزُّمر:36}، بلى إنه كافيه.

إذا ما استقرت هذه المعاني في النفس، أثمرت حبا في القلب لعمل الخير، وحافزا على الاستزادة منه؛ لأنه يقبل إنابته ويجيب دعوته، ويكفيه إذا استكفاه.

وإذا ما تأخر على الإنسان أمر محبب إلى نفسه، أو قصرت همته في فهم بعض حكم الله، بأن تأخرت استجابة دعوة له، أو أصابه بلاء، فلا يسخط ولا يضجر، لأن مَن يُحسن ظنّه بالله فيتوكل عليه، يُثمر رضىً في قلبه، لا يشوبه كدر.

المطلب الثالث: الشعور بمعيّة الله

"إن الله معنا" هي حقيقة ثابتة في عقيدتنا، لها ارتباط وثيق بإثبات صفات الله –عز وجل– وقد ترجمها الأنبياء حين استمدوا العون من الله، واستدعوا النصر والتأييد منه –سبحانه.

وقد خصّ الله أولياءه معيّته؛ نصرة لهم، وتأييدا لدعوتهم، فخصّ بها من صبر على البلاء فقال: [إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ] {الأنفال:46}، وأنها مع من "حفظ حدود الله وراعى

---

[1] ابن القيم: **مدارج السالكين**، 121/2.

[2] الشوكاني: **فتح القدير**، 242/5.

حقوقه... يحوطه بنصره، ويحفظه، ويوفقه، ويسدده [إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ] {النحل:128}"[1].

وأنها مع عامة خلقه أينما كانوا "معيّة علم"[2]، فقال تعالى: [وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ] {الحديد:4}، وقال تعالى: [إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا] {المجادلة:7}.

يقول ابن رجب الحنبلي: "فإن هذه المعية تقتضي علمه وإطلاعه ومراقبته لأعمالهم، فهي مقتضية لتخويف العباد منه"[3].

ونحو ذلك، ما ذكره ابن عثيمين قائلا: إن "هذه المعية تقتضي الإحاطة بالخلق، علما وقدرة وسمعا وبصرا وسلطانا وتدبيرا"[4].

إن الإحساس بمعيّة الله أدخل السكينة إلى قلوب الأنبياء حين توجهوا إلى الله –تعالى– وقد اشتد بهم الكرب، فقد أشعرهم بالعناية الإلهية وبالنصرة والتأييد، والحماية من الأخطار، كما أورثهم الشعور بمعيته –سبحانه– بأنه يسمعهم، ويعلم حالهم، ويحيط بعلمه كل أمورهم.

ويحكي لنا القرآن تأييد الله ونصره لموسى وهارون –عليهما السلام– عند لقاء فرعون، حين دَعَوَا الله تعالى: [قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى] {طه:45}، فاستجاب لهما بما يضفي على قلبيهما السكينة والطمأنينة، وأنهما بعناية الله وحفظه، وأنه معهما يسمع ويرى [قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى] {طه:46}، هذه المعيّة، أكسبتهما شعورا بنصر الله، وتأييده، وحمايته من بطش فرعون، مما حدا بهما إلى مواجهة هذا الطاغية، بقوة وعزيمة، مستشعرين معية الله.

وفي تفسير هذه الآية يقول ابن كثير: أي "وأنا معكما بحفظي وتأييدي"[5].

---

[1] ابن رجب، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد، (ت:795هـ): **جامع العلوم والحكم**، إعداد: قسم الترجمة والتحقيق والتأليف بدار الإسراء. ط(1). عمان: دار الإسراء للنشر والتوزيع. 2004م، ص:160.

[2] ابن كثير: **تفسير ابن كثير**، 323/4.

[3] ابن رجب: **جامع العلوم والحكم**، ص:161.

[4] ابن عثيمين، محمد بن صالح (ت:1421هـ): **شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى**، خرج أحاديثه وعلق عليه: أسامة عبد العزيز. ط(1). دار التيسير للنشر والتوزيع. 1426هـ–2005م، ص:382.

[5] ابن كثير: **تفسير ابن كثير**، 155/3. // وانظر: هرّاس: محمد خليل: **شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية**، ط(1). الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد. 1413هـ–1992م، ص:177.

إن معيّة الله، لم تنقطع عن موسى –عليه السلام– وهو في أشد الكربات، حين تراءى الجمعان، قالت له بنو إسرائيل: [إِنَّا لَمُدْرَكُونَ] {الشعراء:61}، فقال قولة الواثق بتأييد الله: [كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ] {الشعراء:62}، فاستمر بمسيرته في عرض البحر، وقوم فرعون يتبعونهم، إلا أن قول موسى –عليه السلام– يشعر باستقرار معاني حفظ الله له، وللفئة المؤمنة من بني إسرائيل، والتي سرعان ما ترجمت بإغراق فرعون وملئه.

وقد حكا لنا الحق –سبحانه– عن تلك المعية مع صفوة الخلق محمد –صلى الله عليه وسلم– [إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا] {التوبة:40}، "فالمراد بالمعيّة هنا معية النصر والعصمة من الأعداء"[1]، فقد حفظهما الله من قريش وأعمى بصيرتهم فلم يروهم، مع أنه لو نظر أحدهم إلى قدميه لرآهما.

مما سبق يتبين لنا أن المؤمن حين يستشعر تلك العناية الخاصة فإنه:

1. لا بد أن يلتزم حدود الله، فيكون من المتقين؛ لأن الله يؤيدهم؛ وهو معهم أين ما كانوا، فلا يفتقده الله حيث أمره، ولا يجده حيث نهاه.

2. يزداد يقينا بإحاطة الله –عز وجل– بكل شيء، فهو مع خلقه، لا يغيب عنه شيء من أحوالهم أبدا.

3. وإن ذلك يوجب لنا كمال مراقبته، بالقيام بطاعته، وترك معصيته، مما يكسبنا الخشية من الله، والخوف من عصيانه[2].

المطلب الرابع: الشعور بالطمأنينة القلبية

إن التعبد إلى الله بالدعاء، يضفي سكينة على النفس، تطرد باستقرارها وثباتها كل هواجس الشك والاضطراب، وفي ذلك يقول الحق –سبحانه–: [الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ] {الرعد:28}.

---

[1] هرّاس: **شرح العقيدة الواسطية**، ص:176.

[2] انظر: **مباحث مهمّة في معية الله لخلقه**–شبكة سحاب السلفية، http://www.sahab.net/FORUMS/showthread.php?t=304369.

والطمأنينة: تعني السكون[1].

وإذا أضيفت إلى القلب فإنها تكون "بزوال الشك منه واستقرار اليقين"[2].

إن هذا الاطمئنان الذي سكن قلوب مَنْ وصفهم الله بالإيمان، وأثنى عليهم، يتجدد في قلوبهم على الدوم؛ لذا نجد القرآن عبّر عن الاطمئنان بصيغة المضارع، فقال: "تَطْمَئِنُّ" والذي يدل على دوام التجدد والاستمرارية، لتشمل هذه الطمأنينة، جنس كل القلوب إلى يوم القيامة[3]، بما فيهم قلوب أنبياء الله تعالى.

ولما كان معنى الطمأنينة سكون القلب، وعدم اضطرابه، وبها الأمن والتحرر من الخوف، فقد استشعرها الأنبياء وكانت آثاراً مترتبة على دعائهم.

فهذا نبي الله نوح –عليه السلام– أبو البشر الثاني، فبعد أن خاض غمار المواجهة مع المتعنتين من قومه، واستنصر الله وطلب منه أن [أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ] {المؤمنون:29}، وكان ذلك بعد الطوفان، فاستجاب الله له، وأراحه من كدر ما لاقى من قومه، وأنزل عليه الأمن والسكينة، وأنزله منزلا "مباركا"، يمارسون فيه دينهم بحرية وأمان، دون خوف وضجر واستهزاء [قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ] {هود:48}.

يقول الشيخ الشعراوي: "والمقصود بالسلام هو الأمن والاطمئنان، فلم يعد هناك من الكافرين ما ينغص على نوح –عليه السلام– أمره، ولن يجد مَنْ يكدّر عليه بالقول [جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا] {هود:32}، ولن يجد مَنْ يتهمه بالافتراء"[4].

وأما إبراهيم –عليه السلام– الذي أراه الله ملكوت كل شيء إلا أنه –عليه السلام– أراد أن يرتقي في يقينه، برؤية كيفية إحياء الموتى، ليس شكاً بقدرة الله على الإحياء، إنما الأمر

---

[1] ابن منظور: **لسان العرب**، 268/13.

[2] السمعاني: **تفسير القرآن**، 92/3.

[3] انظر: أبو السعود: **إرشاد العقل السليم**، 20/5. // وانظر: الآلوسي: **روح المعاني**، 149/13.

[4] الشعراوي: **تفسير الشعراوي**، 6487/11.

يتعلق باستقرار تصبو إليه نفسه، وطمأنينة قلبه، فقال: [وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي] {البقرة:260}، أي "ليسكن إلى المعاينة بعد الإيمان بالغيب"[1].

هكذا كان الاطمئنان طريقا إلى الارتقاء بدرجات الإيمان، كما كان رجاء بعد خوف، وسكينة بعد ضجر، ووحدانية بعد شك.

المطلب الخامس: الثناء الحسن والذكر الخالد

رغّب الله عباده في الدعاء، بأنه قريب منهم [وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ] {البقرة:186}.

كما أنه –سبحانه– توعّد من يعرض عن دعائه، وعدّ ذلك استكبارا فقال: [إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ] {غافر:60}.

وقد أثنى الله –سبحانه– على أنبيائه في تحقيقهم للدعاء، ونعتهم به، فوصفهم بأوصاف كريمة، وذكر محامدهم بأعظم ما يمكن أن يُذكروا به من الكلام.

لقد ذكر القرآن الكريم عدة آيات، تتضمن ثناءً عليهم، فكان بعضها أثرا لما طلبوه، وكان بعضها ثناء على تضحياتهم في تبليغهم رسالات ربهم، وقيامهم بحق الله، بتحقيق طاعته، والذي يعنينا في هذا المقام ما كان أثرا مترتبا على دعائهم، وتضرعهم إلى الله في كل أحوالهم؛ ليبقي ذكرهم للأجيال المتعاقبة كما طلبوا.

وقد بيّن الحق –سبحانه– أنّ باعث هذا الثناء، والوصف الجميل لأنبيائه بأنهم كانوا ذوي دعاء مستمر، ومبادرة في وجوه الخيرات، مع ثباتهم واستقرارهم في أصلها، وليسوا بخارجين عنها، وذلك في قوله تعالى: [إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ] {الأنبياء:90}، لهذا آثر الحق –سبحانه– استخدام كلمة "في" بدلا من كلمة "إلى"، التي تشعر أنهم خارجون عن أصل الخيرات متوجهون إليها[2].

---

[1] ابن منظور: **لسان العرب**، 268/13.

[2] انظر: أبو السعود: **إرشاد العقل السليم**، 83/6.

إذن كان هذا الثناء الحسن على الأنبياء، أثرا مترتبا على استمرارهم في الدعاء ومسارعتهم في الخيرات.

وفي هذه الآية، يتبيّن لنا وجه دلالة ثناء الله عليهم من خلال:

1. أنهم كانوا كثيري الشكر والتسبيح والاستغفار بخشوع، فهم يسارعون في الخيرات.

2. أثنى على كيفية دعائهم أنهم [وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ] {الأنبياء:90}.

وقد فصّل ذلك في مواطن، فمنه ما وصف به شُكر نوح وإبراهيم –عليهما السلام– فوصف نوحا –عليه السلام– بأنه كان يُثني على المنعم، فقال: [إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا] {الإسراء:3}، أي "كثير الشكر في مجامع حالاته"[1].

وأن إبراهيم –عليه السلام– كان [شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ] {النحل:121}، أي أنه كان لا يخل بشكر النعمة القليلة، فكيف بالكثيرة! ودلالة هذا الفهم من خلال ورود جمع القلة "أنْعُمِه" [2].

أمّا في مقام **التوبة**، فقد مدح –سبحانه– كثرة رجوعهم إليه، واستغفارهم، فقال مثنياً على نبيه داود –عليه السلام–: [وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ] {ص:17}.

كما وأثنى على سليمان –عليه السلام– فقال: [وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ] {ص:30}.

وأثنى على أيوب –عليه السلام– فقال: [إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ] {ص:44}. وقد جاء في معنى "أوّاب" أي أنه "رجّاع إلى الله بالاستغفار والتوبة"[3]، وكان من ثناء الله على أنبيائه، أنهم استحقوا أن يجتبيهم ويصطفيهم دون خلقه، في حين أن أصل الاجتباء "الجمع على طريق الاصطفاء... واجتباء الله العبد، تخصيصه إياه بفيض إلهي، يتحصّل له منه أنواع من النعم، بلا سعي من العبد، وذلك للأنبياء وبعض من يقاربهم"[4]، فاصطفى الله إبراهيم –عليه السلام– فقال: [وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ] {البقرة:130}،

---

[1] المرجع السابق، 156/5.

[2] انظر: المرجع السابق نفسه، ص:149.

[3] ابن سيده: **المخصص**، مج4، 95/13. // وانظر: الشوكاني: **فتح القدير**، 436/4.

[4] الأصفهاني: **المفردات**، ص:87.

وتجمعت في شخصه خصال أمة [إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً] {النحل:120}، وقال أيضا: [إِنَّ اللهَ اصْطَفَى أَدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى العَالَمِينَ] {آل عمران:33}.

وفي يونس –عليه السلام– قال: [فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ] {القلم:50}.

وقد أخلد الله –سبحانه– ذكر أنبيائه ولم ينحصر هذا الذكر بزمن معين، بل امتد أثره لمن تعاقب من الأجيال إلى يوم القيامة، فقال تعالى في ذكر نوح –عليه السلام–: [وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ]{الصَّافات:78}.

ويفسر الآلوسي: "تركنا عليه" بـــ "الثناء الحسن، وأبقيناه له فيمن بعده، إلى آخر الدهر"[1].

وأما "في سلام الله عليه"، فيقول الطبري: بأنها "أمنة من الله لنوح في العالمين، أن يذكره أحد بسوء"[2].

ونحو هذا الخلود بالذكر الحسن والثناء، يمتد ليشمل خليل الله –عليه السلام– "ولذلك لا ترى أمة من الأمم إلا وهي محبة له ومثنية عليه"[3]، وفي ذلك يقول سبحانه: [وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ(108) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ(109)] {الصَّافات}.

---

[1] الآلوسي: **روح المعاني**، 99/23.

[2] الطبري: **جامع البيان**، 68/23.

[3] أبو السعود: **إرشاد العقل السليم**، 250/6.

المبحث الثالث

آثار اجتماعية

اكتسبت الحياة الاجتماعية أهمية بالغة في دين الله، والتي تركزت في إصلاح الفرد الذي هو أساس الأسرة، والتي بدورها اللبنة الأساس في تكوين المجتمع.

وإن "منهج القرآن... يبتدئ بالتنديد أو بالنهي عن ظواهر المجتمع المادي وهو المجتمع الجاهلي، تمهيدا لإلغاء اعتبارها في نفوس المؤمنين"[1].

وقد تبيّن لنا من خلال دعاء الأنبياء أن القرآن الكريم وضع أساسا للعلاقات والروابط بين الأفراد، "ظهر في خطاب الله معاتبا نوحا –عليه السلام– في شأن ولده، إذ يقول له: إنه ليس من أهلك... فهنا ينكر الله على نوح أن يحيي رابطة القرابة والدم... في ظل رسالة ترى الترابط بين الأفراد في علاقات الإيمان بالله وحده... ومن أجل هذا الأساس... كان أيضا: عتاب الله لرسوله محمد –صلى الله عليه وسلم– والمؤمنين في شأن استغفارهم لأقربائهم"[2].

وإن من دلائل اهتمام الأنبياء في قضايا المجتمع، ربطها بالدعاء، والأنبياء بمنهجهم الرباني في الدعاء، ربطوا بين العقيدة وبين الحياة الاجتماعية والسلوك الاجتماعي، ظهرت بصور، منها ما كان من اعتنائهم بأهل بيتهم، وإصلاح ذرياتهم، وترجمة حياتهم ترجمة واقعية لكل ما أنزله الوحي لتقديم أنموذج قدوة وتربية الأجيال المتعاقبة على أساسه، ومن هنا فقد قسمت هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب على النحو الآتي:

المطلب الأول: رعاية الأنبياء للأهل والاعتناء بهم

ظهرت في أدعية الأنبياء أسس العلاقة القائمة بينهم وبين ذويهم المؤمنين، فقد حققوا بهذه العلاقة نظاماً ربانياً، استنباطاً من المنهج القرآني في الدعاء، بأن يبدأ الإنسان بنفسه، ثم الأقرب فالأقرب، ثم باقي المؤمنين، استدلالاً من أمره –سبحانه– البدءُ فيهم في الدعوة إلى الله، فقال الله تعالى لنبيه: [وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ] {الشعراء:214}، فقد خصّ الإسلام دعوة

---

[1] البهيّ، محمد: **منهج القرآن في تطوير المجتمع**، ط(2). القاهرة: مكتبة وهبة. 1416هـ–1995م، ص:4.

[2] المرجع السابق نفسه، ص:68–69.

الأقربين بالذات "لأن الاهتمام بشأنهم أولى، وهدايتهم إلى الحق أقدم"[1]، فكان من باب أولى أن نقدمهم في دعائنا.

ومن هنا كان الواجب، البدء بالنفس والأقارب، في تطبيق أمر الله، وأن الدعاء لهم آكد، وقد ظهر في دعاء الأنبياء مواضع الاهتمام والاعتناء بأهلهم في أكثر من صورة، ومنها:

أولاً: من خلال الدعاء بطلب الذرية "الصالحة":

من مظاهر اعتناء الأنبياء بأهلهم، أنهم سألوا الله بأن يرزقهم الذرية الصالحة، والمتتبع لأدعية الأنبياء يجد ذلك جليّاً في بعض أدعيتهم، فيظهر في دعاء خليل الله، بعد أن انتهى أمره مع أبيه وقومه، أُمر إبراهيم –عليه السلام– بالهجرة، وقد كانت هجرة نفسية، قبل أن تكون مكانية، هجرة يترك فيها أباه وقومه ووطنه، مسلماً نفسه لربه.

وكان حتى تلك اللحظة، وحيداً لا عقب له، وقد ترك أواصر الأهل والقربى، وانتهى ما بينه وبينهم، بعد أن علم أنهم أعداء الله، فاتجه إلى ربه، يسأله ذرية مؤمنة وخلفا صالحاً؛ يؤنسه في غربته قائلا: [رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ] {الصَّافات:100}[2].

كما أن زكريا –عليه السلام– الذي تربطه بإبراهيم –عليه السلام– وحدة العقيدة، –مع اختلاف زمانيهما– ووحدة الغاية من سؤال الذرية، فقد سأل الله ذرية طيبة [رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً] {آل عمران:38}، ذرية يتأمل فيها الرضى [وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا] {مريم:6}، ووليّاً لله [فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا] {مريم:5}.

ثانياً: من خلال الاستغفار والدعاء لهم:

أظهر الأنبياء اهتماما بأهل بيتهم وأسرهم، بطلب المغفرة لهم؛ لأن صلة الإنسان بأهله توجب عليه ذلك، فكيف إذا كانوا من الأنبياء، وهم مشاعل هداية للناس يضربون لهم أروع الأمثال.

كان الأنبياء على وعي تام، بأن يصونوا أهلهم وذريتهم من أن يمسهم العذاب[3]، رحمة بهم، وطمعا بمغفرة الله لهم، وحفاظا منهم على العلاقات الإيمانية مع أهلهم، وإن المتتبع

---

[1] الشوكاني: **فتح القدير**، 120/4.

[2] انظر: قطب: **في ظلال القرآن**، 62/7.

[3] حيث الغفران هو "أن يصون العبد من أن يمسه العذاب". // انظر: الأصفهاني: **المفردات**، ص:362.

لاستغفار الأنبياء يجد أن بعضا منهم من دعا لوالديه، ومنهم من دعا لأبنائه، ومنهم لإخوته، ومنهم للمؤمنين.

فممّن دعا لوالديه، برّاً بهما، نوح –عليه السلام– حين توجه لله قائلا: [رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ] {نوح:28}، فقد "خصّ نفسه ثم المتصلين به؛ لأنهم أولى وأحق بدعائه، ثم عمّم المؤمنين والمؤمنات"[1]، منطلقاً بدعائه لهم من حق الأخوة القائم على وحدة العقيدة.

ومثل هذا الدعاء ورد عن الخليل –عليه السلام– [رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الحِسَابُ] {إبراهيم:41}.

وقد دعا قبل هذا الدعاء بجملة من الدعوات الطيبات لأبنائه أن يبعدهم ويجنبهم وينقذهم من ظلمة الشرك وينعم عليهم بنور التوحيد، بأن يبعدهم عن عبادة الأصنام؛ لأنها سبب في هلاك كثير من الناس، فقال: [وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ] {إبراهيم:35}، ثم دعا أن يجعل أفئدة المؤمنين تحب المكان الذي هم ساكنوه، فقال: [فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ] {إبراهيم:37}.

ثم حمد الله على النعمة التي أسداها إليه، بأن وهبه الذرية الصالحة، داعيا لهم بالاستدامة على إقامة شعائر الدين، قائلا: [الحَمْدُ للهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ(39) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ(40)] {إبراهيم}.

وعلى دأبه مضى يعقوب –عليه السلام– في وفائه لأبنائه والقيام بحقهم، فنجده يدعو لحفظ ولده –بعدما فقد يوسف– داعيا باسم الله الحفيظ [فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ] {يوسف:64}، حيث إن حفظ الله له خير من أي حفظ.

ورغم تقصير أبنائه بحق الله، وما فعلوه بيوسف –عليه السلام– نجد يعقوب –عليه السلام– يلبّي ما طلب منه أبناؤه، بأن يستغفر لهم، ولم يردّهم؛ لأنه حريص على وُدّهم، وقد اختار وقتا هو مظنة الإجابة، وقت السحر –على أحد الأقوال–[2]. كما غفر لهم يوسف –عليه

---

[1] الرازي: **مفاتيح الغيب**، 130/30.

[2] قال به أكثر المفسرين، انظر على سبيل المثال: الطبري: **جامع البيان**، 64/13. // وانظر: ابن الجوزي: **زاد المسير**، 287/4. // السعدي: **تيسير الكريم الرحمن**، 405/1.

السلام- من قبل، على ما كان منهم قائلاً: [يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ] {يوسف:92}، "فسمح لهم سماحا تاما من غير تعيير لهم على ذكر الذنب السابق، ودعا لهم بالمغفرة والرحمة، وهذا نهاية الإحسان، الذي لا يتأتى إلا من خواصّ الخلق"[1].

وعلى خطاهم سار موسى -عليه السلام- حين قصّر هارون في نهي قومه عن عبادة العجل قائلا [رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ] {الأعراف:151}.

هذا هو دأب الأنبياء الكرام، استغفار ودعاء لكل من تربطه معهم رابطة الإيمان؛ حرصا منهم على أواصر الأخوّة والمحبة في المجتمع.

ثالثاً: من خلال تحقيق مبدأ التعاون والتناصر في إقامة الدين:

إن علاقة إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- قائمة على مبدأ التعاون، فقد كان إسماعيل -عليه السلام- يمثّل علاقة الابن البارّ بأبيه، ومن المواقف التي ظهرت فيها هذه العلاقة، ما رسمه القرآن الكريم من صورة حيّة لإبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- تتجدد كلما نقرؤها، وذلك حينما توجها إلى الله بالدعاء [رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ] {البقرة:127}.

هذا الدعاء الذي كان مصاحبا لرفع القواعد من البيت، الذي هو من المسؤوليات العظيمة التي أوكلت لإبراهيم -عليه السلام- حيث كان أول بيت وضع للناس.

إن إعانة إسماعيل لأبيه في هذا العمل، الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بالعقيدة، ليعبّر عن الأصل في العلاقات، والأسس القائمة عليها، من تعاون في الطاعات وأعمال الخير، ويعبّر كذلك عن أن هذه الرابطة تقوم على وحدة العقيدة.

كذلك كان اتخاذ موسى أخاه هارون -عليهما السلام- وزيراً وردءاً له، يشد به أزره، فهو ينبثق من المبدأ نفسه، وهو التعاون فيما بينهم لنصرة العقيدة، وتحمل أعباء الدعوة، وتقوية الظهر، وقد فصل موسى -عليه السلام- في دعائه ذاكرا ما يعينه على أمره وييسر له إتمامه وهو:

---

[1] السعدي: **تيسير الكريم الرحمن**، 405/1.

أ- طلب أن يعينه أحد من أهله؛ ليتحمل معه ثقل الدعوة وهمومها فقال: [وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي] {طه:29}، وقد اختار لفظ الوزير؛ لأن فيه معنى تحمل الوزر، والوزير من "يؤازرك على الشيء، أي يعينك ويتحمل عنك بعض ثقله"[1].

ب- طلب شدّ أزره بأخيه؛ من أجل تقوية ظهره، فقال: [اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي] {طه:31}[2].

ج- طلب إشراكه في النبوة؛ لأن الإشراك في النبوة لا يكون إلا من الله -عز وجل- فقال: [وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي] {طه:32}[3].

د- بيّن أن التعاون على الطاعة والذكر، هو الغاية من هذه الأدعية لأن "التعاون يهيج الرغبات، ويؤدي إلى تكاثر الخير وتزايده"[4]، فقال: [كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا(33) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا(34)] {طه}.

المطلب الثاني: إحلال الأمن والاستقرار في المجتمع

الدعاء من أعظم أسباب حصول الخيرات ودفع البليّات، فقد تحقق الخير في دعوات الأنبياء لمجتمعهم، بعدما توجهوا إلى الله بإحلال الأمن، وقد أظهروا من خلال محاورتهم لأقوامهم، أن التوجه إلى الله بالاستغفار من الذنوب، والرجوع عنها، سبب في الخيرات، ونزول البركات، يدل على ذلك نوح -عليه السلام- وهو يحاور قومه فيقول: [فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا(10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا(11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا(12)] {نوح}.

وهذا هود -عليه السلام- يقول: [وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ] {هود:52}.

نفهم من حوار الأنبياء أن الاستغفار والتوبة من الذنوب سبب لعدة أمور، وهذه الأمور مما يميل إليها الطبع، ومجبولة عليها النفس البشرية، وهي كما بينها الأنبياء أنها سبب في مغفرة

---

(1) السمعاني: **تفسير القرآن**، 328/3.

(2) انظر: ابن جُزيّ: **التسهيل لعلوم التنزيل**، 12/3.

(3) انظر: ابن الجوزي: **زاد المسير**، 282/5.

(4) البيضاوي: **أنوار التنزيل**، 59/2.

الذنوب، ونزول المطر وتكثير الأموال والأولاد، وأخيرا ما أضافه هود –عليه السلام– وهو زيادة القوة.

وإذا ما تدبرنا هذا الكلام، نستخلص أن هذه الأمور تجتمع في الأمن، وهي أهم عناصره، الذي طلبه الخليل –عليه السلام– وتحقق لأهل مكة.

حقاً، إن هذا الكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فقد ظهرت الآثار الطيبة التي ذكرها الأنبياء في حوارهم، وارتسمت آثارها على أجواء الحياة الاجتماعية، نتيجة الدعاء الذي دعاه إبراهيم –عليه السلام– وما أنعم الله به من أمن واستقرار على مكة وأهلها، وذلك في قوله تعالى: [رَبِّ اجْعَلْ هَذَا البَلَدَ آمِنًا] {إبراهيم:35}، وقوله: [رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ المُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ] {إبراهيم:37}.

ظهرت هذه النعمة "أمْنَاً" حلَّ بمكة "واستقراراً" في نفوس أهلها، ومع الأمن كان الخير كله.

ومن هنا نستطيع أن نستنتج الهدف من تقديم إبراهيم –عليه السلام– وابتدائه بطلب نعمة الأمن، وذلك لأنه "لا يتم شيء من مصالح الدين والدنيا إلا به"[1] أي بالأمن.

وإذا أنعمنا النظر وأمعنّا الفكر في دعائه، نجد العناصر التي تمثلت وتحققت بالأمن الذي طلبه وهي:

أ– فقد جعل الله مكة حرماً، لا يُسفك فيه دم، ولا يظلم فيه أحد، كما قال تعالى: [أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ] {العنكبوت:67}.

يقول الزمخشري في تفسير هذه الآية: "كانت العرب حول مكة يغزو بعضها بعضا، ويتغاورون، ويتناهبون، وأهل مكة قارّون آمنون فيها، لا يُغزون ولا يُغار عليهم، مع قلتهم وكثرة العرب، فذكّرهم الله هذه النعمة"[2].

---

[1] المسيري: **دلالات التقديم والتأخير**، ص:446.

[2] الزمخشري: **الكشاف**، 469/3.

ب- بعد أن أصبحت مكة حرماً آمناً، أصبح هناك حرية في إقامة الشعائر الدينية، لأن إبراهيم -عليه السلام- حين طلب الأمن لهذا البلد، طلب بعدها أنْ يُجنّب أبناءه عبادة الأصنام، وحين أسكن ذريته في ذاك الوادي، علّل ذلك وجعل غايته من إسكانهم [لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ] {إبراهيم:37}، أي "ليتمكن أهله من إقامة الصلاة عنده ويعمروه بذكرك وعبادتك"[1].

وكأن الأمن الذي طلبه إبراهيم -عليه السلام- كان تمهيداً لإقامة الشعائر الدينية، متمثلة بالصلاة عمود الدين، فأصبحت "الكعبة "بيت الله الحرام" وبيت حجّهم وقصدهم قاطبة، كانوا يلجأون إليها ويقصدونها دائما"[2].

ج- عمّر الله ذلك الوادي القفر، وأنعم عليه بالعيش الراغد، وكان هذا الإعمار بسبب تسارع الأفئدة لزيارته، [فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ] {إبراهيم:37}.

حيث إن كلمة تهوي توحي بالسرعة، ومن هنا نفهم أن تسارع الناس للقدوم إليها، مصحوبا بالمحبة والشوق إليها[3]؛ حيث إن ذكر الفؤاد يعبر عن المحبة، "وكأن المسرع هو الفؤاد لا الجسد... ومحبة الناس إياهم تحصل معها محبة البلد وتكرير زيارته، وذلك سبب لاستئناسهم به"[4].

إن من يتدبر معنى قول إبراهيم -عليه السلام- حين وصف الوادي أنه "غير ذي زرع"، ويتأمل صورة حديثة لهذا الوادي "مكة اليوم"، ليدرك تماما ويستقر في قلبه، بأنه يتوجب لمن "لم يجد أسباب المعاش موجودة، فعليه أن يتوجه إلى خالق الأسباب، مستقدراً قدرته -سبحانه- التي لا يعجزها سبب، وهذا يجعلنا نوقن أن إبراهيم حقا كان أمة، لأنه يعلّمنا أن لا نيأس إذا تخلت عنا الأسباب... فإذا ضاقت الأسباب فإن السماء مفتوحة"[5].

---

[1] المراغي: **تفسير المراغي**، 160/13.

[2] عبد الغفار، أحمد: **في الدراسات القرآنية الجانب التاريخي -الجانب الأسلوبي- الجانب البلاغي**، ط(2000م). بلا بلد نشر، دار المعرفة الجامعية، ص:15.

[3] انظر: السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (ت:756هـ): **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، (11مج). تحقيق: أحمد محمد الخراط. بلا ط وسنة نشر. دمشق: دار القلم، ، 115/7.

[4] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، 241/13-242.

[5] الشعراوي: **الدعاء المستجاب**، ص:50.

المطلب الثالث: تربية الأجيال بالقدوة

نهج الأنبياء في دعاء خالقهم، منهجاً ربانياً رسخوا فيه دعامة من أهم مبادئ الدعوة إلى الله، ذات أثر عظيم في التربية، إنها القدوة الحسنة، فلا يكفي في الدعوات الربانية، التي يقدّر لها البقاء والخلود، أن تأتي بمبادئ مثالية نظرية بعيدة عن احتياجات أفرادها، لا تمس واقعهم وحياتهم العملية، فلا بد من تجسيد تلك المبادئ واقعاً حيا، يرسّخ تلك المبادئ في النفس البشرية، ويؤصّل فيها المنهج الرباني القويم؛ لإنشاء جيل قرآني يذود عن الدين ويحميه[1].

لذا كان أنبياء الله حملة دينه ومبلغيه، مشاعل هداية للناس، وأفضلهم سيد الخلق محمد –صلى الله عليه وسلم– وقد أمرنا الحق –سبحانه– أن نتخذ النبي –صلى الله عليه وسلم– قدوة لنا، فقال –سبحانه–: [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا] {الأحزاب:21}.

كما أمر –سبحانه– نبيه أن يتبع هدى من كان قبله من الأنبياء فقال: [فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ] {الأنعام:90}، وقد امتثل –صلى الله عليه وسلم– لهذا الأمر، فإذا كان سيد الخلق، والمعصوم عن الخطأ مأمورا بالاقتداء بهدي الأنبياء في "الإيمان بالله –تعالى– وتوحيده وأصول الدين"[2]، فإننا نحن كذلك مأمورون بأن نقتدي بهم، وخير من نقتدي به هو سيد الثقلين محمد –صلى الله عليه وسلم–.

إن مجموع ما جاء به الأنبياء من الدعاء لله، يعبّر عن أصول ديننا ومجمل عقيدتنا، وإن الناظر فيه ليجد أنه حمل في طياته منهجا تربويا، يمثل نماذج قرآنية يُحتذى بها ويقتدى.

فقد ربط الأنبياء في الدعاء بين عقيدة الإيمان بالله وبين الحياة العملية، مما جعله يرسخ في النفس عقيدة ملأت القلب قناعة بهذا الدين العظيم.

من الملاحظ أن الحق –سبحانه– لم يحصر القدوة في صفة معينة، إنما هي عامة في كل صفات الأنبياء الخاصة، وفي كل ما يصدر عنهم من الأقوال والأفعال، والتي أقرها الله في كتابه، وارتضاها لنا.

---

[1] انظر: سابق، سيد (ت:1420هـ): **دعوة الإسلام**، ط(1). القاهرة: مكتبة وهبة. 1380هـ–1960م، ص:250.

[2] الآلوسي: **روح المعاني**، 216/7.

وإننا ومن خلال بحثنا في دعائهم، يتبين لنا الكثير من المواقف الخلقية السامية، والتي خُلّدت في كتاب الله؛ لتبقى منبّها للحسّ على ضرورة الاقتداء بها، وهي شاملة بشمول منهج الله –سبحانه– لذا فإنه من الصعب أن نطرح جميع مواقفهم التي لمسنا فيها القدوة الحسنة في دعائهم، وتربيتهم لنا، فآثرت أن ألقي الضوء على بعض منها، رجاء أن تفي بالغرض، وقد اخترت ثلاثة مواطن للقدوة الحسنة لمستها من خلال إنعام النظر في دعائهم وهي:

أولاً: الأنبياء أنموذج قدوة، في دوام اللجوء إلى الله:

إن أول ما يتبادر لدينا من تربية الأنبياء لنا بطريق القدوة من خلال دعائهم، هو: عمق العلاقة وروعتها بين الحق –سبحانه– وبين الأنبياء وذلك بدوام اللجوء إليه، والكيفية التي أدى بها الأنبياء دعاءهم، مع كل عمل، ومع كل حركة، بالليل وبالنهار، دَعَوه بلسان المقال، كما دَعَوه بلسان الحال.

إن القرآن بمنهجه الحكيم، حين يعرض لنا كل هذا الكمّ من الدعاء، والوصف الدقيق لكيفية أدائه، وفي كل أحواله وأحوال الأنبياء يوقظ حسّنا، ويلفت انتباهنا إلى ضرورة اتخاذهم قدوة.

فإنه بعد ما أمرهم بالدعاء، مدحهم، وأبقى ذكرهم، ثناءً حسناً في الدنيا والآخرة، ولنأخذ إبراهيم –عليه السلام– أنموذجا، فالحق –سبحانه– يمتدحه بصفة يجمع فيها صفات الخير كلها [إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً] {النحل:120}، كما كان كثير الدعاء، دائم التضرع إلى الله [إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ] {التوبة:114}، والأوّاه: "كثير الدعاء، وقيل موقن... وقيل كثير الذكر لله"[1]. وقيل الأواه " المتضرع الخاشع"[2]، ثم يبين أنه يشكر على أقل النعم [شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ] {النحل:121}.

وفي الحقيقة أن منهج الأنبياء كما وصفه القرآن في دوام لجوئهم إلى الله وبالهيئة التي أمر بها الحق –سبحانه– تذكّرنا بحقيقة فقرنا إلى الله، ودوام حاجتنا إلى عونه ونصره ووجوب إبقاء هذه الصلة دائمة بالله، فلا نقطعها[3]، قال تعالى: [وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا] {طه:124}.

---

[1] انظر: ابن جُزيّ: **التسهيل لعلوم التنزيل**، 86/2.

[2] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، 275/8.

[3] شديد: **منهج القرآن في التربية**، ص:187.

كما يذكّرنا، بذلّ عبوديتنا، وعز ربوبية ربّ الأرباب، وبالشعور الدائم بالتقصير، ووجوب سدّ الخلل، باستمرار الإنابة إلى الله، وكثرة الأوْب إليه، وأنه مهما علتْ درجة قرب العبد من الله فإنه يبقى في دائرة الحاجة إليه، والأنبياء جميعاً خير شاهد، إذ لم يستغنوا عن التوبة إلى الله، فمن باب أولى، أن نكون نحن إليها أحوج.

إذا ما استقرت هذه المعاني في نفوسنا، فإنّ واقع حياتنا سيتحول إلى حلقات اتصال مع الله، مستحضرين سيرة الأنبياء بكثرة لجوئهم إلى الله.

ثانياً: الأنبياء أنموذج قدوة في الصبر:

إن حياة الأنبياء قدوة يُحتذى بها في إبلاغ رسالتهم، وثباتهم على أدائها، والاصطبار على الأذى، وحين نستعرض أدعيتهم نستشفّ ملامح الصبر في الدعاء، سواء أكان الصبر على تحمل أذى الدعوة، أم الصبر على الابتلاءات التي تملأ حياتهم، بجوانبها المتعددة.

ولقد عرض القرآن الكريم هذه الفضيلة بأنموذج قرآني عظيم، وهو نبيّ الله أيوب –عليه السلام– مع أن المتطلع لحياة الأنبياء يجد أنهم تعرضوا للابتلاء جميعا وصبروا عليه، وكانوا بذلك لنا خير قدوة، لكنّ الله –تعالى– بيّن أنّ صبر أيوب –عليه السلام– كان دون شكوى أو سخط أو تبرم، بل تلقّته نفسه بالرضى التامّ والطمأنينة التي لا يشوبها شك بأن رب الأرباب رحيم، فيدعو بلسان حاله [أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ] {الأنبياء:83}، لذا مدح الله صبره وامتدح صاحبه [إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ] {ص:44}، أي "رجاع إلى الله بالاستغفار والتوبة"[1].

إن أيوب –عليه السلام– "مثلٌ أعلى لكل صاحب مصاب، في الصبر والالتجاء إلى الله، والاستقامة على طاعته، مهما كان المصاب فادحا والخطب عظيما"[2].

إن هذا النمط من الصبر بلغ بأصحابه منزلة، أصبحوا فيها قدوة للنّاس [وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا] {السجدة:24}.

---

[1] الشوكاني: **فتح القدير**، 437/4.

[2] العُمري، أكرم ضياء: **التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام**، ط(1). الرياض: مركز الدراسات والإعلام–دار إشبيليا، 1417هـ–1997م، ص:119.

إن لهذه النماذج الحيّة في القرآن الكريم "دور عظيم في تربية النفوس وتدريبها على تحمّل المشاق وتهيئتها؛ لمواجهة أي ظرف طارئ، أو محتمل، كما أن فيها تدريبا للقوى العقلية والذهنية وتوجيها لها؛ كي تسير على المنهج السويّ الذي يحقق الغاية المرجوة منها، كما أن في ذلك حماية لها من الزيغ والانحراف"[1].

ثالثاً: أنموذج لرمز العفة:

إن خلق العفّة يحمل العبد على الابتعاد عن كل ما يغضب الله تعالى، خشية له، واستشعاراً بمراقبته؛ لذا حرص القرآن على هذا الخُلق فقال تعالى آمرا به: [وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ] {النور:33}، فهذا نص صريح شاهد على تمثل هذا الخُلق، وإنه "ليس هناك من قوة إقناع، أبقى أثراً في النفس الإنسانية من النص القرآني، فهو يأخذ بمجامع القلوب ويسمو بها إلى صالح العمل، ويهيمن على النفوس، فتهدي الأمة إلى طريق الخير والسعادة نظرا لما يتضمنه من الخصائص العلية والدلائل الجلية في آياته البينات وضربه الأمثال للناس لعلهم يعقلون"[2].

لذا نجد أن القرآن الكريم له منهجه الفريد في عرض المواقف الخُلُقية مواطن القدوة؛ من أجل جذب انتباه المدعوين، وإيقاظ إحساسهم للقيمة الخلُقية، فتستحوذ على انتباههم، وما ذاك إلا لأجل تكوين الوعي بهذا الخلق، ولأجل أن تأتي الاستجابة النشطة لهذا الخلق، وتمثّل القيم من داخل هذا المدعو[3].

إن عفة يوسف –عليه السلام– رمز هذا الأنموذج القرآني استدلالاً من أدعيته –عليه السلام– ليتخذها شبابنا قدوة وأسوة ودرساً عملياً لهم في كيفية التعامل مع مثل هذه المواقف، والتعرّف على الأسباب المعينة على الخلاص، مع العلم أن يوسف –عليه السلام– عاش ظروفا

---

[1] حميد، صالح بن عبد الله: **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم**، (12مج). ط(4). جدة: دار الوسيلة للنشر والتوزيع. بلا سنة نشر، 26/1.

[2] دراز، محمد عبد الله، (ت:1377هـ): **من خلق القرآن**، تحقيق: عبد الله إبراهيم الأنصاري. ط(1399هـ–1979م). من مطبوعات إدارة الشؤون الدينية بدولة قطر، ص: أ من المقدمة.

[3] انظر: حميد: **نضرة النعيم**، 132/1.

لا تقل عن الظروف التي يعيشها شبابُنا، وهي جليّة ظاهرة يجدها من يستعرض السورة الكريمة.

والسؤال الآن: ما الذي تشبث به يوسف –عليه السلام– لينجو من أغلال ذل المعصية، ويغدو أنموذجا للعفة يُحتذى، ومثالا به يُقتدى! ومن ثَمّ يتشبث به شبابنا، لينجو من ذل المعاصي؟!

إن يوسف –عليه السلام– تمسّك بأمور ينبغي لكل من يسلك طريق العفّة أن يوقنها وهي: [1]

– الخوف من الله ومراقبته في أي موقف يتنازعه الهوى، فإن يوسف –عليه السلام– استحضر الخوف العظيم من الله فكانت الاستجابة لنداء الإيمان والحكمة قوية وسريعة "مَعَاذَ اللهِ"، "إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ" ،"إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ".

فكانت هذه الكلمات دالّة على خوفه من الله، مانعة له من فعل الفاحشة، فقد راعى فيها حفظ حقوق المجتمع الدينية والاجتماعية.

فهو لمّا قال: "مَعَاذَ اللهِ"، فقد راعى حق الله –تعالى– الذي يمنع من هذا العمل، ولمّا قال: "إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ" إشارة إلى حقوق الخَلق واجبة الرعاية.

ولما قال: "إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ" "إشارة إلى حق النفس ووجوب صونها عن الضرر".

– ومن الأمور التي أعانت يوسف –عليه السلام– على الثبات، معيّة الله وحفظه له [كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المُخْلَصِينَ] {يوسف:24}.

– ومن أعظم أسباب النجاة، فرارُه من أسباب المعصية، والتجاؤه إلى الحصن الحصين، بالدعاء والالتجاء إلى الله، والاعتصام به، حيث إن الإيمان يصون أهله ويحميهم فقال تعالى: [وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الجَاهِلِينَ] {يوسف:33}.

---

[1] انظر: **مقال على الشبكة العنكبوتية** بعنوان "قراءة في قصة يوسف من وجهة القدوة الصالحة لشبابنا". http://forums.ozkorallah.com/fllozorallah22740 // وانظر معاني دعاء يوسف: الرازي: مفاتيح الغيب، 92/18.

– وأخيراً، تهويل خطر المعصية، والتجرؤ على حدود الله، والتفكّر في عقوبة الآخرة، لذا نجد يوسف –عليه السلام– قد هانت عليه عقوبة الدنيا، واختار السجن [قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ] {يوسف:33}.

في نهاية هذا البحث، لا بد أن ننتهج دأب الأنبياء فنتذكر يوسف –عليه السلام– عند الفتن فنقول "مَعَاذَ اللهِ" ونتذكره عند الموت فنقول "تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ" ونتذكر آدم –عليه السلام– عند المعصية فنقول: [رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا]، ونتذكر نوح –عليه السلام– عند دعائه لوالديه [رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا].

ونتذكر إبراهيم –عليه السلام– فندعو لذريتنا [وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ]، و [رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ]، ونتذكره حين نتمّ عملنا [رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ]، ونتذكره فندعو لكل من فقد الأمن والطمأنينة [رَبِّ اجْعَلْ هَذَا البَلَدَ أَمِنًا].

ونتذكر يعقوب –عليه السلام– عند فقد الأحبة [فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ]، و [فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ المُسْتَعَانُ]، و [فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا]، ونتذكر أيوب – عليه السلام– عند أي همّ أو غمّ [أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ].

ونتذكر يونس –عليه السلام– وهو في الظلمات فنطلب النجاة من كل كرب [لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ].

ونتذكر موسى –عليه السلام– حين نُقدم على طاغية فندعو [رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي].

ونتذكر سليمان –عليه السلام– حين نرى النعم فنقول: [رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ].

ونتذكر زكريا –عليه السلام– عند حرمان الذريّة فنقول: [هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً]، و [رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الوَارِثِينَ].

ولن ننسى حبيب الله، وخير الدعاة، وقدوتنا محمدا –صلى الله عليه وسلم– لنقتدي بخُلُقه –كل خلقه– ولننهج نهجه في الدعوة، فنتلو آيات الله، نتعلّمها ونُعلّمها، ونتعلّم الحكمة ونُعلّمها، فتزكو نفوسنا، ونزكّي بها.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات، وأشكره تعالى على فضله، ونعمائه بأن مَنّ عليّ فأتممت هذا البحث، والصلاة والسلام على نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– وبعد:

ففي ختام هذه الدراسة، وبعد استعراض أدعية الأنبياء في القرآن الكريم، والوقوف على ما أورده المفسرون والعلماء حول هذه الأدعية، استدلالا من الآيات الكريمة، أودّ أن أوجز النتائج التي تمّ التوصل إليها:

1. دعاء الأنبياء في القرآن الكريم، جاء وفق المنهج الرباني، الذي ارتضاه الله لخلقه، والكيفية التي يجب أن يتحقق الدعاء بها.

2. الدعاء ذو أهمية كبيرة، ومكانة عظيمة في العقيدة الإسلامية، والشاهد التطبيقي على هذا أهميته في حياة الأنبياء.

3. تنبع أهمية الدعاء في حياة الأنبياء من حاجتهم للتعبد، والصلة الدائمة والمباشرة مع الله، والتوجه إليه رغبة ورهبة، كما تنبع من مهمتهم الدعوية وحاجتهم البشرية.

4. استنادا إلى حاجة الأنبياء للدعاء نستخلص أنواع الدعاء عندهم، والتي تنحصر في نوعين اثنين هما: دعاء العبادة والثناء ودعاء المسألة والطلب.

5. هناك تلازم بين نوعي الدعاء، فكل سائل راغب إلى الله راهب منه، يرجو رحمته ويخاف عذابه.

6. لدعاء الأنبياء دلالة على وجود الله ووحدانيته، فقد دلّ على ربوبيته، دعاؤهم لدفع الضرّ وجلب الخير، وما يدلّ على قدرته على التصرف وملكه للكون، وما دلّ الأنبياء على توحيد الألوهية تعبدهم به، وتوجههم لله، وتوكلهم عليه وحده، وتسليم أمورهم كلها إليه.

7. أثبت الأنبياء بدعائهم، أسماءً لله وصفاتاً، أثبتها الله لنفسه، كما أثبتها له الرسول –صلى الله عليه وسلم–.

8. لكل دعاء استجابة، فدعاء العبادة والثناء، له استجابة عبادة وثناء، كغفران الذنوب، ورفع الدرجات، وقبول التوبات، والإثابة على الطاعات، أما دعاء المسألة والطلب، فله استجابة مسألة وطلب، تتمثل بقضاء مختلف الحاجات.

9. مراتب الإجابة، إما أن تكون عاجلة، كما طلب النبيّ، أو خيرا مما طلب، وقد تتأخر تمشيا مع المشيئة الإلهية، كما قد لا يجاب إليه في الدنيا، ليعوّض ثوابا في الآخرة.

10. أكّد القرآن الكريم على الصفات التي لا تنفك عن دعاء الأنبياء –عليهم السلام– فأمر بإخلاص الدعاء لله وحده، فاتصف دعاؤهم بالإخلاص، ودعوه رغَبا ورهَبا، تارة بلسان الحال، وبلسان المقال تارة أخرى، كما سألوا الله بهمّة عالية، فجزموا بالدعاء ودعوه بيقين وأعظموا الطلب.

11. تميّزت أدعية الأنبياء بإيجاز العبارة وغزارة المعاني، فظهرت الحكمة في الطلب.

12. توسّل الأنبياء إلى الله بالطرق المشروعة، فدعوه بأسمائه الحسنى وبالأعمال الصالحة

13. تميّز دعاء الأنبياء بآداب من شأنها أن تجعله مستجاباً، فتناول دعاؤهم أدب الكلام، من حيث الثناء على الله، والتضرع والخضوع، وإظهار الافتقار إليه حال دعائه، فأسرعوا بالتوبة، واستمروا في الدعاء دونما يأس، لذا فقد شملت أدعيتهم، جميع من دخل بيتهم من المؤمنين.

14. تخيّروا لدعائهم أفضل الأوقات والأماكن والأحوال.

15. كان لدعاء الأنبياء أثر عظيم على العقيدة، فقد عمل على ترسيخها، ورسم معالمها، بإبراز الوحدانية لله.

16. حجّ الأنبياءُ أقوامَهم، بعد أن دعوا الله مستعينين بنصره وتأييده، فبان صدقهم.

17. تبيّن من خلال دعائهم، أن العقيدة هي الأساس في العلاقات بين الناس.

18. ترتّب على دعاء الأنبياء بعض السنن الكونية الثابتة، فكان الإهلاك المحتّم للقرى المعاندة، والنصر والتمكين للفئة المؤمنة.

19. كان لدعاء الأنبياء أعظم الأثر على النفس، من إصلاح للقلوب، وتعزيز للثقة بالله وحسن الظن به، والشعور الدائم بمعيّته، مما يضفي طمأنينة للقلب، كما كان له آثار اجتماعية، تتركز على بناء العلاقات بين الأنبياء وأهلهم، وإحلال الأمن والاستقرار في المجتمع.

20. شكّل الأنبياء بدعائهم، منهجاً ثابتاً في الحياة، وأنموذجا فريداً للأجيال القادمة، ليحتذى حذوهم في الدعاء، فجسّدوا بدعائهم تربية للأجيال "بالقدوة".

وأنوّه في نهاية هذا البحث إلى أن ما فيه من خطأ، فمن نفسي ومن الشيطان، وإن أعوذ بالله منه، وما فيه من توفيق، فمن الله وحده، فلله الحمد من قبل ومن بعد.

وأسأله تعالى أن يتقبّل هذه الدراسة بقبول حسن، وأن يكتب لها القبول في عيون مشرفها ومناقشيها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهارس العامة للبحث

ويتضمن الآتي:

فهرس الآيات القرآنية.
فهرس الأحاديث النبوية.
فهرس الأعلام.
فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الآيات القرآنية

الرقم	الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
.1	[بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]	الفاتحة	6-1	37
.2	[إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ]	الفاتحة	5	3، 42
.3	[فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ]	البقرة	37	86
.4	[فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ]	البقرة	37	93، 148
.5	[وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا]	البقرة	83	152
.6	[إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا]	البقرة	124	70
.7	[وَمِنْ ذُرِّيَّتِي]	البقرة	124	119
.8	[لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ]	البقرة	124	87، 105، 191
.9	[وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا]	البقرة	125	86، 100، 128
.10	[رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آَمِنًا]	البقرة	126	62، 69، 128، 140، 177
.11	[رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ]	البقرة	127	43، 79، 110، 212
.12	[وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا]	البقرة	128	73
.13	[رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ]	البقرة	128	112
.14	[رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ]	البقرة	129	45، 138، 141، 178، 199
.15	[وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا]	البقرة	130	207
.16	[مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا]	البقرة	142	187
.17	[قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ]	البقرة	144	125
.18	[فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا]	البقرة	144	95، 187
.19	[فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ]	البقرة	144	95
.20	[الَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ]	البقرة	146	187
.21	[كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ]	البقرة	151	86، 101، 199
.22	[وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ]	البقرة	171	18
الرقم	**الآية**	**السورة**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
.23	[وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ]	البقرة	186	28، 50، 52، 55، 93، 206
.24	[فَإِنِّي قَرِيبٌ]	البقرة	186	33

.25	[أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ]	البقرة	186	84، 91
.26	[وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ]	البقرة	214	194
.27	[وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ]	البقرة	216	92
.28	[يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ]	البقرة	219	29
.29	[مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ]	البقرة	255	24
.30	[رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ]	البقرة	258	137
.31	[رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي المَوْتَى]	البقرة	260	66، 118، 136، 137، 186، 189
.32	[أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي]	البقرة	260	137
.33	[وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي]	البقرة	260	206
.34	[فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ]	البقرة	260	99
.35	[رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا]	البقرة	286	121
.36	[إِنَّ اللهَ لَا يُخْلِفُ المِيعَادَ]	آل عمران	9	90
.37	[الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا]	آل عمران	16	37
.38	[قُلِ اللهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ]	آل عمران	26	67، 154
.39	[تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ]	آل عمران	27	67
.40	[لَا يَتَّخِذِ المُؤْمِنُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ]	آل عمران	28	190
.41	[إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ]	آل عمران	33	208
.42	[هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ]	آل عمران	38	18، 63، 66
.43	[قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً]	آل عمران	38	78، 149، 210
.44	[أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى]	آل عمران	39	98
.45	[قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ]	آل عمران	40	66، 181
.46	[وَقَدْ بَلَغَنِيَ الكِبَرُ]	آل عمران	40	67
الرقم	**الآية**	**السورة**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
.47	[وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالعَشِيِّ]	آل عمران	41	179

.48	[إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ ...]	آل عمران	59-61	21
.49	[مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ]	آل عمران	59	72
.50	[فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ]	آل عمران	61	72
.51	[ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ]	آل عمران	61	20
.52	[وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ]	آل عمران	62	72
.53	[قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ]	آل عمران	64	71
.54	[مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا]	آل عمران	67	102
.55	[إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ]	آل عمران	68	102
.56	[وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ]	آل عمران	81	139
.57	[وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا]	آل عمران	97	178
.58	[وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا]	آل عمران	135	168
.59	[وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ]	آل عمران	140-41	194
.60	[فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ]	آل عمران	159	152
.61	[لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ]	آل عمران	164	87، 88، 101
.62	[رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ]	آل عمران	193	37
.63	[وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ]	النساء	32	33
.64	[إِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا]	النساء	43	86
.65	[إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ]	النساء	48	198
.66	[وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ]	النساء	64	105
.67	[وَكَفَى بِاللهِ عَلِيمًا]	النساء	70	77
.68	[مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً]	النساء	85	24
.69	[وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ]	النساء	110	197
.70	[لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ]	النساء	165	186

الرقم	الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
.71	[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ]	المائدة	35	33
.72	[وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ]	المائدة	51	191
.73	[يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ]	المائدة	67	43
.74	[قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ]	المائدة	76	17
.75	[هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً]	المائدة	112	187
.76	[نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا]	المائدة	113	155
.77	[وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا]	المائدة	113	187
.78	[وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيرُ الرَّازِقِينَ]	المائدة	114	76، 186
.79	[قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللهُمَّ رَبَّنَا]	المائدة	114	58، 155
.80	[اللهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً]	المائدة	114	142، 154
.81	[فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ]	المائدة	115	103
.82	[سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ]	المائدة	116	75، 117، 157
.83	[إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ]	المائدة	116	112
.84	[تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ]	المائدة	116	77
.85	[إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ]	المائدة	118	156
.86	[وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ]	الأنعام	17	32
.87	[قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ]	الأنعام	40	32
.88	[بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ]	الأنعام	41	33، 91
.89	[وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ]	الأنعام	42-43	4
.90	[فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا]	الأنعام	43	34، 200
.91	[وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ]	الأنعام	52	38
.92	[وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ]	الأنعام	59	77
.93	[قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ]	الأنعام	71	16
.94	[وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ العَالَمِينَ]	الأنعام	71	68
الرقم	**الآية**	**السورة**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
.95	[وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ]	الأنعام	75	99

.96	[إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ]	الأنعام	79	69، 73
.97	[وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا]	الأنعام	88	110
.98	[فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ]	الأنعام	90	216
.99	[وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ]	الأنعام	109	126
.100	[قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ]	الأنعام	162-163	42
.101	[قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ]	الأنعام	161-163	68
.102	[فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا]	الأعراف	5	12
.103	[فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ]	الأعراف	22-23	170
.104	[فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا]	الأعراف	22	128
.105	[رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا]	الأعراف	23	43، 46، 58، 60، 72، 116، 128، 148، 159
.106	[قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ]	الأعراف	29	34
.107	[وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ]	الأعراف	29	1
.108	[أَلَا لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ]	الأعراف	54	59
.109	[ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ]	الأعراف	55	19، 36، 52، 53، 54، 160، 162
.110	[وَلَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا]	الأعراف	56	53، 54
.111	[إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ المُحْسِنِينَ]	الأعراف	56	36
.112	[وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِأَيَاتِنَا]	الأعراف	72	193
.113	[وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ]	الأعراف	84	193
.114	[فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُجْرِمِينَ]	الأعراف	84	193
.115	[وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا]	الأعراف	89	158
.116	[رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالحَقِّ]	الأعراف	89	68، 75، 167، 186
.117	[فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي]	الأعراف	91	193، 197
.118	[وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ]	الأعراف	137	193
الرقم	**الآية**	**السورة**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
.119	[رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ]	الأعراف	143	63، 79، 106، 137، 171
.120	[لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الجَبَلِ]	الأعراف	143	106

121.	[فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا]	الأعراف	143	171
122.	[فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ]	الأعراف	143	74
123.	[يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى]	الأعراف	144	94
124.	[رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي]	الأعراف	151	61، 117، 159، 171، 212
125.	[رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ]	الأعراف	155	78، 148، 164
126.	[وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالكِتَابِ وَأَقَامُوا]	الأعراف	170	131
127.	[وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ]	الأعراف	172	31
128.	[وَلِلهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا]	الأعراف	180	37، 51، 147
129.	[قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا]	الأعراف	188	89
130.	[إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الكِتَابَ]	الأعراف	196	136
131.	[وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ]	الأعراف	200	23
132.	[وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً]	الأعراف	205	19، 160
133.	[يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ]	الأنفال	1	29
134.	[إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ]	الأنفال	2	188
135.	[إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ]	الأنفال	10-9	180
136.	[إِذْ تَسْتَغِيثُونَ]	الأنفال	9	25، 78، 100، 127
137.	[أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ المَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ]	الأنفال	9	100
138.	[وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى]	الأنفال	10	100
139.	[وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ]	الأنفال	33	198
140.	[إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ]	الأنفال	46	202
141.	[وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ المُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ]	التوبة	6	26
142.	[إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ]	التوبة	40	136
الرقم	**الآية**	**السورة**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
143.	[إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ]	التوبة	40	204
144.	[وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ]	التوبة	67	34
145.	[اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ]	التوبة	80	21، 105، 191
146.	[وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ]	التوبة	103	20

147.	[مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا]	التوبة	113	105
148.	[وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ]	التوبة	114	87، 106
149.	[فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ للهِ]	التوبة	114	191
150.	[إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ]	التوبة	114	217
151.	[فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ]	التوبة	129	72، 82، 134، 157
152.	[دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللهُمَّ]	يونس	10	154
153.	[وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ للهِ]	يونس	10	12
154.	[وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ]	يونس	11	92، 100
155.	[وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ]	يونس	12	32
156.	[وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ]	يونس	18	17، 109
157.	[رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً]	يونس	88	63
158.	[رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى]	يونس	88	68، 122، 133
159.	[قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا]	يونس	89	102
160.	[فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ]	يونس	89	103
161.	[فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ]	يونس	92	193
162.	[ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا]	يونس	103	195
163.	[وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ]	يونس	106	55، 110
164.	[وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ]	هود	10-11	33
165.	[جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا]	هود	32	205
166.	[وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ]	هود	36	128، 174
الرقم	**الآية**	**السورة**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
167.	[وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ]	هود	37	87، 104
168.	[وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا]	هود	37	103
169.	[رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الحَقُّ]	هود	45	104، 117، 144
170.	[يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ]	هود	46	104، 191
171.	[إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ]	هود	46	87، 170
172.	[رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ]	هود	47	58، 60، 118، 123، 170
173.	[وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ]	هود	47	170

.174	[قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ]	هود	48	196، 205
.175	[وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ]	هود	52	213
.176	[إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ]	هود	56	70، 82
.177	[وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا]	هود	58	196
.178	[فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ]	هود	71	88
.179	[فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا]	هود	82	197
.180	[وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ]	هود	88	57
.181	[وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ]	هود	90	168
.182	[إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ]	هود	92	77
.183	[وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ]	هود	94	89، 196
.184	[ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ القُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا]	هود	100	194
.185	[فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ المُسْتَعَانُ عَلَى مَا]	يوسف	18	82، 129، 134
.186	[قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي]	يوسف	23	22، 129، 148، 189
.187	[كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالفَحْشَاءَ]	يوسف	24	220
.188	[وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ]	يوسف	32	166
.189	[قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي]	يوسف	33	10، 68، 119، 166، 221
.190	[وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ]	يوسف	33	60، 220
الرقم	**الآية**	**السورة**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
.191	[فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ]	يوسف	34	86
.192	[فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ]	يوسف	34	94
.193	[فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ]	يوسف	64	76، 202، 211
.194	[إِنِ الحُكْمُ إِلَّا للهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ]	يوسف	67	143، 201
.195	[قَالَ مَعَاذَ اللهِ أَنْ نَأْخُذَ]	يوسف	79	22، 129
.196	[فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ]	يوسف	83	103، 129، 164، 201
.197	[عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا]	يوسف	83	73، 129
.198	[إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ]	يوسف	86	129، 143، 174
.199	[وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ]	يوسف	87	174
.200	[إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا القَوْمُ]	يوسف	87	173

201.	[يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ]	يوسف	92	212
202.	[وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ]	يوسف	93	103
203.	[أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا]	يوسف	96	103، 129
204.	[وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى العَرْشِ]	يوسف	100	103
205.	[رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ المُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ]	يوسف	101	124، 149، 158
206.	[حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ]	يوسف	110	173، 194
207.	[لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي]	يوسف	111	193
208.	[سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ القَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ]	الرعد	10	78
209.	[لَهُ دَعْوَةُ الحَقِّ]	الرعد	14	35، 53
210.	[الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ]	الرعد	28	204
211.	[قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ]	الرعد	30	57، 70، 72
212.	[رَبِّ اجْعَلْ هَذَا البَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي]	إبراهيم	35-40	69
213.	[رَبِّ اجْعَلْ هَذَا البَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي]	إبراهيم	35	62، 128، 140، 177، 214
214.	[وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ]	إبراهيم	35	141، 211
الرقم	**الآية**	**السورة**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
215.	[رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ]	إبراهيم	37	140، 214
216.	[لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ]	إبراهيم	37	215
217.	[فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ]	إبراهيم	37	99، 211، 215
218.	[رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ]	إبراهيم	38	77، 158
219.	[الحَمْدُ للهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الكِبَرِ]	إبراهيم	39	149، 158، 211
220.	[إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ]	إبراهيم	39	57، 78
221.	[رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي]	إبراهيم	40	110، 189، 211
222.	[رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ]	إبراهيم	41	211
223.	[وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ]	إبراهيم	42	103
224.	[نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ]	الحجر	49	15
225.	[وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ]	الحجر	51	15
226.	[إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ]	الحجر	53	88
227.	[فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ]	الحجر	98	75

.228	[وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا]	النحل	53-54	33
.229	[وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ]	النحل	53	26
.230	[إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً]	النحل	120	208، 217
.231	[شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ]	النحل	121	207، 217
.232	[إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ]	النحل	128	203
.233	[إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا]	الإسراء	3	207
.234	[أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ]	الإسراء	57	147
.235	[وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي البَحْرِ ضَلَّ]	الإسراء	67	81، 185
.236	[وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ]	الإسراء	85	29
.237	[قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا]	الإسراء	93	59، 75
.238	[وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ]	الإسراء	109	163
الرقم	**الآية**	**السورة**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
.239	[قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ]	الإسراء	110	37
.240	[وَقُلِ الحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا]	الإسراء	111	59، 72، 159
.241	[وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ]	الكهف	27	131
.242	[وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ]	الكهف	28	38، 132
.243	[وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا]	الكهف	45	77
.244	[قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ]	الكهف	110	116
.245	[ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا]	مريم	2-3	160
.246	[نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا]	مريم	3	63، 77، 111، 189
.247	[رَبِّ إِنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ]	مريم	4	63، 111، 123، 144
.248	[وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا]	مريم	4	78
.249	[وَإِنِّي خِفْتُ المَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي]	مريم	5-6	46
.250	[فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا]	مريم	5	133، 210
.251	[وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا]	مريم	6	210
.252	[يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى]	مريم	7	88
.253	[لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا]	مريم	7	98
.254	[قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ....]	مريم	10-11	181

.255	[يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ]	مريم	42	78
.256	[سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي]	مريم	47	191
.257	[وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ]	مريم	48	17
.258	[عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا]	مريم	48	73
.259	[فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ]	مريم	49	17
.260	[إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا]	مريم	58	163
.261	[هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا]	مريم	65	98
.262	[وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ]	مريم	81-82	109
الرقم	**الآية**	**السورة**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
.263	[إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي]	طه	14	44
.264	[رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي]	طه	25-32	63
.265	[قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي]	طه	25-35	44
.266	[وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي]	طه	29	213
.267	[اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي]	طه	31	213
.268	[وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي]	طه	32	213
.269	[كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا(33) وَنَذْكُرَكَ]	طه	33-34	213
.270	[كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا]	طه	33-35	149
.271	[إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا]	طه	35	79
.272	[قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى]	طه	36	23، 90، 97
.273	[وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا]	طه	40	97
.274	[قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا]	طه	45	45، 61، 166، 203
.275	[قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى]	طه	46	98، 203
.276	[قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ]	طه	50	87
.277	[وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ]	طه	82	86، 198
.278	[وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي]	طه	105	29
.279	[وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ]	طه	115	46، 117
.280	[وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى]	طه	121	93
.281	[اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى]	طه	122	86، 93

.282	[وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً]	طه	124	217
.283	[وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ]	طه	130	179، 180
.284	[وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا]	الأنبياء	25	1، 184
.285	[وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَ]	الأنبياء	76	89، 196
.286	[وَنَصَرْنَاهُ مِنَ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا]	الأنبياء	77	196
الرقم	**الآية**	**السورة**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
.287	[وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ]	الأنبياء	83	39، 57، 67
.288	[أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ]	الأنبياء	83	47، 119، 124، 145، 153، 164، 218
.289	[فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ]	الأنبياء	84	39، 89، 96
.290	[وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا]	الأنبياء	87	111، 117
.291	[لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ]	الأنبياء	87	43، 74، 124، 157، 164
.292	[إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ]	الأنبياء	87	111
.293	[فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ]	الأنبياء	88	89، 94
.294	[وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا]	الأنبياء	89	17
.295	[رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الوَارِثِينَ]	الأنبياء	89	76، 122
.296	[إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ]	الأنبياء	90	42، 55، 130، 132، 175، 206
.297	[وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا]	الأنبياء	90	162، 207
.298	[رَبِّ احْكُمْ بِالحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ]	الأنبياء	112	70، 82
.299	[وَبَشِّرِ المُخْبِتِينَ]	الحج	34-35	163
.300	[يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ]	الحج	73	36
.301	[رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ]	المؤمنون	26	68
.302	[وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ]	المؤمنون	27	193
.303	[وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا]	المؤمنون	29	76، 205
.304	[فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالحَقِّ]	المؤمنون	41	196
.305	[حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالعَذَابِ]	المؤمنون	64	26
.306	[وَلَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ]	المؤمنون	71	92
.307	[وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا]	المؤمنون	76	163

.308	[قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ]	المؤمنون	93-94	68
.309	[وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ]	المؤمنون	97	23، 63، 112، 129
.310	[وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ]	المؤمنون	98	23، 63
الرقم	**الآية**	**السورة**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
.311	[وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا]	النور	31	168
.312	[وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا]	النور	33	219
.313	[كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا]	الفرقان	16	23
.314	[وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا]	الفرقان	30	154
.315	[وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ]	الفرقان	35	97
.316	[قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ]	الفرقان	77	42، 53
.317	[قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ]	الشعراء	12-13	120
.318	[فَلَمَّا تَرَاءَى الجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ]	الشعراء	61-62	135
.319	[إِنَّا لَمُدْرَكُونَ]	الشعراء	61	204
.320	[كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ]	الشعراء	62	136، 204
.321	[هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ]	الشعراء	72	78
.322	[الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ]	الشعراء	78-82	153
.323	[وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ]	الشعراء	82	60
.324	[رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ]	الشعراء	83-84	137
.325	[رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ]	الشعراء	83-85	189
.326	[وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ]	الشعراء	84	102، 121
.327	[وَاغْفِرْ لِأَبِي]	الشعراء	86	105
.328	[وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ]	الشعراء	87-89	167
.329	[رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ]	الشعراء	117-118	149
.330	[إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً]	الشعراء	139	193
.331	[رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ]	الشعراء	169	122
.332	[رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ]	الشعراء	169-171	89

333.	[إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً]	الشعراء	174	193
334.	[فَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ]	الشعراء	213	53
الرقم	**الآية**	**السورة**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
335.	[وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ]	الشعراء	214	209
336.	[وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ]	الشعراء	219	125
337.	[رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي]	النمل	19	158
338.	[قُلِ الحَمْدُ للهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ]	النمل	59	159
339.	[أَمَّنْ يُجِيبُ المُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ]	النمل	62	81، 181، 185
340.	[قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي]	القصص	16	43، 58، 61، 94، 171
341.	[فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ]	القصص	16	85
342.	[فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ]	القصص	16	86
343.	[قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ]	القصص	17	94، 171
344.	[قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ]	القصص	21	102
345.	[عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ]	القصص	22	73
346.	[رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ]	القصص	24	63، 97، 123، 153، 164، 166
347.	[فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ]	القصص	25	97، 166
348.	[لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ]	القصص	25	102
349.	[رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ]	القصص	33	61
350.	[وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا]	القصص	34	44
351.	[قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ]	القصص	35	90، 97
352.	[وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ]	القصص	77	118
353.	[وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ]	العنكبوت	14	45
354.	[رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى القَوْمِ المُفْسِدِينَ]	العنكبوت	30	68، 167
355.	[أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا]	العنكبوت	67	99، 214
356.	[وَلَهُ المَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ]	الرُّوم	27	75
357.	[وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ]	الرُّوم	33	32
358.	[اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ]	الرُّوم	40	88

الرقم	الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
.359	[وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ المُؤْمِنِينَ]	الرُّوم	47	195
.360	[تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ يَدْعُونَ]	السجدة	16	37
.361	[وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا]	السجدة	24	218
.362	[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ]	الأحزاب	9	100
.363	[لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ]	الأحزاب	21	216
.364	[الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ]	الأحزاب	39	44
.365	[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا]	الأحزاب	41	18
.366	[سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ]	الأحزاب	62	192
.367	[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا]	الأحزاب	70	152
.368	[قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ]	سبأ	22	36
.369	[يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ]	فاطر	15	28، 80، 165
.370	[فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ]	فاطر	43	192
.371	[إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ]	يس	82	136
.372	[فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ]	يس	83	89
.373	[وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ المُجِيبُونَ]	الصَّافات	75-76	89
.374	[فَلَنِعْمَ المُجِيبُونَ]	الصَّافات	75	89
.375	[وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الأَخِرِينَ]	الصَّافات	78	208
.376	[رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ]	الصَّافات	100	46، 62، 88، 210
.377	[فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ]	الصَّافات	101	88
.378	[وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الأَخِرِينَ]	الصَّافات	108-109	208
.379	[وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ]	الصَّافات	108	102
.380	[وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ]	الصَّافات	114	97، 102
.381	[وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ]	الصَّافات	115	89، 102، 196
.382	[وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الغَالِبِينَ]	الصَّافات	116	196، 197
الرقم	**الآية**	**السورة**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
.383	[فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ]	الصَّافات	143-144	4، 115، 159، 181

384.	[وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ]	ص	17	131، 171، 207
385.	[وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ]	ص	24-25	95
386.	[فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ]	ص	24	45، 61، 171
387.	[فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى]	ص	25	86
388.	[يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ]	ص	26	45
389.	[وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ]	ص	30	207
390.	[رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي]	ص	35	94، 137، 154، 159
391.	[فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً]	ص	36	94
392.	[أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ]	ص	41	67
393.	[ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ]	ص	42	96
394.	[وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا]	ص	43	88
395.	[إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ]	ص	44	39، 207، 218
396.	[وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا]	الزُّمر	8	32
397.	[قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ]	الزُّمر	11	110
398.	[اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا]	الزُّمر	23	163
399.	[ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ]	الزُّمر	23	163
400.	[أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ]	الزُّمر	36	202
401.	[قُلِ اللهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ]	الزُّمر	46	154
402.	[يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ]	الزُّمر	53	201
403.	[غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ]	غافر	3	1، 85
404.	[فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ]	غافر	14	35
405.	[وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ]	غافر	55	197
406.	[وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ]	غافر	55	179
الرقم	**الآية**	**السورة**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
407.	[وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ]	غافر	60	16، 30، 35، 49، 83
408.	[ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ]	غافر	60	33، 52، 89، 90، 201
409.	[إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي]	غافر	60	34، 83، 206
410.	[هُوَ الحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ]	غافر	65	35، 110

411.	[لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ]	الشُّورى	11	76
412.	[وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ]	الشُّورى	25	168
413.	[فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ]	الزُّخرف	43	131
414.	[وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ]	الزُّخرف	88	154
415.	[فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ]	الدُخان	22	98
416.	[فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ]	الدُخان	23	98
417.	[وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ]	الأحقاف	5	109
418.	[وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ]	محمد	19	176
419.	[وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ]	ق	16	29
420.	[فَفِرُّوا إِلَى اللهِ]	الذاريات	50	132
421.	[وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ]	الذاريات	56	4
422.	[إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ]	الذاريات	58	89
423.	[مَا زَاغَ البَصَرُ وَمَا طَغَى]	النَّجم	17	152
424.	[إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ المَغْفِرَةِ]	النَّجم	32	168، 198
425.	[وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى]	النَّجم	37	167
426.	[يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ]	الرَّحمن	29	23، 90
427.	[هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ]	الرَّحمن	60	ث
428.	[وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ]	الحديد	4	29، 203
429.	[لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالبَيِّنَاتِ]	الحديد	25	186
430.	[إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا]	المجادلة	7	203
الرقم	**الآية**	**السورة**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
431.	[وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا]	الحشر	10	176
432.	[لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ]	الممتحنة	4	106
433.	[رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ]	الممتحنة	4	70، 82
434.	[وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ]	الطَّلاق	3	202
435.	[قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ العَلِيمُ]	التَّحريم	3	15
436.	[فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ]	القلم	50	208
437.	[قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا]	نوح	5-14	127
438.	[فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا]	نوح	10-	213

			12	
439.	[فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا]	نوح	10	22، 159، 198
440.	[قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي]	نوح	21	45، 167
441.	[رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ]	نوح	26-27	138
442.	[رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ]	نوح	26	103، 122، 128
443.	[رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ]	نوح	28	43، 122، 133، 177، 211
444.	[وَأَنَّ المَسَاجِدَ للهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا]	الجنّ	18	1، 110
445.	[فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا]	الجنّ	18	35
446.	[قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ]	الجنّ	22	25، 26
447.	[عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ]	النَّبأ	2-1	15
448.	[سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى]	الأعلى	1	157
449.	[قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا]	الشمس	10-9	199
450.	[وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى]	الضُّحى	5	180
451.	[اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ]	العلق	1	102
452.	[الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ]	قريش	4	99
453.	[قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ]	الفلق	1	23، 112
454.	[قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ]	الناس	1	23، 112

فهرس الأحاديث النبوية

الرقم	طرف الحديث	الصفحة
1	ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة	134
2	أدعوك بداعية الإسلام	10
3	أدعوك بدعاية الإسلام	10
4	إذا دعي أحدكم فليجب	20
5	أفضل الذكر لا إله إلا الله	18
6	إن الله لا ينظر إلى أجسادكم	199
7	أنا عند ظن عبدي بي	135
8	الدعاء هو العبادة	4

9	دعوة ذي النون	56
10	كان إذا ذكر أحداً	178
11	كيف تفلح أمة	106
12	لا يموتن أحدكم	201
13	لكل نبي دعوة مستجابة	85
14	اللهم إني أعوذ بك من قول لا يسمع	84
15	ليس شيء أكرم على الله	30
16	ما من أحد يدعو بدعاء	91
17	ما من مسلم يدعو بدعوة	91
18	الندم توبة	168
19	ينزل ربنا تبارك وتعالى	53

فهرس الأعلام المترجم لهم

الرقم	العلم المترجم له	الصفحة
1	أبو البقاء الكفوي	11
2	الجرجاني	11
3	ابن جُزَيّ الكلبي	21
4	ابن الجوزي	13
5	ابن حجر	16
6	الحليمي	13
7	أبو حيان	61
8	سعيد الكرمي	10
9	أبو سليمان الخطّابي	13
10	سليمان بن عبد الله بن محمد عبد الوهاب	109
11	عائشة بنت الشاطئ	162
12	ابن عادل الدمشقي	50
13	فضل عباس	169
14	ابن القيم الجوزية	14
15	الماوردي	114
16	محمد بن عبد الوهاب	71
17	مرتضى الزبيدي	9

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

- الأتابكي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تَغْري بردي (ت:874هـ): **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،** (16مج)، ط(1). بيروت: دار الكتب العلمية. 1413هـ-1992م، قدم له: محمد حسين شمس الدين.
- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت:606هـ): **النهاية في غريب الحديث والأثر،** (5مج). تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحى. ط(1399هـ-1979م). بيروت: المكتبة العلمية.
- الأشقر، عمر سليمان عبد الله: **الرسل والرسالات،** ط(4). الكويت: مكتبة الفلاح-مكتبة دار النفائس، 1410هـ-1989م.
- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت:502هـ)، **المفردات في غريب القرآن،** تحقيق: محمد سيد كيلاني. بلا ط وسنة نشر. بيروت: دار المعرفة.
- الألباني، محمد ناصر الدين (ت:1420هـ): **صحيح الترغيب والترهيب،** (3مج)، ط(5). الرياض: مكتبة المعارف. بلا سنة نشر.
- ـــــــ: **صحيح سنن الترمذي،** (3مج)، ط(1). الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. 1420هـ-2000م.
- الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود (ت:1270هـ): **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،** (30مج)، بلا ط وسنة نشر. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت:256هـ): **الجامع الصحيح المختصر،** (6مج). تحقيق: مصطفى ديب البغا. ط(3). بيروت: دار ابن كثير-اليمامة. 1407هـ-1987م.

- البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن: **فقه الأدعية والأذكار**، بلا ط وسنة نشر. دار ابن القيم– دار ابن عفان.
- ـــــــــ: **فقه الأسماء الحسنى**، ط(1). الرياض: دار التوحيد للنشر. 1429هـ–2008م.
- أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت:1094هـ): **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري. ط(2). بيروت: مؤسسة الرسالة. 1419هـ–1998م.
- البلخي، مقاتل بن سليمان (ت:150هـ): **الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**، تحقيق: حاتم صالح الضامن. ط(1). دبي: مركز جُمعة الماجد للثقافة والتراث. 1427هـ–2006م.
- بنت الشاطئ، عائشة بنت عبد الرحمن (ت:1999م): **الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق**، ط(3). القاهرة: دار المعارف. بلا سنة نشر.
- البهي، محمد: **منهج القرآن في تطوير المجتمع**، ط(2). القاهرة: مكتبة وهبة، 1416هـ–1995م.
- البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت:791هـ): **تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، (2مج). حققه: مجدي فتحي السيد وياسر سليمان أبو شادي. بلا ط وسنة نشر. القاهرة: المكتبة التوفيقية.
- البيهقي، أبو بكر(ت:451هـ)، وآخرون: **شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العليا**، (2مج)، ط(1). القاهرة: دار ابن الهيثم. 1426هـ–2005م، اعتنى به وخرج أحاديثه: أبو عبد الرحمن عادل بن سعد.
- البيومي، محمد رجب: **من القيم الإنسانية في الإسلام**، (مجلد واحد يحوي جزأين)، بلا معلومات نشر.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت:279هـ): **الجامع الكبير سنن الترمذي**، (5مج). حققه: بشار عواد معروف. ط(2). دار الغرب الإسلامي، 1998م.

- التهانوي، محمد علي بن علي بن محمد (ت:1158هـ): **كشاف اصطلاحات الفنون**، (4مج)، ط(1). بيروت: دار الكتب العلمية. 1418هـ-1998م، وضع حواشيه: أحمد حسن بسج.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحرّاني (ت:721هـ): **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**، تحقيق: محمد حامد الفقي. ط(2). القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، 1369هـ.
- ـــــــ: **مجموع الفتاوى**، (35مج)، بلا معلومات نشر، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي.
- الجاويش، محمد إسماعيل: **دعاء الأنبياء**، ط(1). القاهرة : دار الغد الجديد. 1430هـ-2009م.
- الجُديلي، محمد عبد الرحمن: **دراسات إسلامية في حكم التشريع**، ط(1). بلا بلد نشر. 1962م.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت:816هـ): **التعريفات**، تحقيق: إبراهيم الأبياري. ط(1). بيروت: دار الكتاب العربي. 1405هـ.
- ابن جُزيّ، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي (ت:741هـ): **التسهيل لعلوم التنزيل**، (4مج)، ط(4). بيروت: دار الكتاب العربي. 1403هـ-1983م.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت:597هـ): **زاد المسير في علم التفسير**، (9مج)، ط(3). بيروت: المكتب الإسلامي. 1404هـ.
- ـــــــ: **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي. ط(1). بيروت: مؤسسة الرسالة. 1404هـ-1984م.
- الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، (ت:393هـ): **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، (6مج). تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط(1). بيروت: دار العلم للملايين. 1376هـ-1956م.

- الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت:405هـ): **المستدرك على الصحيحين**، (4مج). تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط(1). بيروت: دار الكتب العلمية. 1411هـ-1990م.
- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت:852هـ): **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، (15مج). تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز. ط(1424هـ-2004م). القاهرة: دار الحديث.
- حسن، محمود السيد: **روائع الإعجاز في القصص القرآني دراسة في خصائص الأسلوب القصصي المعجز**، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث. بلا معلومات نشر.
- الحليمي، أبو عبد الله الحسين بن الحسن (ت:403هـ): **المنهاج في شعب الإيمان**، (3مج). تحقيق: حلمي محمد فودة. ط(1). دار الفكر، 1399هـ-1979م.
- حمدان، خالد حسين عبد الرحيم: **الدعاء المشروع آدابه وآثاره وعلاقته بالقضاء والقدر**.
- حميد، صالح بن عبد الله: **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم**، (12مج)، ط(4). جدة: دار الوسيلة للنشر والتوزيع. بلا سنة نشر.
- حنبل، أحمد بن حنبل (ت:241هـ): **الموسوعة الحديثية مسند الإمام أحمد بن حنبل**، (50مج). تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون. ط(1). بيروت: مؤسسة الرسالة. 1419هـ-1999م. ابن
- الحنفي: ابن أبي العز (ت792هـ): **شرح العقيدة الطحاوية**، ط(4). بيروت: المكتب الإسلامي. 1391هـ.
- حوى، سعيد (ت:1409هـ): **الأساس في التفسير**، (11مج)، ط(5). القاهرة: دار السلام. 1419هـ-1999م.
- ـــــــ: **المستخلص في تزكية الأنفس**، بلا ط وسنة نشر. بيروت، عمان: دار عمار.

- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت:745هـ) **البحر المحيط**، (8مج). تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون. ط(1). بيروت: دار الكتب العلمية. 1422هـ-2001م.
- الخالدي، صلاح: **القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث**، (4مج)، ط(1). دمشق، بيروت: دار القلم. 1419هـ-1998م.
- الخضري، محمد أمين: **من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم**، ط(1). القاهرة: مكتبة وهبة. 1408هـ-1989م.
- الخطابي، أبو سليمان حَمْد بن محمد بن إبراهيم (ت:388هـ): **شأن الدعاء**، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق. ط(3). دمشق: دار الثقافة العربية. 1412هـ-1992م.
- الخطيب، عبد الكريم: **التفسير القرآني للقرآن**، (16مج)، بلا معلومات نشر.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت:681هـ): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، (8مج)، تحقيق: إحسان عباس. بلا ط وسنة نشر. بيروت: دار صادر.
- دراز، محمد عبد الله، (ت:1377هـ): **من خلق القرآن**، تحقيق: عبد الله إبراهيم الأنصاري. ط(1399هـ-1979م). من مطبوعات إدارة الشؤون الدينية بدولة قطر.
- دروزة، محمد عزة: **التفسير الحديث**، (12مج)، ط(1381هـ-1962م). دار إحياء الكتب العربية.
- الرازي، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس (ت:327هـ): **تفسير القرآن المسمى: تفسير بن أبي حاتم**، (10مج). تحقيق: أسعد محمد الطيب. بلا ط سنة نشر. صيدا: المكتبة العصرية.
- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي (ت:606هـ): **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، (16مج)، ط(1). بيروت: دار الكتب العلمية، 1421هـ-2000م.
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت:666هـ): **مختار الصحاح**، تحقيق: محمود خاطر. ط(1415هـ-1995م). بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.

- الرافعي، قاسم الشماعي: **المختار في المواعظ والأحكام والأخبار**، ط(1). بيروت: المكتب الإسلامي. 1406هـ-1986م.
- ابن رجب، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد، (ت:795هـ): **جامع العلوم والحكم**، ط(1). عمان: دار الإسراء للنشر والتوزيع. 2004م، إعداد: قسم الترجمة والتحقيق والتأليف بدار الإسراء.
- رضا، محمد رشيد (ت:1354هـ): **تفسير القرآن الحكيم المسمّى تفسير المنار**، (12مج)، ط(2). القاهرة: دار المنار. 1366هـ-1947م.
- الرضواني، محمود عبد الرازق: **أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة**، (5مج)، ط(1). دار الرضوان. 1426هـ-2005م.
- الزبيدي، محمد بن محمد الحسيني المشهور بمرتضى (ت:1205هـ): **إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين**، (10مج)، بلا ط وسنة نشر. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- ـــــــ: **تاج العروس من جواهر القاموس**، (40مج). تحقيق: مجموعة من المحققين. دار الهداية، بلا معلومات نشر.
- الزجاج، أبو إسحق إبراهيم بن السَّرِيْ (ت:311هـ): **تفسير أسماء الله الحسنى**، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق. ط(1974م). دمشق: دار الثقافة العربية.
- ـــــــ: **معاني القرآن وإعرابه**، (5مج). شرح وتحقيق: عبد الجليل عبده شلبي. ط(1). عالم الكتب. 1408هـ-1988م.
- الزحيلي، وهبة بن مصطفى: **التفسير الوسيط**، (3مج)، ط(1). دمشق: دار الفكر. 1422هـ.
- الزركلي، خير الدين (ت:1976م): **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، (8مج)، ط(6). بيروت: دار العلم للملايين. 1984م.

- الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمر الخوارزمي (ت:538هـ): **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، (4مج). تحقيق: عبد الرزاق المهدي. بلا ط وسنة نشر. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الزهراني، ناصر بن مسفر، **الله أهل الثناء والمجد**، ط(4). الرياض: العبيكان. 1427هـ-2006م.
- أبو زهرة، محمد أحمد مصطفى (ت:1974م): **زهرة التفاسير**، (10مج)، دار الفكر العربي، بلا معلومات نشر.
- أبو زيد، بكر بن عبد الله: **تصحيح الدعاء**، ط(1). الرياض: دار العاصمة. 1419هـ-1999م.
- سابق، سيد (ت:1420هـ): **دعوة الإسلام**، ط(1). القاهرة: مكتبة وهبة. 1380هـ-1960م.
- السجستاني، أبو بكر محمد بن عزيز (ت:330هـ): **غريب القرآن المسمّى بنزهة القلوب**، تحقيق: لجنة من العلماء. ط(1382هـ-1963م). مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده.
- السخاوي، شمس الله بن محمد بن عبد الرحمن (ت:902هـ): **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، (6مج)، بلا طبعة وسنة نشر. بيروت: دار مكتبة الحياة.
- السعدي، أبو القاسم علي بن جعفر (ت:515هـ): **الأفعال**، (3مج)، ط(1). بيروت: عالم الكتب. 1403هـ-1983م.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت:1376هـ): **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان**، تحقيق: ابن عثيمين. ط(1421هـ-2000م). بيروت: مؤسسة الرسالة.
- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت:982هـ): **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، (9مج)، بلا ط وسنة نشر. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

- السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار(ت:562هـ): **تفسير القرآن،** (6مج). تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. ط(1). الرياض: دار الوطن. 1418هـ-1997م.
- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (ت:756هـ): **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون،** (11مج). تحقيق: أحمد محمد الخراط. بلا ط وسنة نشر. دمشق: دار القلم.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت:458هـ): **المخصص،** (4مج)، بلا ط وسنة نشر. بيروت: دار الفكر.
- السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين (ت:911هـ): **طبقات المفسرين،** تحقيق: علي محمد عمر. ط(1). القاهرة: مكتبة وهبة. 1396هـ.
- ـــــــ: **معجم مقاليد العلوم،** تحقيق: محمد إبراهيم عبادة. ط(1). القاهرة: مكتبة الآداب. 1424هـ-2004م.
- شديد، محمد: **منهج القرآن في التربية،** مؤسسة الرسالة، بلا معلومات نشر.
- الشرباصي، أحمد: **الموسوعة الشرباصية في الخطب المنبرية،** (5مج)، ط(1416هـ-1995م). بيروت: دار الجيل.
- الشعراوي، محمد متولي (ت:1418هـ): **تفسير الشعراوي،** (20مج)، بلا معلومات نشر.
- ـــــــ: **دعاء الأنبياء والصالحين،** ط(1). القاهرة: الدار العالمية للكتب والنشر. 1998م، جمع وإعداد: سعيد عثمان.
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني (ت:1393هـ): **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،** (9مج). تحقيق: مكتبة البحوث والدراسات. ط(1415هـ-1995م). بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.
- ـــــــ: **منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات،** ط(4). الكويت: الدار السلفية. 1404هـ-1984م.

- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت:1255هـ): **فتح القدير**، (5مج)، بلا ط وسنة نشر. بيروت: دار الفكر.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد (ت:310هـ): **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (30مج)، ط(1405ه). بيروت: دار الفكر.
- طنطاوي، محمد السيد (ت:2010م): **جوامع الدعاء**، بلا ط وسنة نشر. بنغازي: دار مكتبة الأندلس.
- الطير، مصطفى محمد الحديدي: **أقباس من نور الحق**، ط1397هـ-1977م. القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.
- ابن عادل الدمشقي، أبو حفص عمر بن علي (ت:880هـ): **اللباب في علوم الكتاب**، (20مج)، ط(1). بيروت: دار الكتب العلمية. 1419هـ-1998م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر (ت:1393هـ): **التحرير والتنوير**، (30مج)، ط(1984م). تونس: الدار التونسية.
- عباس، فضل حسن: **خماسيات مختارة في تهذيب النفس الأمارة**، ط(2). إربد: دار الفرقان. 1418هـ-1997م.
- عبد الحميد، مصطفى شعبان: **المناسبة في القرآن دراسة لغوية أسلوبية للعلاقة بين اللفظ والسياق اللغوي**، ط(1). بلا بلد نشر. 1428هـ-2007م.
- عبد العزيز، جُمعة أمين: **فهم الإسلام في ظلال الأصول العشرين للإمام حسن البنا**، بلا ط وسنة نشر. الإسكندرية: دار الدعوة.
- عبد الغفار، أحمد: **في الدراسات القرآنية الجانب التاريخي -الجانب الأسلوبي- الجانبي البلاغي**، ط(2000م). بلا بلد نشر: دار المعرفة الجامعية.
- عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله بن محمد (ت:1233هـ): **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**، تحقيق: محمد أيمن الشبراوي. ط(1). بيروت: عالم الكتب. 1999م.

- عبد الوهاب، محمد: **مؤلفات الشيخ محمد عبد الوهاب في العقيدة**، تحقيق: عبد العزيز زيد الرومي وآخرون. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود. بلا معلومات نشر.
- ـــــــــ: **مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان**، تحقيق: إسماعيل بن محمد الأنصاري. بلا ط وسنة نشر. الرياض:مطابع الرياض.
- عبده، محمد (1323هـ): **رسالة التوحيد**، ط(1385هـ-1966م). دار الكتاب العربي.
- ابن عثيمين، محمد بن صالح (ت:14251هـ): **شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى**، ط(1). دار التيسير للنشر والتوزيع. 1426هـ-2005م، خرج أحاديثه وعلق عليه: أسامة عبد العزيز.
- العروسي أبو عبد الرحمن جيلان بن خضر: **الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية**، (2مج)، ط(1). الرياض: مكتبة الرشد. 1417هـ-1996م.
- العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد الشهير بابن حجر (ت:852هـ): **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، (4مج)، بلا معلومات نشر.
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (ت:546هـ): **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، (5مج)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط(1). بيروت: دار الكتب العلمية. 1413هـ-1993م.
- العظيم آبادي، أبو الطيب، محمد شمس الحق (ت: قبل 1322هـ): **عون المعبود بشرح سنن أبي داود**، (14مج)، ط(2). بيروت: دار الكتب العلمية، 1995م.
- العفاني، سيد بن حسين: **صلاح الأمة في علوّ الهمة**، (7مج)، ط(2). بيروت: مؤسسة الرسالة. 1424هـ-2003م، قدّم له: محمد صفوت نور الدين وآخرون.
- العُمري، أكرم ضياء: **التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام**، ط(1). الرياض: مركز الدراسات والإعلام-دار إشبيليا. 1417هـ-1997م.
- عمير، أبو طه محمد محمود مصطفى: **المؤمنون كما وصفهم الله في القرآن**، بلا معلومات نشر.

- عواد، محمد: **نور اليقين في معاني القرآن الكريم**، ط(2). معسكر الشاطئ: دار المقداد للطباعة. 1422هـ-2001م.
- عودة: **شواهد في الإعجاز القرآني دراسة لغوية ودلالية**، ط(1). عمان: دار عمار. 1419هـ-1998م.
- عيسى، أحمد بن إبراهيم: **توضيح المقاصد والقواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم**، (2مج). تحقيق: زهير الشاويش. ط(3). بيروت: المكتب الإسلامي. 1406هـ.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت:505هـ): **إحياء علوم الدين**، (5مج)، (وبذيله: المغني عن حمل الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار للعلامة زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي ت:806هـ)، ط(1998م). مكتبة مصر.
- ـــــــ: **الجانب العاطفي من الإسلام**، بلا ط وسنة نشر. القاهرة: مطبعة حسان.
- ـــــــ: **جواهر القرآن**، تحقيق: محمد رشيد رضا القباني. ط(1). لبنان: دار إحياء العلوم. 1405هـ-1985م.
- ـــــــ: **الدعوات المستجابة ومفاتيح الفرج**، بلا معلومات نشر.
- ـــــــ: **فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء**، دار الاعتصام، بلا معلومات نشر.
- ـــــــ: **المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى**، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي. ط(1). قبرص: الجفان والجابي. 1407هـ-1987م.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت:395هـ): **معجم مقاييس اللغة**، (6مج). تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط(2). بيروت: دار الجيل. 1420هـ-1999م.
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري (ت:770هـ): **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، (2مج)، بيروت: المكتبة العلمية. بلا معلومات نشر.
- القاسمي، محمد جمال الدين (ت:1332هـ): **تفسير القاسمي المسمّى محاسن التأويل**، (17مج)، ط(1). بلا بلد ودار نشر. 1376هـ-1957م، علّق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي.

- القرضاوي، يوسف: **التوبة إلى الله**، ط(2). القاهرة: مكتبة وهبة. 1421هـ-2000م.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت:671هـ): **الجامع لأحكام القرآن**، (20مج)، بلا ط وسنة نشر. القاهرة: دار الشعب.
- ـــــــ: **الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى**، (2مج)، ط(1). دار الصحابة للتراث بطنطا. 1416هـ-1995م، ضبط النص: محمد حسن جبل، فسر أحاديثه: طارق أحمد محمد، أشرف عليه: محمد فتحي السيد.
- القشيري، أبو القاسم عبد الكريم (ت:465هـ)، **الرسالة القشيرية**، تحقيق: عبد الحليم محمد ومحمود بن الشريف. بلا ط وسنة نشر. عابدين: دار الكتب الحديثة.
- قطب: سيد (ت:1385هـ): **البلاء والابتلاء في ظلال القرآن**، مكتبة التراث الإسلامي. بلا معلومات نشر، أعده: عكاشة عبد المنان الطيبي.
- ـــــــ: **في ظلال القرآن**، (8مج)، بلا ط وسنة نشر. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- القيسي، عُودة الله مَنيْع: **الإعجاز اللغوي في قصص نوح عليه السلام في القرآن الكريم**، ط(1). عمان: دار عمار. 1422هـ-2002م.
- ابن القيم، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي (ت:751هـ): **بدائع الفوائد**، (4مج). تحقيق: هشام عبد العزيز عطا وآخرون. ط(1). مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز. 1416هـ-1996م.
- ـــــــ: **التفسير القيم**، حققه: محمد حامد الفقي. بيروت: دار الكتب العلمية، بلا معلومات نشر، جمعَه: محمد إدريس الندوي،.
- ـــــــ: **زاد المعاد في هدي خير العباد**، (5مج). تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط. ط(14). بيروت، الكويت: مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية. 1407هـ-1986م.
- ـــــــ: **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر. ط(2). الدمام: دار ابن القيم. 1414هـ-1994م.

- ـــــــــ: **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين،** (3مج). تحقيق: محمد حامد الفقي. ط(2). بيروت: دار الكتاب العربي. 1393هـ-1973م.
- ـــــــــ: **الوابل الصيب من الكلم الطيب،** تحقيق: محمد بن عبد الرحمن عوض. ط(1). بيروت: دار الكتاب العربي. 1405هـ-1985م.
- الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير (ت:1380هـ): **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات،** (3مج). تحقيق: إحسان عباس. ط(2). بيروت: دار العربي الإسلامي. 1402ه-1982م.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت:774هـ): **تفسير القرآن العظيم،** (4مج)، ط(1401هـ). بيروت: دار الفكر.
- الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر (ت:505هـ): **أسرار التكرار في القرآن،** تحقيق: عبد القادر أحمد عطا. ط(2). القاهرة: دار الاعتصام. 1396هـ.
- الكرمي، حسن سعيد: **الهادي إلى لغة العرب،** (4مج)، ط(1). بيروت: دار لبنان للطباعة والنشر. 1411هـ-1991م.
- اللكنوي، عبد العلي محمد بن نظام الدين محمد السهالوي الأنصاري (ت:1225هـ): **فواتح الرحموت بشرح مسلّم الثبوت لمحب الله بن عبد الشكور البهاريّ** (ت:1119هـ): (2مج)، ط(1). بيروت: دار الكتب العلمية، 1423هـ-2002م، ضبطه: عبد الله محمود محمد عمر.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت:450هـ): **أعلام النبوة،** تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي. ط(1). بيروت: دار الكتاب العربي. 1987م.
- ـــــــــ: **النكت والعيون،** (6مج)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم. بلا ط وسنة نشر. بيروت: دار الكتب العلمية.
- المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (ت:1353هـ): **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي،** (10مج)، بلا ط وسنة نشر. بيروت: دار الكتب العلمية.

- محجوب، عباس: **الحكمة والحوار علاقة تبادلية**، ط(1). عمان، إربد: جدارا للكتاب العالمي، عالم الكتب الحديث. 2006م.
- محمد، سعد صادق: **صراع بين الحق والباطل**، ط(4). الرياض: دار اللواء للنشر والتوزيع. 1398هـ-1987م.
- مخلوف، محمد بن محمد (ت:1360هـ): **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، دار الفكر. بلا معلومات نشر.
- المراغي، أحمد مصطفى (ت:1364هـ)، **تفسير المراغي** (30مج)، ط(1). مصر: مطبعة مصطفى البابي وأولاده، 1365هـ-1946م.
- مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت:261هـ): **صحيح مسلم**، (4مج). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بلا ط وسنة نشر. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- المسيري، منير محمود: **دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم**، بلا ط وسنة نشر. القاهرة: مكتبة وهبة.
- مصطفى إبراهيم، وآخرون: **المعجم الوسيط**، (2مج)، طهران: المكتبة العلمية. بلا معلومات نشر، أشرف على طبعه: عبد السلام هارون.
- المقدسي، أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد (ت:600هـ): **الترغيب في الدعاء**، تحقيق: فؤاد أحمد زمَرلي. ط(1). بيروت: دار ابن حزم. 1416هـ-1995م.
- المناوي، محمد عبد الرؤوف (ت:1031هـ): **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق: محمد رضوان الداية. ط(1). بيروت، دمشق: دار الفكر المعاصر- دار الفكر. 1410هـ.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت:711هـ): **لسان العرب**، (15مج)، ط(1). بيروت: دار صادر. 1410هـ-1990م.
- الميداني، حبنّكة: **العقيدة الإسلامية وأسسها**، ط(2). دمشق: دار القلم، 1399هـ-1979م.

- الندوي، أبو الحسن علي الحسيني (ت:1420هـ): **النبوة والأنبياء في ضوء القرآن**، ط(5). دمشق، بيروت: دار القلم. 1400هـ-1980م.
- النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود (ت:710هـ): **تفسير النسفي المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، (2مج)، دار الفكر. بلا معلومات نشر.
- نصر، محمد بن موسى وسليم بن عيد الهلالي: **إتحاف الإلف بذكر القواعد الألف والنيّف من سورة يوسف عليه السلام**، (2مج)، ط(1). الرياض: مكتبة الرشد ناشرون. 1424هـ-2003م.
- النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مريّ (ت:676هـ): **صحيح مسلم بشرح النووي**، (18مج)، ط(2). بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1392هـ.
- هراس: محمد خليل: **شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية**، ط(1). الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد. 1413هـ-1992م.
- الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأُرميّ العلَويّ: **حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، (32مج)، ط(1). بيروت: دار طوق النجاة. 1421هـ-2001م، إشراف: هاشم محمد علي بن حسين مهدي.
- الهلالي، مجدي: **من ركائز الدعوة**، دار البشير. بلا معلومات نشر.
- ياسين، محمد نعيم: **الإيمان أركانه حقيقته نواقضه**، الرياض: الندوة العالمية للشباب. بلا معلومات نشر.
- اليماني، عبد الله بن محمد النَجَريْ (ت:877هـ): **شافي العليل في شرح الخمسمائة آية من التنزيل**، ط(1). صنعاء، بيروت: مكتبة الجيل الجديد- مؤسسة الكتب الثقافية. 1406هـ-1986م.

مواقع انترنت:

- التفسير http://tafseir.net/vb/showthread.php?t=2254

- الرضواني، محمود عبد الرازق: **أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة**، (5مج)، (دار الرضوان، ط1/1426هـ-2005م)، ج5، ص:9. www.asmaullah.com
- صيد الفوائد http://saaid.net/monawin/index.html
- القصة السورية: www.syrianstory.com/b.alchty.html
- **مباحث مهمة في معية الله لخلقه**-شبكة سحاب السلفية http://www.sahab.net/FORUMS/showthread.php?t=304369
- **مقال على الشبكة العنكبوتية** بعنوان "قراءة في قصة يوسف من وجهة القدوة الصالحة لشبابنا". http://forums.ozkorallah.com/fllozorallah22740
- الموسوعة العربية العالمية http://www.mawsoah.net
- النابلسي، محمد راتب، درس "مدارج السالكين: الفقر، تفريغ: محمد وسام عودة، مراجعة: عفاف الجزائري، تنقيح: غسان السراقبي/ بتاريخ 1992/5/25/ www.nabulsi.com/text/07 tarabia/2 madary/madar031-040/madar04.doc.
- ويكيبيديا الموسوعة الحرة www.wikipedia.org

An-Najah National University
Faculty Of Graduate Studies

"Prophets' Supplication In The Holly Quran"

Prepared by
Wedad Taher Mohammad Nuser

Supervision by
Dr. Khader Sawandak

Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Usol AD-DIN –Religion Fundemantals Department- Faculty of Graduate Studies, at An-Najah National University, Nablus, Palestine.

2010

"Prophets' Supplication In The Holly Quran"

Prepared by
Wedad Taher Mohammad Nuser
Supervision by
Dr. Khader Sawandak

Abstract

This Study dims at exploring the prophet's supplication through what is reported about them of supplications in the Holy Quran. This is done by demonstrating the Concept and the importance of supplication in the prophets' lives whether in their worshipping through-it or in their demanding earthly needs. In addition, supplication's types, its characteristics defined in the Holy Quran and the heavenly morals which the prophets practiced are displayed so as to show their supplication's effect in establishing the Principle of allocating supplication exclusively to Allah and his appropriation of responding. This aims to show the Holy Qumran's method in rooting the relation between people and their creator and following the right route in achieving supplication. Through talking this subject, this study establishes some principles related closely to faith and the main purposes of sending messengers. Some of these principles are: the guidance of the prophets, supplication to the presence of Allah, the Lord of honor and glory, and his exclusive appropriation of divinity, godhood, names and characteristics.

Their supplication's guidance to the eternal need to Allah and his dispense of people. The most important result of this Study:

The prophets' supplication represents a method of life. Consequently its results are found in their wordy and otherworldly lives where it has the

greatest effect on the doctrinal side by voiding the heart from anything but Allah. Also, supplication affects the psychological side by bettering their hearts and good opinion of Allah. Finally, the supplication fills society with its scent in general where the prophets' supplication typified a Complete method of life which includes this world and the hereafter, so they were the righteous model for all generations.